جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة بابل
كليّة العلوم الإسلامية / قسم لغة القرآن وإعجازه

نفي الشرك باللّه في القرآن الكريم

دراسة في الدلالة النحويّة

رسالةٌ قَدَّمَتْها:

شروق ماجد شريف

إلى: مجلس كليّة العلوم الإسلاميّة في جامعة بابل،

وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في لغة القرآن وإعجازه

بإشراف:

أ.د. حسن عبيد المعموريّ

محرّم الحرام ١٤٤٤هـ

آب ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهدُ أنّ كتابة هذه الرسالة الموسومة بـ « **نفي الشرك بالله في القرآن الكريم ـ دراسة في الدلالة النحويّة** » التي قدّمتها الطالبة: **شروق ماجد شريف** قد جرت بإشرافي في قسم لغة القرآن وإعجازه في كليّة العلوم الإسلاميّة ـ جامعة بابل، لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ـ لغة القرآن وإعجازه، وأنّها قد استوفت خطّتها استيفاءً تامًا، يؤهلها للمناقشة.

المشرف:

أ.د. حسن عبيد المعموريّ

الإمضاء:

التاريخ : / / ٢٠٢٢م

استنادًا إلى التوصيات المتوافرة أُرشّح هذه الرسالة للمناقشة .

رئيس القسم:

أ.م.د. حسين علي هادي المحنا

الإمضاء :

التأريخ : / / ٢٠٢٢م

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon

College of Islamic Sciences / Language of Qur'an

The Negation of Polytheism in the Holy Qur'an: A Study in the Grammatical Connotation

Thesis provided

To the Council of the College of Islamic Sciences at the University of Babylon

It is one of the requirements for obtaining a master's degree in the language of the Qur'an

By the student

Shrooq Majid Shareef

Supervised by

Dr. Hassan Obaid Al Mamouri

١٤٤٤ AH ٢٠٢٢M

Abstract

The current master's thesis which is entitled "The Negation of Polytheism in the Holy Qur'an: A Study in the Grammatical Connotation" has come to put this graphic rhetorical code in the grammatical semantic spotlight, revealing the eloquence of the Qur'anic expression, probe the minutes of the divine discourse, and stands on its aesthetics in denying the partner from the One God Almighty, from what they associate with a great exaltation.

Since the study is in the grammatical connotation so its basis and pillar is the subject of negation, which is considered a companion of proof in speech and its other part, and it has methods and a arts. So, the study has been divided into three chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion of its results.

The preface revealed the concept of polytheism with God Almighty and the concept of negation and its grammatical indications. Chapter One explains the indication of explicit negation of polytheism with God Almighty, and includes a study of seven tools of negation according to what was stated in the verses, as well as it includes the indication of negation. It includes the statement of the connotation of the negation with (laa negating gender), the connotation of the negation with (laa negation), the connotation of the negation with (maa), the connotation of the negation with (lam), the connotation of the negation with (lan), the connotation of the negation with (laysa), and the connotation of negation with (in).

Chapter Two has been devoted to study the connotation of implicit negation of polytheism, and included the study of seven methods that

included the negation of polytheism, in which the connotation of implicit negation has been studied in the methods of questioning, command, prohibition, conditional, shortening, striking, and recanting.

Chapter Three studies the significance of grammatical phenomena in the negation of polytheism as after we have explained the explicit negation in Chapter One, and the implicit negation in Chapter Two, and we have reviewed their connotations, it becomes clear for us that there are grammatical phenomena in the verses that denied polytheism in the Holy Qur'an and it is necessary to clarify their connotations in expression and touch their rhetorical aesthetics in the speech. So, this chapter tries to reveal the connotations of these phenomena which are: emphasizing, presenting and delaying, manifesting in the position of implication, embellishment and interpretation, and the succession of methods.

Due to the method of study, I have taken from description and analysis as a way to get the connotations of tools, methods or grammatical structures in the negation of polytheism in the Qur'anic discourse, using what is provided by grammatical theorizing books in terms of knowledge of the methods of negation and its arts, evoking what is written by the interpreters and those concerned with the particles of the Qur'anic expression of jokes and anecdotes by collecting the likes to their counterparts, and I give careful consideration to their context, to reap the fruits of this research in the eloquence of the Holy Qur'an, not far from the efforts of modern scholars in this field.

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللّهُمّ ، إنَّ أحَدًا لا يَبْلُغُ من شُكْرِك غَايَةً إلّا حَصَلَ عَلَيهِ مِنْ إحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرًا، وَلا يَبْلُغُ مَبْلَغًا مِنْ طَاعَتِكَ وَإن اجْتَهَدَ إلّا كَانَ مُقَصِّرًا دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فأَشْكُرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ، وَأَعْبَدُهُمْ مُقَصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ» (١).

بعد حمد الله تعالى وشكره، يطيب لي أنْ أتقدمَ بالشكر والعرفان إلى جميع من له أياد بيضاء عليّ، ممن طوقني بمعروفه، وتفضل عليّ بمجهوده، وأبدأ بمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور حسن عبيد المعموري المحترم، الذي أشار عليّ بدراسة هذا الموضوع، وأعطاني من وقتِه وفكرِه، وتوجيهاتِه السديدةِ ما استطعتُ معه أنْ أنجزه على صُورته الحالية، فجزاه الله تعالى عني كل خير.

ويُسعدني أن أجزلَ الشكرَ والعرفان إلى عمادة كلية العلوم الإسلاميّة، متمثلةً بعميدها الأستاذ الدكتور عامر عمران الخفاجيّ المحترم، ومعاونه للشؤون العلمية الأستاذ الدكتور محمد الحسينيّ المحترم، ومعاونه للشؤون الإدارية الأستاذ المساعد الدكتور علي حسوني الشريفي المحترم، وإلى موظفي كليتنا المباركة جميعاً.

ويجدر بي أن أتقدمَ بالشكر والتبجيل إلى أساتذتي الفضلاء في قسم اللغة العربية ـ كلية التربية الأساسيّة الذين تلمذتُ على أيديهم الكريمة في مرحلة البكالوريوس، وأساتذتي الكرام في قسم لغة القرآن ـ كلية العلوم الاسلامية الذين تلمذتُ لهم في مرحلة الماجستير، جزاهم الله عزّ وجلّ عن العلم وطلبته أفضل الجزاء ووفقهم لما يحبُّ ويرضى.

وأتقدّمُ بجزيل الشكر والامتنان إلى أسرتي الكريمة على صبرهم و رعايتهم طوالَ مسيرتي الدراسية كُلِّها، متمثلةً بوالدي ووالدتي، أمدَّ الله بعمرهما ومتَّعهما بالصحة والعافية، وإخوتي وأخواتي الذين كانوا لي خير سندٍ وعَون، ورفيقي وأنيسي في رحلتي هذه، الذي تحملَ معي عناء هذا البحث زوجي العزيز (نعمة ناصر صبر)، وإلى القناديل التي تنير حياتي أولادي (نور الهدى، وتبارك، وإسلام)، وإلى اقاربي اعمامي واخوالي الذين تاقت أنفسهم لرؤية هذا اليوم، وإلى اخوتي واخواتي الذين لم تلدهم أمي زملائي في مرحلة البكالوريوس والماجستير.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من أسدى إليّ معروفًا، وأعانني في إنجاز هذا العمل، ولو بدعوةٍ صادقة، ولله جلّ شأنه الحمدُ والشكرُ أولاً وآخرًا.

(١) من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام في: الصحيفة السجّاديّة الكاملة: ١٦٢.

إهداء

مِنْ قلبٍ

سَوَّرَتْهُ غُصَصُ الانتظار

وَكَبَّلَتْهُ قُيودُ الأيام

يُلَمْلِمُ بقايا من كلمات

لعلّها تَرْسُمُ بَسْمةً

على ثَغْرِ أمير الزمان

عجَّل الله فَرَجَه

المحتويـات

الموضوع	الصفحة
شكروعرفان	أ
المقدّمة	ج - خ
التمهيد: **مفهومُ الشرك باللّه تعالى، ومفهوم النفي ودلالته النحوية**.	٢ – ١٠
أولاً: مفهوم الشرك بالله تعالى.	٢
ثانيًا: مفهوم النفي.	٤
ثالثًا: الدلالة النحويَّة للنفي.	٥
الفصل الأول: **دلالة النفي الصريح للشرك باللّه تعالى**.	١٢ –٩١
توطئة .	١٢
أولًا: دلالة النفي بـ (لا) النافية للجنس.	١٤
ثانيًا: دلالة النفي بـ (لا) النافية غير العاملة.	٤٨
ثالثًا: دلالة النفي بـ (ما) .	٥٤
رابعًا: دلالة النفي بـ (لم) .	٦٩
خامسًا: دلالة النفي بـ (لنْ).	٧٦
سادسًا: دلالة النفي بـ (ليس).	٨١
سابعًا: دلالة النفي بـ (إنْ)	٨٧
الفصل الثاني: **دلالة النفي الضمني للشرك باللّه تعالى**.	٩٣ – ١٤٩
توطئة.	٩٣

الموضوع	الصفحة
أولاً: دلالة النفي الضمني بأسلوب الاستفهام.	٩٥
ثانيًا: دلالة النفي الضمني بأسلوب الأمر.	١١٥
ثالثًا: دلالة النفي الضمني بأسلوب النهي.	١٢٠
رابعًا: دلالة النفي الضمني بأسلوب الشرط.	١٢٥
خامسًا: دلالة النفي الضمني بأسلوب القصر.	١٣٠
سادسًا: دلالة النفي الضمني بأسلوب الإضراب.	١٣٦
سابعًا: دلالة النفي الضمني بأسلوب الاستدراك.	١٤٦
الفصل الثالث: دلالة الظواهر النحوية في نفي الشرك باللّه تعالى.	١٥١-١٩٥
توطئة.	١٥١
أولاً: دلالة التوكيد.	١٥٢
ثانياً: دلالة التقديم والتأخير.	١٦٢
ثالثًا: دلالة الإظهارفي مقام الإضمار.	١٦٨
رابعًا: دلالة الإضماروالتفسير.	١٧٩
خامسًا: دلالة تلاحق الأساليب.	١٨٨
الخاتمة	١٩٧ - ٢٠٥
ثبت المصادر والمراجع	٢٠٧-٢٣٠
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	A-B

التمهيد

مفهوم الشّرك بالله تعالى، ومفهوم النفي ودلالته النحوية

أولًا: مفهوم الشّرك بالله تعالى:

الشّرك هو " أن تجعل لله شريكًا في ربوبيّته، تعالى الله عن الشّركاء والأنداد" [١] ، فـ"أشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه" [٢]، و (الشّرك) أيضًا الكفر، وقد أشرك بالله فهو (مشركٌ)" [٣] ، وهو" اسمٌ من أشرك بالله إذا كفر به" [٤] ، فمعنى: " أشرك بالله: كَفَرَ، فهو مشركٌ ومشركيٌّ، والاسم (الشّرك) فيهما " [٥].

وجاء في الحديث الشريف: ((أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشّرك، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ))[٦]، ويُراد " به الرياء في العمل، فكأنه أشرك في عمله غير الله تعالى، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾[٧] المراد به الكفر" [٨] ، وقد استُعمِل (الشّرك) في القرآن الكريم بمعنى: الاعتقاد بوجود ندٍّ لله سبحانه وتعالى، والتوافق على وجود المثيل والشريك في الذات أو الصفات أو الخلق والتدبير أو المماثل له تعالى في العبودية. [٩]

ويقسِّم أهل الفقه شرك الإنسان في الدين إلى ضربين:

أحدهما: الشّرك العظيم: وهو إثبات شريك لله تعالى، وهو على أربعة أنحاء: الشّرك في الألوهية، والشّرك في وجوب الوجود، والشّرك في التدبير، والشّرك في العبادة.

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهريّ:١٠/ ١٢.
(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده :٦/ ٦٨٤.
(٣) مختار الصحاح، الرازيّ: ١٦٤، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير:٢/ ٤٦٦.
(٤) المصباح المنير، الفيوميّ: ١/ ٣١١.
(٥) الكليات، أبو البقاء الكفويّ: ٥٣٣.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة :٦/ ٧٠، وينظر: مسند أحمد :٣٢/ ٣٨٣.
(٧) لقمان: من الآية ١٣.
(٨) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ: ٢٧/ ٢٢٥.
(٩) ينظر: نفحات القرآن– أسلوبٌ جديدٌ في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ناصر مكارم الشيرازي: ٣/ ١٠٧.

والآخر: الشّرك الصغير: وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور، والرياء، والنفاق، وغيرهما، فالإشراك: هو إثبات الشريك في الألوهيّة، ووجوب الوجود كما للمجوس، أو بمعنى استحقاق العبادة كما لعبدة الأوثان. (١)

وذكر أبو هلال العسكريّ (ت: ٣٩٥ هـ) الفرق بين الشّرك والكفر قائلًا: " إنّ الكفر خصال كثيرة ...، وكلُّ خصلة منها تضادّ خصلة من الإيمان؛ لأنّ العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشّرك خصلة واحدة وهو إيجاد آلهة مع الله أو دون الله واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى، ثمّ كثر حتّى قيل لكلِّ كفر: شرك؛ على وجه التّعظيم له، والمبالغة في صفته، وأصله كفر النّعمة؛ لتضييعه حقوق الله وما يجب عليه من شكر نعمه، فهو بمنزلة الكافر لها، ونقيض الشّرك في الحقيقة: الإخلاص، ثمّ لمّا استعمل في كلِّ كفر صار نقيضه الإيمان، ولا يجوز أن يطلق اسم الكفر إلّا لمن كان بمنزلة الجاحد لنعم الله؛ وذلك لعظم ما معه من المعصية وهو اسم شرعي كما أن الإيمان اسم شرعي" (٢)، فالشّرك أخصّ من الكفر على الإطلاق العام. فكلّ شرك كفر ولا عكس(٣).

عكس(٣).

وأمّا نفي الشّرك بالله تعالى فهو التوحيد، أي: الشهادة لله عز وجلّ بالوحدانية وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين(٤)، والتوحيد هو "الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنّه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كلِّ ما يتصوّر في الأفهام، ويتخيّل في الأوهام والأذهان" (٥)، باعتقاد وحدانيّته سبحانه و تعالى (٦).

(١) ينظر: التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي:١٢١، ١٢٢، وقواعد الفقه، للمؤلف نفسه: ٣٣٦، ٣٣٧، والقاموس الفقهي، الدكتور سعدي أبو حبيب: ١٩٥.

(٢) الفروق اللغوية: ٢٣٠.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم :١/ ١٩٢.

(٤) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني: ١١/ ٧٠٩٦.

(٥) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني: ٦٩، وينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي: ٧٣.

(٦) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانويّ: ١/ ٥٢٨.

و" التوحيدُ ثلاثة أشياء: معرفةُ الله بالربوبية، والإقرارُ بالوحدانية، ونفيُ الأنداد عنه جملةً. والشّرك: خلافُ التوحيد" [١]، فالمقصود بالتوحيد أن نفرد الله تعالى بالعبادة، ونجتنب عبادة غيره ممن يكون مخلوقًا له عزَّ وجلَّ. وهذا يقابل الشّرك في العبادة الذي يعني عبادة الإنسان – رغم اعتقاده بوحدانية الله تعالى– مخلوقًا لسبب من الأسباب [٢]. مما تقدّم نخلص إلى أنَّ الشّرك مفهومٌ يضادُّه التوحيد من جهة الاعتقاد، ويضادُّه الإخلاص من جهة العبادة.

ثانيًا: مفهوم النفي:

النفي في أصل اللغة من" نفيت الرّجل وغيره نفيًا إذا طردته، فهو منفيّ، قال الله تعالى: ﴿ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [٣]. ويقال: معناه: السّجن. والانتفاء من الولد: أن يتبرّأ منه. والنّفاية من الدّراهم وغيرها المنفيّ القليل مثل البراية والنّحاتة. ونفيّ الرّيح: ما نفى من التّراب في أصول الحيطان ونحوه، وكذلك نفيّ المطر، ونفيّ القدر".[٤]، وذلك" يدلّ على تعرية شيءٍ من شيءٍ وإبعاده منه، ونفيت الشّيء أنفيه نفيًا، وانتفى هو انتفاءً".[٥]، وبناءًا على ما ذكرناه ممّا اقتبسناه من المعاجم العربية، فإنَّ معاني النفي لغة تدور حول: الطرد، والنفي، والسجن، والتنحية والإبعاد .

والنفي اصطلاحًا: هو " عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل" [٦]، والفرق بينه وبين الجحد هو أنّه ": إن كان النّافي صادقًا فيما قاله سمّي كلامه نفيًا وإن كان يعلم كذب ما نفاه كان جحدًا، فالنّفي أعمّ؛ لأنّ كلّ جحدٍ نفيٌ من غير عكسٍ، فيجوز أنْ يسمّى الجحد نفيًا؛ لأنّ النّفي أعمّ، ولا يجوز أن يسمّى النّفي جحدًا، فمن النّفي: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ [٧] ، ومن الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى (عليه السّلام) قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا

(١) التعريفات الفقهية: ٦٤.
(٢) ينظر: التوحيد والشّرك في القرآن الكريم، جعفر السبحاني: ٤٢.
(٣) المائدة: من الآية ٣٣.
(٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٨/ ٣٧٥، وينظر: أساس البلاغة، الزمخشري ، ٢/ ٢٩٦.
(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٥/ ٤٥٦، وينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٣٤٠.
(٦) التعريفات: ٢٤٥.
(٧) الأحزاب: من الآية ٤٠.

سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[١] أي: وهم يعلمون أنّها من عند الله ... ومن العلماء من لا يفرّق بينهما والأصل ما ذكرته "[٢]. إذ لا بُدَّ من فرقٍ بين النفي والجحد.

ويمثّل النفي " شطر الكلام كلّه؛ لأنّ الكلام إمّا إثباتٌ أو نفيٌ ".[٣]، وقد حدَّه الدكتور مهدي المخزوميّ بأنّه " أسلوب لغوي تحدّده مناسبات القول ، وهو أسلوب نقض وإنكار يستخدم لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقًا لما يلاحظه المتكلّم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ، ممّا اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي، وبإحدى طرائقه المتنوّعة الاستعمال "[٤].

ومن ذلك نستنتج أن النفي في مفهومه الاصطلاحي، هو عكس الإيجاب، وذلك بإخراج الحكم المثبت إلى نقيضه، إذ يهدف إلى نقض الكلام وإنكاره.

ثالثًا: الدلالة النحوية للنفي:

قبل الخوض في دلالات النفي وبيانها لا بدّ من الوقوف على مفهوم الدلالة النحويّة على نحو العموم؛ لأنّنا ندرس في ضوئها نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم، **فالدلالة النحويّة:** "هي الدلالة المحصَّلة من استخدام الألفاظ، أو الصور الكلاميّة في الجملة المكتوبة، أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي"[٥]، وهي المفهوم المستمد من التراكيب النحويّة بعد أن تؤدي معنىً سليمًا، وليس تركيبًا قاعديًا فقط، فالتراكيب النحويّة هي مادّة هذه الدلالة.[٦] "فكما يمدّ العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمدّ العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه؛ فبين الجانبين أخذٌ وعطاءٌ وتبادلٌ تأثيريٌ مستمرٌ "[٧] ، وفي ضوء ذلك يأتي النفي في تراكيب معيّنة ذات دلالات نحويّة،

---

(١) النمل: ١٣، ١٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي:٢/ ٣٧٦، وينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٣/ ٢٦١.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٧٥.
(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٦.
(٥) الكفاءة القرآنية عند علماء التراث– دراسة دلالية ، د. عرابي أحمد:٩٩.
(٦) ينظر: الدلالة النحوية في كتاب المقتضب، دكتور سامي الماضي : ١٧، ١٨.
(٧) النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ١١٣.

نحويّة، لا بُدَّ من توظيف السياق اللغوي لفهمها . ومن أشكال الدلالة النحوية دلالة النفي، التي تُقسم على أنواع ودلالات متعددة.

- **دلالات النفي:**

الأصل في النفي أن "يُنفى الإسناد المجرد الذي نعني به الإسناد الذي يكون بين المبتدأ و الخبر، أو بين الفعل والفاعل أو نائبه. ونفي هذا الإسناد يعني نفي ثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون هناك منفي دون منفي عنه، ولا منفي عنه دون منفي، كما لا يمكن أن يكون هناك مسند دون مسند إليه ولا مسند إليه دون مسند، ذلك أن المسند والمسند إليه هما ركنا الإثبات وركنا النفي كذلك". [١] ، ولكنَّ هذا الأصل ليس هو الوحيد في التعبير، وإنّما ثَمّت أنواع أخرى للنفي، وللوقوف على ذلك لا بُدَّ من بيان دلالات النفي التي تتمثَّل بما يأتي :

١ – نفي العمدة:

العمدة: هي المسند أو المسند إليه، ومن نفي المسند، قولك: (ما حضر خالد بل سافر)، وقولك: (ما مسافر أخوك)، ففي الأولى نفي الحضور ، وفي الثانية نفي السفر، وهما مسندان، وقد يُنفى المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[البقرة: ٢٤٩]، إذ نفى الخوف والطاقة وكلاهما مسند إليهما.[٢]

٢ – نفي القيد:

يُراد بالقيد: كل ما يأتي بعد علاقة الإسناد المعنويّة الرابطة بين الفعل والفاعل أو الفعل ونائب الفاعل – من مفعول أو تمييز أو حال أو متعلّق ممّا يندرج تحت علاقة معنويّة كبرى تعرف بالتقييد أو التخصيص، وإنّما سمّيت هذه القرينة الكبرى قرينة التخصيص؛ لأنّ كل ما تفرّع عنها من القرائن قيود على قرينة الإسناد، بمعنى: أن هذه القرائن المعنويّة المتفرعة من التخصيص يعبّر كلّ منها عن جهة خاصّة في فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل[٣].

(١) أسلوب النفي أدواته ودلالاته، د. عز الدين علي مختار علي:٢٨١.
(٢) ينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٤/٢١٦-٢١٧.
(٣) ينظر: أسلوب النفي – أدواته ودلالاته :٢٨٢.

و" قد يُنفى القيد من مفعول، أو متعلق أو حال، أو صفة، أو غير ذلك من القيود، كقولك: (ما أكرمت محمدًا ، و ما رأيت خالدًا يوم الجمعة) و (ما أقبل خالد راكبًا) ونحو ذلك".[١]

ولنفي القيد دلالات متعدّدة نورد منها: [٢]

أ – الدلالة على أنّ القيد لم يحصل، أما ما سواه فلا يُدرى أحصل أم لا، وذلك نحو قولك: (ما أكرمت محمدًا)، فإنك نفيت الإكرام عن محمد، وسكت عن غيره، فقد تكون أكرمت غيره، أو لا تكون.

ب– الدلالة على رجحان حدوث الأصل، نحو قولك: (ما شربنا اليوم ماء باردًا)، فالراجح في نحو هذا أنّك شربت ماءً غير بارد، وقد يراد به أنّك لم تشرب شيئًا ، وذلك كأن يكون المتكلّم صائمًا، وقد كان معتادًا على شرب الماء البارد، فيقول (ما شربنا اليوم ماء باردًا).

ج– الدلالة على نفي القيد وحده مع القطع بحدوث الأصل، وذلك إذا علم حدوث الأصل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[الأنبياء: ١٦] ، فهذا إثبات لخلق السماء والأرض ونفي للّعب.

د– الدلالة على حدوث الأصل، وذلك بتقديم القيد على عامله نحو: (ما محمدًا أكرمت) ، فإنّ هذا التعبير يفيد نفي الإكرام لمحمد خاصّة، وإثباته لغيره، بخلاف ما لو قلت: (ما أكرمت محمدًا) ، فإنه يفيد نفي الإكرام عن محمد، أمّا بالنسبة إلى غير محمد، فهو مسكوت عنه.

هـ – قد يذكر القيد، والمراد نفي الأصل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[البقرة: ٢٧٣]، والمراد نفي السؤال أصلًا بإلحاف أو بغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[آل عمران: ١٩٩]، والمقصود نفي الشراء بآيات الله أصلًا، لا ثمنًا قليلًا، ولا كثيرًا؛ لأنّ كلّ ثمن هو قليل بالنسبة إلى آيات الله .

جاء في (دلائل الإعجاز): " أنّه من حكم النفي، إذا دخل على كلام، ثمّ كان في الكلام تقييد على وجه من الوجوه، أن يتوجّه إلى ذلك التقييد وأن يقع له خصوصًا. تفسير ذلك أنّك إذا قلت:

(١) معاني النحو: ٤/ ٢١٧.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني: ١٢٦، ومعاني النحو:٤/ ٢١٨-٢١٩.

(أتاني القوم مجتمعين)، فقال قائل: (لم يأتك القوم مجتمعين) كان نفيه ذلك متوجهًا إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان، دون الإتيان نفسه، حتّى أنّه أراد أن ينفي الاتيان أصله كان من سبيله أن يقول : أنهم لم يأتوك أصلًا، فما معنى قولك: مجتمعين؟ هذا ممّا لا يشكّ فيه عاقل.. فإذا قلت: (جاءني زيد راكبًا) و (ما جاءني زيد راكبًا) كنت قد وضعت كلامك، لأن نثبت مجيئه راكبًا أو تنفي ذلك، لا لأنّ تثبت المجيء وتنفيه مطلقًا هذا ما لا سبيل إلى الشكّ فيه" [(١)].

وقال الزركشيّ (ت: ٧٩٤هـ) "ومنه نفي الشيء مقيدًا، والمراد نفيه مطلقًا، وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي، وتأكيده كقولهم: (فلان لا يرجى خيره) ليس المراد أن فيه خيرًا لا يرجى، وإنّما غرضهم أنّه لا خير فيه على وجه من الوجوه. ومنه ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ٢١] ، فإنه يدلُّ على أن قتلهم لا يكون إلّا بغير حق، ثمّ وصف القتل بما لا بُدَّ أن يكون من الصفة، وهي وقوعه على خلاف الحق" [(٢)] .

و- إذا تعدّدت القيود، احتمل أن يكون المراد نفي القيد الأخير، واحتمل أن يراد نفي القيود كلّها، واحتمل أن يكون المراد نفي الأصل أيضًا، فإذا قلت: (ما رأيت رجلًا غريبًا طويلًا) احتمل أن تكون رأيت رجلًا غريبًا فقط، وقد تكون رأيت رجلًا لا غريبًا ولا طويلًا.[(٣)]

ز- التنصيص على نفي القيد دون غيره: إذا أردت التنصيص على نفي شيء من القيود، وإثبات ما عداه نصًا، جئت بـ (غير)، أو (لا) أحيانًا، فتقول: (أقبل محمد راكبًا غير ضاحك)، و (أقبل محمد راكبًا لا ضاحكًا) إذا نفيت الضحك وحده وأثبت الإقبال، ويمكن أن تأتي بـ (بل)، أو (لكن) لإرادة هذا المعنى نفسه شريطة أن يكون الكلام مُصدّرًا بالنفي، كأن تقول: ما راكباً أقبل محمدٌ بل ماشيًا، فقد نفيت الركوب وحده وأثبت المشي، والمعنى على أن المخاطب قد ظنّ أنَّ محمدًا قد أقبل عليه وهو كونه ماشيًا [(٤)].

---

(١) : ٢٨٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣٩٦ – ٣٩٧، وينظر: الكليات:، ٨٨٨.

(٣) ينظر: معاني النحو: ٤/ ٢٢١.

(٤) ينظر: أسلوب النفي- أدواته ودلالاته: ٢٨٤.

يتبين ممّا سبق ذكره أنّ النفي مع القيد في الغالب يكون نفيًا احتماليًّا، وإن كان الظاهر أنّه يفيد نفي القيد وحده، فإذا شئنا التنصيص على نفي جئنا بـ (غير) مع الاسم، وربما صحَّ الإتيان بـ (لا، وبل، ولكن) أيضًا كما لاحظنا في الأمثلة المذكورة آنفًا.

٣ – نفي الشيء والمراد عدم كماله:

قد يُراد من نفي الشيء انتفاء كماله، بمعنى أنّه لا ينبغي أن يوصف بهذا الوصف، كقولك: (إن فلانًا ليس بحي) إذ المقصود أن حياته التي هو فيها لا ينبغي أن تسمى حياةً [(١)].

ومثل هذا "قوله تعالى في صفة أهل النار: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ ﴾ [طه: ٧٤] فنفى عنه الموت؛ لأنه ليس بموت صريح، ونفى عنه الحياة؛ لأنّها ليس بحياة طيّبة ولا نافعة " [(٢)].

٤ – تكرار الفعل في النفي:

للنفي مع تكرار الفعل دلالة تختلف عمّا إذا لم يتكرّر الفعل، فأنت تقول: (ما مررت بمحمد وخالد)، وتقول: (ما مررت بمحمد وما مررت بخالد)، وقد فرَّق قسم من النحويين بين التعبيرين.

قال سيبويه (ت: ١٨٠هـ): " يجوز أن تقول: (مررت بزيد وعمرو) والمبدوء به في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيدًا، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة، فالواو يجمع هذه الأشياء على هذه المعاني، وقد تقول: (مررت بزيد وعمرو) تعني أنّك مررت بهما مرورين، وليس في ذلك دليل على المرور المبدوء به، كأنّه يقول: ومررت أيضًا بعمرو، فنفي هذا (ما مررت بزيد وما مررت بعمرو)" [(٣)].

فيتبيّن لنا من قول سيبويه أنّ النفي يكون بتكرار العامل إذا كان مرَّ مرورين (ما مررت بزيد وما مررت بعمرو) ولا يتكرر العامل إذا كان المرور واحدًا.

وقال الرضي (ت: ٦٨٦ هـ): " وأمّا لو كررت العامل فقلت: (ما جاءني زيد وما جاءني عمرو)، فهو عند سيبويه نفي للمجيئين المنقطع أحدهما عن الآخر. كأنَّ المخاطب توهم أنّه حصل

(١) ينظر: معاني النحو: ٢٢٢/٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣٩٥.
(٣) الكتاب، سيبويه: ١/ ٢٥٤، وينظر: الكليات: ١٠٢٢.

مجيء كلّ واحد منهما، لكن منقطعًا عن مجيء الآخر، فرفعت بهذا الكلام وهمه. وعن المازني هو أيضًا نفي للاحتمالات الثلاث (كذا) كما كان من دون تكرر العامل، وهذا القول أقرب، ويكون فائدة تكرير الفعل المنفي كفائدة زيادة (لا) بعد الواو وأكثر" [١].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي" أنّ رأي المازني أرجح، فتكرار الفعل في نحو هذا يفيد التوكيد، ويفيد نفي احتمال الاجتماع في المجيء، فإذا قلت: (ما حضر محمد وخالد) احتمل أنّك أردت نفي اجتماعهما في الحضور، أي: حضر أحدهما ولم يحضرا كلاهما، واحتمل أنه لم يحضر محمد ولا خالد، فإذا قلت: (ما حضر محمد وما حضر خالد) نفيت أن يكون حضر أيّ واحد على أيّ حال. وكذلك الإثبات، فإنّك إذا قلت: (حضر محمد وحضر خالد) ، فإنّه يحتمل حضورهما معًا، ويحتمل حضورهما منقطعًا أحداهما عن الآخر، كقولك: (حضر محمد وخالد)، وإلّا فإن تكرار الفعل فيه تأكيد". [٢]، ويفهم من ذلك أنّ علماء العربية والدارسين قد عنوا بالدلالة القطعيّة والاحتماليّة في سياق الإثبات عنايتهم بها في سياق النفي.

(١) شرح الرضي على الكافية: ٤/٣٨٤.

(٢) معاني النحو: ٤/ ٢٢٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوّل، وَالآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِر، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ»[1]، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى، سيد الأكوان، وعلى آله الأطهار، ذوي الحجى والبيان، وبعد:

لا يختلفُ اثنانِ على أنّ نفيَ الشّرك بالله تعالى وتنزيهَه عنه، وتوحيدَه يُعَدُّ جوهرَ الدين وغايتَه التي نَشَدَها أنبياءُ الله ورسلُه والأدلاّءُ عليه (سلام الله عليهم أجمعين) وبلّغوا بها الناسَ، ولاقَوا ما لاقَوه في سبيلها.

وقد عُنِيَ علماءُ المسلمين على اختلاف مشاربهم الفكرية، ومناهلهم المعرفيّة، وغاياتهم العلميّة بهذا الموضوع عنايةً فائقةً؛ لما له من ارتباطٍ وثيقِ الصلة بإيمان العبد، وتحديد علاقته بالله تعالى وموقفه من عبادته، وكان له حضورُهُ الكبيرُ في القرآن الكريم، فلا تكادُ تجدُ سورةً من سوره أو قصةً من قَصَصه ما لم يكن نفيُ الشّرك بالله تعالى وإثباتُ وحدانيته أمرًا محوريًّا فيها، وقد تنوّعَ الخطابُ القرآنيُّ، وتلوّنتْ أساليبُه، وتعدَّدتْ أفانينُه في التعبير عن هذه الحقيقة الثابتة، والدعوةِ إلى التصديق والإيمان بها، وبداعٍ من ذلك كلِّه، جاءتْ هذه الدراسةُ التي أشار بها عليَّ أستاذي المشرفُ، ووَسَمَها بـ « **نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم ــ دراسة في الدلالة النحوية**»؛ لتضعَ هذه المدونةَ الخطابيّةَ البيانيّةَ في دائرة الضوء الدلاليّة النحويّة، فتكشفُ عن بلاغة التعبير القرآنيّ، وتسبرُ دقائقَ الخطابِ الإلهيّ، وتتمثّلُ روعتَه، وتقفُ على جماليّاته في نفي الشريك عن الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى عمّا يشركون علوًّا كبيرًا.

ولمّا كانتِ الدراسةُ في الدلالة النحويّة؛ فإنّ مرتكزَها وعمادَها هو موضوعُ النفيّ الذي يُعَدُّ قسيمًا للإثبات في الكلام، وشطرَهُ الآخرَ، وله فيه طرائقُ وأفانينُ، ولذلك جرى تقسيمُ الدراسة إلى ثلاثةِ فصولٍ، يسبقها تمهيدٌ، وتعقُبُها خاتمةٌ بنتائجها، ثم ثبتٌ بمظانّ مادتها.

(١) نهج البلاغة: ١٨٤، الخطبة رقم: ١٠٠.

كَشَفَ التمهيدُ عن مفهومِ الشّرك بالله تعالى، وعن مفهومِ النفي ودلالته النحويّة، وجاء الفصلُ الأول لبيان: **دلالة النفي الصريح للشرك بالله تعالى**، وضمَّ دراسةَ سبع أدواتٍ للنفي بحسب ما ورد فيما ندرسه من آياتٍ، إذ تضمّنَ بيانَ دلالة النفي بـ (لا النافية للجنس)، ودلالة النفي بـ (لا النافية) غير العاملة، ودلالة النفي بـ (ما)، ودلالة النفي بـ (لم)، ودلالة النفي بـ (لن)، ودلالة النفي بـ (ليس)، ودلالة النفي بـ (إنْ) النافية.

وخصصتُ الفصلَ الثانيَ لدراسة: **دلالة النفي الضمني للشرك بالله تعالى**، وضمَّ دراسةَ سبعةِ أساليبَ تضمَّنتْ نفيَ الشّرك، فقد درستُ فيه دلالةَ النفي الضمنيّ بأساليب (الاستفهام، والأمر، والنهي، والقصر، والاستدراك).

واتَّجه الفصلُ الثالثُ لدراسة: **دلالة الظواهر النحوية في نفي الشّرك بالله تعالى**، إذ بعد أن استقرينا النفيَ الصريحَ في الفصل الأول، والنفيَ الضمنيَّ في الفصل الثاني، ووقفنا على دلالتهما، تبيَّن لنا أنّ ثمّةَ ظواهرَ نحويّةً في الآيات التي نفتِ الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم، لا بدّ من استجلاء دلالاتها في التعبير، وتلمُّسِ جمالياتها البلاغيّة والإبلاغيّة في الخطاب، فكان هذا الفصل؛ ليكشفَ عن دلالة هذه الظواهر، التي هي: التوكيد، والتقديم والتأخير، والإظهار في مقام الإضمار، والإضمار والتفسير، وتلاحُق الأساليب.

ويتمثَّل منهجُ الدراسة في كوني اتّخذتُ من الوصف والتحليل سبيلاً للوصول إلى دلالة الأدوات أو الأساليب أو التراكيب النحويّة في نفي الشّرك بالله تعالى في الخطاب القرآنيّ، مستعينةً في ذلك بما توفّره كتب التنظير النحويّ من معرفة بطرائق النفي وأفانينه، مستحضِرةً ما يسطّره المفسرون والمعنيون بدقائق التعبير القرآني من نكاتٍ ولطائفَ، ألُمُّ شتاتَها، وأجمعُ الأشباهَ إلى نظائرها، وأنعِمُ النظرَ في سياقها؛ لأقطفَ ثمارَ هذا المطاف البحثيّ الماتع في رحاب بلاغة النصّ الكريم، غيرَ نائيةٍ عمّا بَذَلَه الدارسون المحدثون من جهود طيّبة في هذا الميدان.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّي اعتمدتُ الإحصاءَ المستنِدَ إلى قراءتي المتأنّية لكتاب الله تعالى أكثرَ من مرّة؛ لمعرفة عدد المرات التي وردتْ فيها هذه الأداةُ أو ذلك الأسلوبُ، متوخّيةً الدقّةَ في

ذلك، بحسب ما أستطيع، وقد اعتدتُ ذكرَ نتيجة الإحصاء بعد التنظير للموضوع المدروس، وقبل الشروع بذكر نماذج من مواضع وروده في القرآن الكريم، محاوِلَةً إيجاد روابطَ دلاليّةً بين مواضع الاستعمال جميعها، ولذلك يَرِدُ الحديثُ هنا مُجْمَلاً عادةً، ثمّ أنتقلُ إلى تفصيل الكلام فيما أختاره من مواضعَ أكشفُ فيها عن دلالة نفي الشّرك بالله تعالى في كتاب الله عزّ وجلّ.

ويطيبُ لي هنا أن أذكُرَ فضلَ أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور حسن عبيد المعموريّ المحترم، الذي اقترحَ عليَّ دراسةَ هذا الموضوع، وصاغ عنوانَهُ، وبنى خُطَّتَه، وقوّم بدقّته المعهودة ما اعوجّ منه، باذلاً في سبيل ذلك وُسْعَهُ، فاللهَ تعالى أسألُ أنْ يجزيَه عنّي أفضلَ الجزاء، وأنْ يحفَظَه للمتعلّمين مرشدًا.

ثمّ أقول: هذا جهدٌ بذلتُه خدمةً لكتاب الله تعالى؛ آمِلَةً أن يكون لي ذخرًا في محياي ومماتي، وقد أفرغتُ له وقتي، وأرخصتُ في سبيله همّتي وجهدي، فإنْ أَصبتُ الغرضَ، فذلك بتوفيق الله عزّ وجلّ وفضلِه، وإنْ أَخطأتُ، فذلك من قصور نفسي وتقصيرها، وحسبي أنّي أخلصتُ النيّةَ، وبذلتُ غايةَ ما أستطيعُ، وأسأله تعالى أن يُقيلَ عثرتي، ويجنّبني الزللَ في القول والعمل، إنّه سميعٌ مجيب، عليه توكلتُ وإليه أنيبُ.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد المصطفى وآله الطاهرين.

الباحثة

شروق ماجد شريف المشرفاوي

تشرين الأول ٢٠٢٢م

توطئة

يُعرّف النفي الصريح بأنّه: ما كان بإحدى الأدوات الخاصّة الموضوعة له، كـ (ما، ولا، ولم، ولن، وليس)، وإلّا فهو غير صريح [١].

و قد سمّاه الدكتور إبراهيم أنيس بـ (النفي اللغوي) فقال: " النفي اللغوي لا يكون عادة إلّا بأداة تشعر بهذا النفي " [٢].

وينقسم النفي الصريح على أبواب تبعًا لزمن النفي وفق الأغلب والأعم من الاستعمال، وذلك على النحو الآتي:

أ – النفي في الحال: وأدواته: لا، ليس، وما، وإن، ولات .وقد بدأ بـ (لا) لكثرة الحديث عنها وتشعّبه، ثم كانت (ليس) بعدها، ثمّ ما حُمِل عليها بمعنى إعطاءه أحكامها لا القياس، وهي تشابه (ليس) في نفي الحال والجمود، والدخول على الجمل الاسمية .

ب – النفي الماضي: ومن أدواته: لم، ولما .

ج –النفي في المستقبل ومن أدواته: لن [٣].

و ذكر السيوطي كلامًا مهمًّا عن النفي وأدواته نورده بتمامه لأهميته؛ إذ قال: "أصل أدوات النّفي (لا، وما) ؛ لأنّ النّفي إمّا في الماضي وإمّا في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبدًا و (لا) أخفّ من (ما) فوضعوا الأخفّ للأكثر. ثمّ إنّ النّفي في الماضي إمّا أن يكون نفيًا واحدًا مستمرًّا أو نفيًا فيه أحكام متعدّدة وكذلك النّفي في المستقبل، فصار النّفي على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات (ما، ولم، ولن، ولا)، وأمّا (إنْ، ولمّا) فليسا بأصلين، فـ (ما، ولا) في الماضي والمستقبل متقابلان و(لم) كأنّه مأخوذ من (لا وما)؛ لأنّ (لم) نفي للاستقبال لفظًا والمضيّ معنًى، فأخذ اللّام من (لا) الّتي هي لنفي المستقبل والميم من (ما) التي هي لنفي الماضي وجمع بينهما

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن : ٢/ ٣١٦.
(٢) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١٦٣.
(٣) ينظر: أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى (رسالة ماجستير)، جمال محمد النّحال: ٤.

إشارة إلى أنّ في (لم) إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدّم اللّام على الميم إشارة إلى أنّ (لا) هي أصل النّفي ولهذا ينفى بها في أثناء الكلام، فيقال: لم يفعل زيد ولا عمرو، وأمّا (لمّا) فتركيب بعد تركيب كأنّه قال: (لم وما) لتوكيد معنى النّفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضًا؛ ولهذا تفيد (لمّا) الاستمرار"[1].

يكشف لنا هذا النص عن فهم واع ومتكامل لموضوع النفي ودلالاته وأدواته، وهو لا يخرج عن النفي الصريح الذي يقوم على أدوات موضوعة للنفي، وليس يستفاد من أدوات أو أساليب أخرى.

ونخلص من ذلك إلى أنّ النفي الصريح هو ما يؤدى بأدوات خاصّة وضعت لتأدية معنى النفي في الكلام .

ويبدو أنّ أدوات النفي أنّما تصدرت الجُمل لكي تكون أوّلَ ما يطرقُ أسماع المتلقي، فيفهم أنَّ الجملة بُنيت على النفي وليس على الإثبات الذي هو الأصل في بناء الجملة.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٦١-٢٦٢.

أولًا : دلالة النّفي بـ (لا) النافية للجنس:

تفيد (لا) النافية للجنس النفي المؤكّد. [١] ؛ لأنّك " إذا قلت: لا رجل في الدّار لم تقصد إلى رجل بعينه، وإنّما نفيت عن الدّار صغير هذا الجنس وكبيره، فهذا جواب قولك: هل من رجل في الدّار ؛ لأنّه يسأل عن قليل هذا الجنس وكثيره " [٢].

وتسمى بـ " (لا) التبرئة دون غيرها من أحرف النفي، وحق (لا) التبرئة أن تصدق على (لا) النافية كائنة ما كانت؛ لأنّ كل من برأته، فقد نفيت عنه شيئًا، ولكنهم خصوها بالعاملة عمل (إنّ)، فإن التبرئة فيها أمكن منها في غيرها؛ لعمومها بالتنصيص " [٣].

وأورد الزركشي أنّها " تنفي ما أوجبته (إنّ)؛ فلذلك تشبّه بها في الأعمال نحو: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [٤]،﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [٥]،﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [٦] " [٧].

وهي" تعمل عمل (إنّ) وذلك إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل التّنصيص، وتسمّى حينئذ تبرئةً وإنّما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافًا أو شبهه وإلّا فيركّب معها نحو: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٨]، ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [٩] " [١٠].

وهي أداة نفي أصلية تنفي الجنس، يُقال: لا رجل في الدار ولا امرأة، فالنفي في هذا المثال مسلط على النسبة بين المسند إليه والمسند، لا على المفرد الذي اتصلت (لا) به؛ لأنّه لا معنى لنفي

---

(١) ينظر: الكتاب: ٢/٢٧٤، واللمع في العربية، ابن جني: ٤٤، والجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين المرادي: ٢٩٠.

(٢) المقتضب، المبرد: ٤/٣٥٧.

(٣) شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري:١/ ٣٣٦.

(٤) يوسف: من الآية ٩٢.

(٥) الأحزاب: من الآية ١٣.

(٦) النحل: من الآية ٦٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن، ٤/٣٥١،٣٥٢.

(٨) البقرة: من الآية ١٦٣.

(٩) البقرة: من الآية ٢.

(١٠) الإتقان في علوم القرآن،٢/٢٦٩،

رجل أو امرأة وحدهما. وفي نحو قولهم: لا رجل في الدار النفي مسلط على وجود رجل في الدار، ولا تنفي (لا) المفرد إلّا في مواضع ركبت فيها (لا) مع الاسم تركيبًا أصبحا به كلمة واحدة، وأصبحت (لا) جزءًا من الاسم، نحو قولهم: سرت في الطريق ولا رفيق، أي: سرت وحيداً، فلا رفيق كلمة واحدة تؤدي معنىً مفرداً [١].

والنفي بـ (لا) النافية للجنس أبلغ من النفي بـ (لا) النافية غير العاملة، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: من الآية ٩٤] قوله: (فلا كفران لسعيه) أبلغ من قوله: (فلا يكفر سعيه) [٢].

ويظهر مما سبق بيانه أنّ النفي بـ (لا) النافية للجنس مؤكَّد؛ ولذلك وردت كثيرًا في آيات نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم؛ وبدأت بها كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله)، التي أفادت توحيد الله المطلق، وعبر عن ذلك في نفي الألوهية عن غير الله تعالى بـ (لا) النافية للجنس، وإثباتها لله تعالى وحده بأسلوب القصر بـ (إلّا)، فهناك ملازمة في الاستعمال بين (لا) النافية للجنس وأسلوب القصر؛ لأنّه نفي وإثبات، نفي الشّرك بالله تعالى، وإثبات الألوهية له تعالى، فيقصر العبادة على الله سبحانه وتعالى.

وثمّةَ " فرق بين أنْ يقول من شهد: أنّ الله إله، ومن شهد أنْ لا إله إلّا الله: فمن شهد أنّ الله إله قد يشهد أنّ غيره إله فلم ينف شيئاً، ولكن لا بُدَّ أنْ يقول: لا إله إلّا الله، (لا) نفي للجنس (إله) جنس الآلهة يعني: أنا أنفي وجوداً حق لأي إله من الآلهة، إلّا الإله الواحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا معنى كلمة التوحيد: (أشهد أن لا إله إلّا الله)، أي: أنَّني مستيقن أن المعبود واحد لا شريك له. أما غيره من الآلهة وإنْ وردت فهي باطلة". [٣]

ولعلَّ إيثار لفظ الجلالة في كلمة التوحيد مردّه إلى" أنّ كلمة الشّهادة، وهي الكلمة الّتي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلّا هذا الاسم، فلو أنّ الكافر قال: أشهد

(١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٨-٢٤٩.
(٢) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة: ٥٤٠/٢.
(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الطبيب أحمد حطيبة: ٣/ ٦.

أنّ لا إله إلّا الرّحمن، أو إلّا الرّحيم، أو إلّا الملك، أو إلّا القدّوس لم يخرج من الكفر، ولم يدخل في الإسلام، أمّا إذا قال أشهد أن لا إله إلّا الله، فإنّه يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام، وذلك يدلّ على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصّيّة الشّريفة". (١)

ولاسيَّما أنّ لفظ الجلالة اسم مختصّ بالله تعالى. وهو اسمه الأعظم عند جماعة من عظماء الأمّة، وأعلام الأئمّة (٢).

ومن دلائل عظمة هذا الاسم (الله) أنّه يوصف ولا يوصف به، فنقول: الله الرحمن الرحيم وليس العكس، فهو يحمل كل سمات الأسماء الأخرى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الأعراف: من الآية ١٨٠]، فكل اسم من أسمائه تعالى موجود تحت مظلّة لفظ (الله) (٣) .

وقد عُنِي العلماء القدماء بإعراب كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله) حتى إنّ كلًّا من ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ)، والزركشي قد ألَّف رسالة كاملة فيها سماها (إعراب لا إله إلّا الله).

وإعراب الجزء الأول من كلمة التوحيد (لا إله) لا خلاف فيه " لا: نافية للجنس تعمل عمل (إنّ). إله: اسمها مبني على الفتح في محل نصب " (٤).

أمّا خبرها، فقد اختلف النحويون في تقديره، إذ ذكر الزركشي أن " قول: (لا إله إلّا الله) قدر فيه الأكثرون خبر (لا) محذوفًا، فقدر بعضهم (الوجود)، وبعضهم (لنا)، وبعضهم (بحق) قال؛ لأنّ آلهة الباطل موجودة في الوجود كالوثن، والمقصود نفي ما عدا إله الحق، ونازع فيه بعضهم، ونفى الحاجة إلى قيد مقدّر؛ محتجًا بأنّ نفي الماهيّة من غير قيد أعم من نفيها بقيد، والتّقدير أولى، جريًا

(١) مفاتيح الغيب، الرازيّ: ١/ ١٤٩.
(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي : ٢/ ١٢.
(٣) ينظر: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم :١/ ٥٢.* هذا الكتاب عبارة عن مجموعة حلقات تلفزيونية لبرنامج : لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي، والدكتور حسام النعيمي، والكلمة وأخواتها للدكتور/ أحمد الكبيسي. وبعض كتب الدكتور/ فاضل السامرائي. جمعتها الباحثتان سمر ويسرا الأرناؤوط.
(٤) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح :١١/ ١٠٢.

على القاعدة العربيّة في تقدير الخبر، وعلى هذا، فالأحسن تقدير الأخير لما ذُكِر؛ ولتكون الكلمة جامعة لثبوت ما يستحيل نفيه ونفي ما يستحيل ثبوته" [١].

وذكر بعض المفسرين عدم جواز تقدير خبرها بـ (موجود) بل يقدر بـ (حقًا)، إذ " لا يجوز هذا الإعراب مع هذه الكلمة العظيمة، فلا تقول: لا إله موجود إلّا الله، فكم من آلهة غير الله موجودة، وكلّها باطلة، فلا بُدَّ من التقدير بهذا الوصف: لا معبود بحق إلّا الله سبحانه وتعالى. فليس من اللائق أن تقول: لا إله موجود غير الله سبحانه، قال الله عز وجل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ [مريم:٨١]، فكلمة (لا إله موجود) هذه لا تصلح، وإنما الذي يصلح فيها أن يقال: التقدير هنا: لا إله حقاً، أما باقي الآلهة فهي آلهة باطلة".[٢]

وذهب الزركشي إلى أنّ في قول (لا إله إلّا الله) نفيًا، وإثباتًا وأنّ مجيئه على هذه الصيغة "؛ يدل على حصر الإلهية لله تعالى، فإن الجمع بين النّفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر، وقد ثبت العلم الضروريّ بالاكتفاء بهذه الكلمة الشّريفة في إثبات التّوحيد لله تعالى من غير نظر إلى واسطة بين النّفي والإثبات، ولا انضمام لفظ آخر إليه " [٣].

وكثيراً ما وردت (لا) النافية للجنس في آيات نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم، فقد جاءت في (٣٧موضعاً) بتراكيب مختلفة، إذ وردت في كلمة التوحيد، ومعلوم أن اسمها هو (إله)، أمّا ما بعد (إلا) فتارة يرد الاسم الظاهر(الله)، وتارة أخرى ضمير الغائب (هو)، وضمير المتكلم (أنا)، وضمير المخاطب (أنت)، والاسم الموصول (الذي)، وذلك على النحو الآتي :

(١) معنى لا إله إلّا الله: ٧٤، ٧٥، وينظر: البرهان في علو م القرآن: ٣/ ١١٥.
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: ٣/ ٧.
(٣) معنى لا إله إلّا الله: ٨٣.

ورد قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (مرتين) [١]، وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٢٩مرة) [٢]، وقوله : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ (٣ مرات) [٣]، وقوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ (مرة واحدة) [٤]، وقوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِى ﴾ (مرة واحدة) [٥]، وورد اسم (لا) وصفًا في قوله: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (مرة واحدة) [٦] .

فنجد أنّ نفي الشّرك بالله بتركيب **(لا) النافية للجنس مع الاسم الصريح (الله)** في كلمة التوحيد: ((لا إله إلّا الله)) ورد في موضعين من القرآن الكريم، الأول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]، والثاني قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]

وإنّما جاء هذا التركيب بلفظ الجلالة الصريح (الله)؛ لأنّه ورد في **سياق الرد على المشركين**، فكلتا السورتين تعرض النزاع بين فئتين. سورة (الصافات) تعرض موضوع التخاصم الذي يدور بين أئمة الضلال وتابعيهم، وتوضح أنّ التابع والمتبوع مشتركان في ذلك اليوم في الذنب، وفي العقاب، ثم توضح السبب الكامن وراء تعاسة أولئك وتقول: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، فالتكبر والغرور وعدم الإذعان للحق والعمل بالعادات الخاطئة والتقاليد الباطلة بإصرار والنظر إلى كلِّ شيء باستخفاف واستحقار تؤدي جميعاً إلى انحراف الإنسان [٧].

والآية في مقام مقول القول، فإن عليهم أن يتوقفوا، ويُجيبوا على مختلف الأسئلة ومنها: يسألونهم عن التوحيد، وقول لا إله إلّا الله، وذلك لغرض توبيخهم، ومعاقبتهم نفسيّاً. إذ يقول تعالى:

---

(١) ينظر: الصافات:٣٥، ومحمد: ١٩.

(٢) ينظر: البقرة: ١٦٣، ٢٥٥، وآل عمران: ٢،٦،١٨، والنساء: ٨٧، والأنعام : ١٠٢، ١٠٦، والأعراف: ١٥٨، والتوبة: ٣١، ١٢٩، وهود: ١٤، والرعد: ٣٠، وطه: ٨، ٩٨، والمؤمنون: ١١٦، والنمل: ٢٦، والقصص: ٧٠، ٨٨، وفاطر: ٣، والزمر: ٦، وغافر: ٣، ٦٢، ٦٥، والدخان: ٨، والحشر: ٢٢، ٢٣، والتغابن: ١٣، والمزمل: ١٩.

(٣) ينظر: النحل: ٢، وطه: ١٤، والأنبياء: ٢٥.

(٤) ينظر: الأنبياء: ٨٧.

(٥) ينظر: يونس: ٩٠.

(٦) ينظر: الأنعام: ١٦٣.

(٧) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٣٠٩/١٤.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ، أي: إنَّهم يستكبرون عن قول كلمة التوحيد إذا قيل لهم قولوا : (لا إله إلّا الله) فأضمر القول. (١)

أمّا سورة (محمد) ﷺ، فقد تناولت المقارنة بين حال المؤمنين والكافرين وخصائصهم وصفاتهم وعواقب ذلك ووعده ووعيده.(٢) ، ثمّ جاء بعدها قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

أي:" إذا علمتَ أنَّ مدارَ السعادةِ هو التوحيدُ والطاعةُ ومناطَ الشقاوةِ هو الإشراكُ والعصيانُ فاثبت على ما أنت عليه من العلمِ بالوحدانيةِ والعملِ بموجبِه" (٣) ، فأتضح من ذلك أنّ هذا الكلام لا يعني أنّ النّبي (ﷺ) لم يكن عالماً بالتوحيد بل المقصود الاستمرار في هذا الخط.

فقد نزلت سورة (محمد) ﷺ " في المدينة حينما كان الاشتباك شديداً بين المسلمين وأعداء الإسلام... وأنّ هذه السورة تبيان لحقيقة أنّ أهل بيت النبي (عليهم السلام) كانوا نموذجاً لأكمل الإيمان وأتمه، وأن بني أمية كانوا المثال البارز للكفر والنفاق" (٤).

واسم السورة الآخر هو (سورة القتال)، والواقع أنّ أهمَّ موضوع ألقى ظلاله على هذه السورة هو مسألة الجهاد وقتال أعداء الإسلام " فبملاحظة أنّ هذه السورة قد نزلت في المدينة حينما كان الاشتباك شديداً بين المسلمين وأعداء الإسلام، وعلى قول بعض المفسّرين أنّها نزلت أثناء معركة أحد أو بعدها بقليل، فإنّ أهم مسألة فيها هي قضية الجهاد والحرب... الحرب المصيريّة التي تميّز المؤمنين عن الكافرين والمنافقين.. الحرب التي كانت تثبت دعائم الإسلام، وردّت كيد الأعداء الذين هبّوا للقضاء على الإسلام والمسلمين في نحورهم . وأوقفتهم عند حدّهم" (٥).

ونلاحظ أنّ لشدة النزاع والصراع بين المؤمنين والكافرين أثرًا في كون الخطاب مباشرًا من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد (ﷺ)، إذ يقول له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ " أي: اعلم أنّ الملجأ

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغويّ: ٤/ ٣٠.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٦/ ١٠٤.
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود : ٨/ ٩٧.
(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦/ ٣١٤، ٣١٥.
(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦/ ٣١٤.

والمأوى الوحيد في العالم هو الله تعالى فالتجيء إليه ولا تطلب حلَّ المعضلات إلّا منه ولا تخش كثرة الأعداء". [١]

وسبب مجيء النفي بـ (لا) النافية للجنس في (لا إله إلّا الله) هو الدلالة على نفي أن يكون معبود بحق غير الله الملك الأعظم نفيًا مؤكدًا [٢].

ويقول ابن عاشور(ت: ١٣٩٣ هـ): "وجيء باسم الذّات هنا؛ لأنّه طريق في الدّلالة على المسمّى المنفرد بهذا الاسم، فإنّ العلم أعرف المعارف لعدم احتياجه في الدّلالة على مسمّاه إلى قرينة أو معونة لولا احتمال تعدّد التّسمية، فلمّا انتفى هذا الاحتمال في اسم الجلالة كان أعرف المعارف لا محالة؛ لاستغنائه عن القرائن والمعونات، فالقرائن كالتّكلّم والخطاب، والمعونات كالمعاد والإشارة باليد والصّلة وسبق العهد والإضافة". [٣]

ويبدو أنّ سبب مجيء النفي بـ (لا) النافية للجنس مع الاسم الصريح (الله) في كلمة التوحيد: ((لا إله إلّا الله)) في هاتين الآيتين؛ هو أن التصريح باسمه تعالى دون بقية أسمائه الحسنى أو استعمال الضمائر العائدة عليه سبحانه أظهر لنفي الشّرك عنه سبحانه وتعالى في مثل هذه المواقف التي تتسم بالنزاع، والتكبر، والعناد، والإنكار، والغرور، والكفر، فالتصريح أبلغ من الإضمار، واستعمال (لا) النافية للجنس دون بقية أدوات النفي؛ لأنَّها خاصة بنفي جنس مدخولها نصًّا ولا يمكن لأيّ أداة نفي تقوم مقامها في هذا العمل والمعنى، فتم اختيارُها بقصد وحكمة في كلمة التوحيد نفيًا واثباتًا، لتأكيد النفي والمبالغة فيه، والموقف يتطلّب نفي الشّرك بالله تعالى، على وجه المبالغة والتأكيد وانكار جنس أي إله غيره .

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦/ ٣٦٦.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعيّ :١٨/ ٢٣٠.
(٣) التحرير والتنوير: ٣/ ١٧.

أما قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فهو أكثر تركيب لنفي الشّرك بالله في القرآن الكريم – **(لا النافية للجنس) مع ضمير الغائب (هو)**– أولها في سورة البقرة [١]، وآخرها في سورة المزمل[٢].

قال الطبري (ت: ٣١٠ هـ) " وأما معنى قوله: (لا إله إلّا هو)، فإنّه خبر من الله جل وعز، أخبر عباده أنّ الألوهيّة خاصّة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد " [٣].

وذكر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) أنّ الشّيخ الغزاليّ رحمة الله عليه كان يقول: (لا إله إلّا الله) توحيد العوامّ، (ولا إله إلّا هو) توحيد الخواصّ، ولقد استحسن الرازي هذا الكلام وقرّره بالقرآن الكريم ، فإنّه تعالى قال: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ ثمّ قال بعده: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[القصص: ٨٨] معناه إلّا هو، فذكر قوله (إلّا هو) بعد قوله (لا إله) فدلّ ذلك على أنّ غاية التّوحيد هي هذه الكلمة [٤].

ولفظة (هو) من أعظم أسماء الله تعالى المظهرات – سوى اسم (الله)– والمضمرات" للدّلالة على ذاته؛ لأنّ أسماءه المشتقّة كلّها لفظها متضمن جواز الاشتراك؛ لاجتماعها في الوصف الخاص، ولا يمنع أن يكون أحد الوصفين حقيقةً، والآخر مجازًا من الاشتراك، وهو اسم من أسماء الله تعالى ينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المبرّأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هو هو. فلفظة هو توصّلك إلى الحقّ، وتقطعك عمّا سواه، فإنّك لا بدّ أن يشرك مع النّظر في معرفة ما يدلّ عليه الاسم المشتق النّظر في معرفة المعنى الّذي يشتقّ منه، وهذا الاسم؛ لأجل دلالته على الذّات ينقطع معه النّظر إلى ما سواه، وهو اسم مركّب من حرفين وهما: الهاء والواو، والهاء أصل والواو زائدة بدليل سقوطها في التّثنية، والجمع في (هما، وهم)، والأصل حرف واحد يدلّ على الواحد الفرد" [٥] .

---

(١) ينظر: البقرة: ١٦٣.
(٢) ينظر: المزمل: ٩.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن:٦/ ١٤٨.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب :١/ ١٤٠.
(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ١/ ٢١٥.

ودلالة قوله تعالى: (لا إله إلّا هو) تأكيد لمعنى الوحدة وتنصيص عليها لرفع احتمال أن يكون المراد الكمال كقولهم في المبالغة هو نسيج وحدة، أو أن يكون المراد إله المسلمين خاصّةً كما يتوهّمه المشركون، وقد أفادت جملة (لا إله إلّا هو) التّوحيد؛ لأنّها نفت حقيقة الألوهيّة عن غير الله تعالى [١] .

وقد ورد النفي بـ (لا) النافية للجنس مع ضمير الغائب (هو) في (٢٩) موضعاً [٢] بسياقات متعددة نذكر منها:

- **سياق إلقاء الحجة على أهل الكتاب**، إذ وردت (لا) النافية للجنس في هذا السياق مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [٣] في سورتي البقرة وآل عمران، وفي كلتا السورتين هنالك عدة روابط دلالية نذكر منها :

أولًا: أن السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة في كلتا السورتين يشير إلى أحقية الرسول الأكرم (ﷺ)، والقرآن المجيد، وبعد إتمام الحجّة بنزول الآيات الكريمة من الله تعالى، وشهادة الفطرة، والعقل على وحدانية الله، وصدق دعوة النبي (ﷺ)، فلا سبيل للمخالفين سوى العقوبة، فيأتي بعدها قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[آل عمران: من الآية ٤] .

ثانيًا: أنّ كلتا السورتين تبدأ بالحروف المتقطعة (أ. ل. م) " لمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن. وكانت تلك الفواتح كفيلة بتنبيه هؤلاء وأولئك إلى ما كان يلقى عليهم حتى لا يفوتهم شيء. وما تنفك هذه الفواتح من عوامل الاستغراب، ولا يخلق الاستغراب إلّا الاهتمام، ولا يثير الاهتمام إلّا التنبيه، ولن ينبه الناس ويقرع أسماعهم صوت أجل وقعًا من هذه الحروف المقطعة الأزلية التي همستها

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٧٥.
(٢) ينظر: البقرة: ١٦٣،٢٥٥، و آل عمران: ٢، ٦،١٨، والنساء: ٨٧، والأنعام : ١٠٢، ١٠٦، و الأعراف : ١٥٨، و التوبة: ٣١، ١٢٩، وهود: ١٤، و الرعد: ٣٠، و طه: ٨، ٩٨، والمؤمنون: ١١٦، والنمل: ٢٦، و القصص: ٧٠، ٨٨، وفاطر: ٣، والزمر: ٦، وغافر: ٣، ٦٢، ٦٥، و الدخان: ٨، و الحشر: ٢٢، ٢٣، و التغابن: ١٣، و المزمل: ١٩.
(٣) ينظر: البقرة : ٢٥٥، وآل عمران: ٢.

السماء في أذن الأرض!" [١]، فالتعبير القرآني " تعبير فني مقصود كل لفظة وكل عبارة وردت فيه لعظة على حروفها وهو مقصود قصداً" [٢] .

ثالثًا: ورود اسمين متتابعين من أسماء الله الحسنى (الحي القيوم) في هاتين الآيتين فقط من القرآن الكريم، وهذان الاسمان جامعان لكمال الأوصاف والأفعال، وأنّ كل كائنات العالم تستند إليه سبحانه وتعالى، " فكمال الأوصاف في(الحي)، وكمال الأفعال في (القيوم)؛ لأنّ معنى (الحي) ذو الحياة الكاملة، ويدل على ذلك (أل) المفيدة للاستغراق...، و(القيوم) : أصلها من القيام، ووزن (قيوم) فيعول، وهي صيغة مبالغة، فهو القائم على نفسه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه، والقائم على غيره فكل أحد محتاج إليه" [٣].

أمّا علة اقتران اسم الله تعالى (الحي) بـ (القيوم)، فقد ذكر الرازي أنّها لغرض المدح، "فإن قيل: الحي معناه الدّرّاك الفعّال، أو الّذي لا يمتنع أن يعلم ويقدر، وهذا القدر ليس فيه مدح عظيم، فما السّبب في أنّ ذكره الله تعالى في معرض المدح العظيم؟ فالجواب: أنّ التّمدُّح لم يحصل بمجرّد كونه حيًّا، بل بمجموع كونه حيًّا قيّومًا؛ وذلك لأنّ القيّوم هو القائم بإصلاح حال كلّ ما سواه، وذلك لا يتمّ إلّا بالعلم التّامّ، والقدرة التّامّة، والحيّ هو الدّرّاك الفعّال، فقوله: (الحيّ) يعني كونه درّاكًا فعّالًا، وقوله: (القيّوم) يعني كونه درّاكًا لجميع الممكنات فعّالًا لجميع المحدثات والممكنات، فحصل المدح من هذا الوجه" [٤].

رابعًا: أنّ السورتين متتاليتان في الترتيب سورة البقرة، وبعدها سورة آل عمران، وذلك من باب تناسب خاتمة السورة مع بداية السورة التي تليها، وآية الكرسي تقع ضمن آخر آيات سورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[آل عمران: ١، ٢] تقع في بداية سورة آل

(١) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٢٤٥.
(٢) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل السامرائي: ٤٠.
(٣) تفسير العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ٣/ ٢٥١.
(٤) مفاتيح الغيب: ١/ ١٢٦.

عمران. وقد ذكر الطبرسي" أنّ الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والإيمان؛ افتتح هذه السورة بالتوحيد والإيمان أيضًا " [١] .

فاتضح أنّ موضوع السورتين واحد ودلالتهما واحدة، لذا ناسب أنْ ترد الآيتان بالتعبير القرآني نفسه لإثبات وحدانية الله تعالى ونفي الشّرك عنه.

ويقول ابن عاشور في بيان دلالة مجيء لفظ الجلالة (الله) في بداية الآية الكريمة "وجيء بالاسم العلم: لتربية المهابة عند سماعه، ثمّ أردف بجملة (لا إله إلّا هو)، جملةً معترضةً أو حاليّةً، ردًّا على المشركين، وعلى النّصارى خاصّةً. وأتبع بالوصفين الحيّ القيّوم؛ لنفي اللّبس عن مسمّى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالإلهيّة، وأنّ غيره لا يستأهلها؛ لأنّه غير حيّ أو غير قيّوم" [٢]

وفي كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) يبيّن القرآن وحدانية خالق الوجود التي هي أساس الإسلام، وهذه الحقيقة موجودة في لفظة (الله)؛ لذلك، فإنّ (لا إله إلاّ هو) تأكيد لتلك الحقيقة نفسها. [٣]

- **سياق التأكيد على أنّ رسالة النبي محمد** (ﷺ) **رسالة عالمية**، إذ ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بالتركيب نفسه (لا النافية للجنس مع ضمير الغائب) في هذا السياق ثلاث مرات، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾[الرعد: ٣٠]

(١) مجمع البيان: ٢/ ٢٠٩.
(٢) التحرير والتنوير :٣/ ١٤٧.
(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٢٤٤.

وهنالك أكثر من رابط دلالي تشترك فيه هذه الآيات الثلاث. **أولها**: قوله تعالى: (قلْ) الذي تكرر في الآيات الثلاث، وفيه توجيه أمر للرسول (ﷺ) بأن يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا إله إلّا هو.

وثانيها: أن الكلام السابق لقوله (لا إله إلّا هو) يشير إلى أن دعوة الرسول (ﷺ) كانت للناس جميعاً، لم يخص بها العرب دون سواهم، فلفظة (الناس، أمة، من عند أنفسكم) ألفاظ عامة لا يمكن تخصيصها بفئة دون أخرى، وإنّما تشمل الناس كلّهم عربيهم وأعجميهم، فقوله تعالى: (قل يا أيها الناس)، و(كذلك أرسلناك في أمة)، و(لقد جاءكم رسول من أنفسكم) دليل واضح على عالمية دعوة رسول الله محمد (ﷺ) والآية نصّ في عموم بعثته للأحمر والأسود، والعربي والعجمي.[1]

ثم جاء بعد ذلك بذكر رسالته، وهي التوحيد بقوله: (لا إله إلّا هو) ، أي: فالكل منقادون لأمر الله تعالى خاضعون له؛ لأنه لا موجود بالفعل، ولا بالإمكان من يصلح للإلهية سواه [2].

- **سياق وصف الله ذاته الكريمة في معرض إثبات وحدانيته**، إذ ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (لا النافية للجنس مع ضمير الغائب) في هذا السياق مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[القصص: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥]

ونلحظ أنّ هناك رابطًا دلاليًّا تجتمع فيه الآيتان الكريمتان، وهو أنّهما معطوفتان على ما قبلهما، ففي الآيات السابقة لهما يخبرنا الله تعالى بأنّه المنفرد بالخلق وليس له في ذلك ند، أو منازع، وهو العالم بما تخفيه الصدور، وما يُعلن عنه من الأمور، كما يذكر فيها عددًا من نعمه على عباده التي جعلها دلائل لإثبات ألوهيته، ووحدانيته، وتوجيه الخلق إلى عبادته وحده، والإخلاص له دون سواه، وبعد هذا البيان والإخبار عطف إثبات ألوهيته بقوله: (لا إله إلّا هو)، فهو

(١) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي: ٥/ ٢٠٦.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣/ ١٣٥.

كالنتيجة والتقرير لما قبله؛ فمن كان بيده الخلق، والعالم بكل شيء، فهو الإله الواحد الأحد الذي يستحق العبادة، وأتبع إثباته تعالى لألوهيته بحمده لذاته الشريفة بقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ و ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فكان بمنزلة الاستدلال والتعليل لثبوت إلهيته ووحدانيته ؛ ذلك أنّه تعالى هو الذي قد أحاط بكلّ أوصاف الجلال، و الكمال، وهو المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم، فيستحق الحمد والثناء التامّين، ولا يستحق ذلك سواه؛ وبهذا فهو المستحقّ للألوهية، وحده سبحانه، فقد جعل الحمد علّة لما في الآية من الأمر بعبادة الله وتوحيده، أي: بما أنّ الله هو المستحقّ للحمد بأوصافه الكاملة، ونعمه الجزيلة فهو الذي ينبغي أن يوحّد ويعبد دون سواه [١].

وقوله تعالى:" (لا إله إلّا هو) أي: هو المنفرد بالإلهيّة، فلا معبود سواه، كما لا ربّ يخلق ما يشاء ويختار سواه له الحمد ... في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته" [٢].

وقوله تعالى: (له الحمد)، و(الحمد لله) " استدلال على انتفاء إلهيّة غيره بحجّة أنّ النّاس مؤمنهم، وكافرهم لا يحمدون في الدّنيا إلّا الله، فلا تسمع أحدًا من المشركين يقول: الحمد للعزّى، مثلًا... وتعريف الحمد تعريف الجنس المفيد للاستغراق، أي: له كلّ حمد" [٣].

وعلل الطبري مجيء (الحمد لله) بعد قوله تعالى: (لا إله إلّا الله) قائلًا:" وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلّا الله، أن يتبع ذلك الحمد لله ربّ العالمين؛ تأوّلاً منهم هذه الآية بأنّها أمر من الله بقيل ذلك" [٤].

ولا ريب في أنّ في حمده لذاته في هذا المقام أمراً لعباده أن يحمدوه على نعمائه، وكمال أوصافه بما أنّه أهل للحمد والثناء [٥].

---

(١) ينظر: حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة، عماد بن زهير حافظ: ٥٠، ٧٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٦/ ٢٢٦، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: ١٠ /٣١٢، محاسن التأويل: ٧/ ٥٣٥، التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٦٦.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٠/ ١٦٧.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢١/ ٤١٠، وينظر: محاسن التأويل: ٨/ ٣١٨.

(٥) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٤/ ١٢٢، ومفاتيح الغيب: ٢٥/ ١١، ومحاسن التأويل: ٨/ ٣١٨.

- **سياق الرد على النصارى، والتأكيد على علم الله، و قدرته المطلقة**، إذ ورد نفي الشّرك بالله بـ (لا) النافية للجنس في هذا السياق مرتين، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [1]، ويمكن أن نلحظ أكثر من رابط دلالي تجتمع فيها الآيتان :

أحدها: أنّهما وردتا في السورة نفسها – سورة آل عمران – واختتمتا باسمين متتاليين من أسماء الله الحسنى وهما (العزيز الحكيم) للإشارة إلى كمال القدرة والعلم.

قال الرازي:" أما قوله العزيز الحكيم، فالعزيز إشارة إلى كمال القدرة، والحكيم إشارة إلى كمال العلم، وهما الصفتان اللتان يمتنع حصول الإلهية إلّا معهما... وقدم العزيز على الحكيم في الذكر؛ لأنّ العلم بكونه تعالى قادراً متقدم على العلم بكونه عالماً في طريق المعرفة الاستدلالية، فلما كان مقدماً في المعرفة الاستدلالية، وكان هذا الخطاب مع المستدلين، لا جرم قدم تعالى ذكر العزيز على الحكيم" [2].

وأشار ناصر مكارم الشيرازي إلى سبب مجيء هاتين الصفتين بعد كلمة التوحيد قائلًا:" لمّا كان قوله (لا إله إلاّ هو) تعظيماً وإظهارًا لوحدانيّته، فقد اختتم بالصفتين (العزيز) و(الحكيم) ؛ لأنّ القيام بالقسط يتطلّب القدرة، والحكمة، وأن الله القادر على كلّ شيء، والعليم بكلّ شيء هو وحده القادر على إجراء العدالة في عالم الوجود" [3].

وثانيها: أنّ لهما علاقة بسبب نزول السورة المتقدّم في بداية السورة من أنّ المسيحيّين أنفسهم يوافقون على أنّ المسيح عيسى ابن مريم كان جنيناً في بطن أمّه مريم، ثمّ تولّد منها، إذن فهو مخلوق، وليس بخالق فكيف يكون معبوداً ؟ ! فكيف يدعون أنّه ابن الله وهو يأتي عليه الفناء، والله حي لا يموت، فلو كان ابن الله لشابه أباه من جميع النواحي، وربّنا قيّم على كلّ شيء ويحفظه

(١) ينظر: آل عمران :٦، ١٨.
(٢) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٧١، وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ: ٢/ ٤١٢، والبحر المحيط في التفسير: ٣/ ٦٦، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٢٤، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ٦، وتفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ١٨٦، ٢١٤.
(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٤٢٧.

ويرزقه، وعيسى لا يملك شيئا من ذلك، فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية [١].

وذهب ابن عاشور إلى أنّ قوله تعالى: (لا إله إلّا هو العزيز الحكيم) " تذييل لتقرير الأحكام المتقدّمة ... وفي افتتاح السّورة بهذه الآيات براعة استهلال لنزولها في مجادلة نصارى نجران؛ ولذلك تكرّر في هذا الطّالع قصر الإلهيّة على الله تعالى في قوله: الله لا إله إلّا هو" [٢].

وذكر ناصر مكارم الشيرازي: "أنّ الله بخلقه عالم المخلوقات الذي يسوده نظام موحّد، وتتشابه قوانينه في كلّ مكان، وتجري وفق برنامج واحد، لتكوّن (وحدة واحدة) و (نظاماً واحداً)، قد أظهر عملياً أنّ الخالق، والمعبود في العالم ليس أكثر من واحد، وأنّ كلّ شيء ينطلق من ينبوع واحد. وعليه، فإنّ خلق هذا النظام الواحد شهادة ودليل على وحدانيّته" [٣]، وهذا يكشف لنا أثر نفي الشّرك عنه جل و علا في هذا السياق.

- **سياق نفي الشك عن يوم القيامة والجمع فيه**، وقد ورد نفي الشّرك بالله في هذا السياق أربع مرات [٤]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[النساء: ٨٧]

وهنالك عدة روابط دلالية تشترك فيها الآيات الكريمة وهي:

أولًا: تعد هذه الآيات مكملة للآيات التي سبقتها التي تعرض حال المشركين، وعنادهم، ومحاججة الله تعالى لهم عسى أن يهتدوا، ويتوبوا إلى الله الواحد الأحد، ومقدمة للآيات التي تليها، التي تبيّن ما سيؤول إليه مصيرهم، فبعد أنْ ألقى عليهم الحجة، وحذرهم بأنّه سيأتي يوم يرجعون فيه إلى الله ليجازيهم على كفرهم؛ استحقوا العقاب على كفرهم، وعنادهم بعد ما جاءهم البينات لا محالة .

(١) ينظر: مجمع البيان: ٢٠٨/٢، ٢٠٩، والبحر المحيط في التفسير: ٣/ ٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ٣.

(٢) التحرير والتنوير:٣/ ١٥٣.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٤٢٦.

(٤) ينظر: النساء: ٨٧، و القصص: ٧٠، ٨٨، وغافر: ٣.

ثانيًا: في هذه الآيات كلها قدم الله تعالى الإقرار بوحدانيته جل وعلا، ثم تلاها بالإخبار أنّه سبحانه جامع الناس إلى يوم القيامة، وأنّ مرجعهم، ومصيرهم إليه، وأنّ ذلك اليوم واقع لا ريب فيه، ولا فرق في المراد من الحالتين؛ لأنّ نفي الشك عن الجمع يتضمن نفيه عن يوم البعث، والحساب لأنه حاصل فيه [١].

ثالثًا: إنّ الآيات تشير إلى قضية غيبية، هي قضية يوم البعث والحساب، حيث المحكمة الإلهية العادلة التي تشمل البشر أجمعين، وتقرنها بمسألة التوحيد، الذي هو أول ركن من أركان الإسلام، وقوله تعالى: ((ليجمعنكم، وإليه ترجعون، وإليه المصير)) يشير إلى الشمولية لكل البشر، وفي يوم واحد هو يوم القيامة للثواب، والعقاب، والحساب [٢].

وتُبيِّنُ هذه الآيات أنّ التّوحيد، والعدل متلازمان، فقوله: ((لا إله إلّا هو)) إشارة إلى التّوحيد، وقوله: ((**ليجمعنّكم إلى يوم القيامة، وإليه ترجعون، وإليه المصير**)) إشارة إلى العدل [٣].

وفي قوله: (لا إله إلّا هو) توحيد مطلق " والمعنى أنّه وصف نفسه بصفات الرّحمة والفضل، فلو كان معه إله آخر يشاركه، ويساويه في صفة الرّحمة، والفضل لما كانت الحاجة إلى عبوديّته شديدةً، أمّا إذا كان واحدًا، وليس له شريك، ولا شبيه كانت الحاجة إلى الإقرار بعبوديّته شديدةً، فكان التّرغيب، والتّرهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التّوحيد... وقوله: (إليه المصير)، وهذه الصّفة ممّا يقوّي الرّغبة في الإقرار بعبوديّته، لأنّه بتقدير أن يكون موصوفًا بصفات الفضل والكرم، وكان واحدًا لا شريك له، إلّا أنّ القول بالحشر، والنّشر إن كان باطلًا لم يكن الخوف الشّديد حاصلًا من عصيانه، أمّا لمّا كان القول بالحشر، والقيامة حاصلًا كان الخوف أشدّ، والحذر أكمل، فلهذا السّبب ذكر الله تعالى هذه الصّفات، واحتجّ أهل التّشبيه بلفظة إلى، وقالوا إنّها تفيد انتهاء الغاية" [٤]،

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٢/ ٨٨، والبحر المحيط في التفسير: ٤/ ٦، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ٢١١.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣/ ٣٦٥.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب:١٠/ ١٦٧.
(٤) مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٤٨٥.

فالمعنى " وإلى محلّ حكمه، وقضائه ترجعون، فإنّ كلمة (إلى) لانتهاء الغاية، وهو تعالى منزه من المكان والجهة" (١).

ولا يقتصر المعنى في هذه الآيات على عودة الجميع، ورجوعهم كافةً إلى الله تعالى في يوم البعث، والحساب " و إنّما تشير أيضاً إلى الانتهاء المطلق لكل الأمور في هذا العالم، والعالم الآخر إليه تعالى، وانتهاء سلسلة الوجود إلى قدرته، وإرادته " (٢).

ولا ريب أنّ في تقديم الجار، والمجرور بقوله تعالى: (وإليه ترجعون)، و (إليه المصير) "اهتماماً بالانتهاء إليه سبحانه، وإلى حكمه، وقضائه " (٣).

وهذه الآيات يمكن أن تكون دليلًا على نفي الشّرك بالله تعالى، وترك جميع أنواع عبادة الأصنام طالما كان معادنا إليه، وإليه نرجع! فما عسى أن يكون دور المعبودات غيره، وأي أحد يستحق العبادة سواه!؟ (٤).

- **سياق توحيد العبادة على أساس توحيد الخالقية والرازقية**، وقد ورد نفي الشّرك بالله في هذا السياق ثلاث مرات (٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[غافر: ٦٢]، وهنالك عدة روابط دلالية تشترك فيها الآيات الكريمة وهي:

أولًا: السور الثلاث (فاطر، والزمر، وغافر) التي وردت فيها الآيات الكريمة نزلت في مكّة المكرمة؛ ولذلك فهي تتناول القضايا المتعلقة بالتوحيد، وأهميّة القرآن، ومقام نبوّة النبيّ محمد (ﷺ)، والبعث والحساب، كما هو الحال في بقية السور المكّية. وتتحدث السور أيضًا عن مسألة الدعوة إلى توحيد الله تعالى في الخلق وفي العبودية وفي الربوبية، وتسلط الضوء على مسألة الإخلاص في العبادة لله

(١) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ١٢.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:١٥/ ١٨١.
(٣) حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة: ٥٢، وينظر: التحرير والتنوير:٢٠/ ١٦٨.
(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:١٢/ ٣١٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤/ ١٨٤، ٥/ ٥١، و جامع البيان في تأويل القرآن:٨/ ٥٩٢،١٩/ ٦١٢، ٢١/ ٣٥١، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٧/ ٢٣، ٧/ ٢٨.
(٥) ينظر: فاطر: ٣، والزمر: ٦، وغافر: ٦٢.

تعالى، وآيات هذه السورة في هذا المجال مؤثرة جدّاً، بحيث تجذب قلب الإنسان وتدفعه نحو الإخلاص [١].

ثانيًا: الآيات الثلاثة تبدأ بمسألة الخلق التي تعدّ بمنزلة الدليل، وتعقبها مسألة التوحيد التي هي النتيجة لذلك.

ثالثًا: تُختَم الآيات الثلاث بتساؤل: كيف يسوّغ الإنسان لنفسه الانحراف بعد هذه الأدلة كلها، والتنكّب عن الجادة المستقيمة ؟ فيقول تعالى: (فأنّى تؤفكون)، و (فأنّى تصرفون)، وتعني: الانحراف عن جادة الصواب، والرجوع عن طريق الحق[٢].

رابعًا: الآيات التي تسبقها تبيّن بعض وجوه نعم الله التي يستحق الحمد عليها، وهي على كثرتها يمكن حصرها في قسمين: نعمة الإيجاد في ابتداء الخلق، ونعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء، فالله تعالى يبدأ الخلق، ثم يرزقه من نعمه ليحيا في هذه الدنيا إلى أجل مسمى، ثم يعيده إليه يوم القيامة؛ لأجل الحساب والثواب والعقاب [٣].

ثم جاء بعدها قوله (لا إله إلّا هو) فبيّن أنّه" لا إله إلّا هو نظرًا إلى عظمته حيث هو عزيز حكيم قادر على كلّ شيء قدير نافذ الإرادة في كلّ شيء، ولا مثل لهذا، ولا معبود لذاته غير هذا، ونظرًا إلى نعمته حيث لا خالق غيره، ولا رازق إلّا هو. ثمّ قال تعالى: (فأنّى تؤفكون)، أي: كيف تصرفون عن هذا الظّاهر، فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت" [٤]، أي:" كيف يصرفون على التّوحيد إلى الشّرك" [٥].

---

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٥، ٣٠٤.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٣٠٤، وجامع البيان في تأويل القرآن: ٢١/ ٤٠٩.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٢٢.

(٤) مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٢٣، وينظر: البحر المحيط: ٩/ ٢٦٩، وتفسير القرآن العظيم: ٦،/ ٤٧٢، ومجمع البيان: ٨/ ٤٠١.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٩/ ١٤.

وذكر ابن عاشور أنّه في قوله: (الله ربّكم خالق كلّ شيء لا إله إلّا هو) " أخبار أربعة عن اسم الإشارة، ابتدئ فيها بالاسم الجامع لصفات الإلهيّة إجمالًا، وأردف بـ (ربّكم)، أي: الّذي دبّر خلق النّاس، وهيّأ لهم ما به قوام حياتهم. ولمّا كان في معنى الرّبوبيّة من معنى الخلق ما هو خلق خاصّ بالبشر بأنّه خالق الأشياء كلّها كما خلقهم، وأردف بنفي الإلهيّة عن غيره فجاءت مضامين هذه الأخبار الأربعة مترتّبةً بطريقة التّرقّي، وكان رابعها نتيجةً لها، ثمّ فرّع عليها استفهام تعجيبي من انصرافهم عن عبادته إلى جانب عبادة غيره مع وضوح فساد إعراضهم عن عبادته. و (فأنّى) اسم استفهام عن الكيفيّة، وأصله استفهام عن المكان فإذا جعلوا الحالة في معنى الجانب ومثار الشّيء استفهموا بـ (أنّى) عن الحالة ". [1]

- **سياق تشريف، وتبجيل الله ذاته الكريمة في معرض إثبات وحدانيته**، إذ ورد نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم في هذا السياق ثلاث مرات [2]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ**﴾[النمل: ٢٦]

والرابط الدلالي الذي تشترك فيه الآيات الثلاث هو أنّها تشير إلى (توحيد العبادة) و(توحيد الرّبوبية) لله تعالى، مؤكدًة نفي كل أنواع الشّرك عنه سبحانه وتعالى، يليها ذكر(العرش) الذي يدل على أعظم ما خلق الله، فهو يشير إلى مجموعة عالم الوجود.

وقد أضاف الله – جلّ وعلا – إلى نفسه في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة عشرين شيئاً على سبيل التشريف والتبجيل...ومنها العرش العظيم: (رب العرش العظيم) .[3]

وإنّما سُمّي العرش بالكريم "؛ لأنّه منزل الرّحمة" [4]

(١) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٨٧.
(٢) ينظر: التوبة: ١٢٩، والمؤمنون: ١١٦، والنمل: ٢٦ .
(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢/ ٣٧.
(٤) مفاتيح الغيب: ٢/ ٢٦٤.

وذكر ابن عاشور أنّ" مجيء جملة: الله لا إله إلّا هو ... استئناف هو بمنزلة النّتيجة للصّفات الّتي أجريت على اسم الجلالة، وهو المقصود من هذا التّذييل، أي: ليس لغير الله شبهة إلهيّة". (١)

فقد جاء هذا التعقيب نتيجةً منطقيةً لكل محتويات السورة من جدل وحجج ودلائل وبينات وما عُرِض فيها من مشاهد يوم القيامة. ليشهد بتنزيه الله- سبحانه وتعالى- عما يقولون ويصفون. وبأنّه الملك الحق، الذي لا إله إلّا هو. صاحب السلطان والسيطرة والاستعلاء: (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) . وكل دعوى بألوهية أحد مع الله، فهي دعوى باطلة ليس معها برهان. لا من الدلائل الكونية، ولا من منطق الفطرة، ولا من حجة العقل. (٢)

ويبدو أن سبب مجيء النفي في الآية الكريمة بـ (لا) النافية للجنس للتأكيد وإبطال كل دعوى بألوهية أحد مع الله تعالى، والمبالغة في تنزيهه جل وعلا عما يصفونه به من العبث والغفلة وعدم الحيطة والشمول بشؤون خلقه ومملكته فسبحانه وتعالى عما يصفون، وجاء بضمير الغائب (هو) للتنبيه أن شأن المخاطبين يستدعي تغييبهم وعدم الالتفات لهم، وختم الآية بالعرش الكريم زيادة في التأكيد على عظمته وقدرته فأنى يدانيه أحد من خلقه.

- **سياق تقرير التوحيد، وإثبات أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى،** إذ ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (لا النافية للجنس) في هذا السياق ثلاث مرات، وقد عبر عن هذه الصفات إمّا مجملة بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[طه: ٨]، أو مفصلة بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر:٢٢]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[الحشر: ٢٣]

(١) التحرير والتنوير: ١٩/ ٢٥٥، ٢٥٦.
(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤/ ٢٤٨٢.

ويمكن أنْ نشير إلى الروابط الدلالية التي تشترك فيها الآيات الكريمة الثلاث، بما يأتي:

أولًا: الآيات التي سبقتها تشير إلى عظمة القرآن، وجلالة قدره، فهو كلام الله عز وجل الذي يتضمن جميع العلوم والمعارف، عسى أنْ يتدبره الناس، فيتلقونه بما يليق به من التلقي، ويوقنون بما فيه من الحق الواضح، ويهتدون إلى ما يهدي إليه من طريق العبودية، والوحدانية .

ثانيًا: الآيات مسوقة للإشارة إلى تسميته (عز وجل) بكل اسم حسن، وتنزيهه، وتوحيده بشهادة كل ما في السماوات والأرض، وهي تفيد أنّ على عباده أنْ يذكروه بأسمائه الحسنى، فهي كلها تنضوي تحت مسمًى واحد هو (الله) عز وجل. وإنّما صدرت الآيات بقوله: (الله) وأعقبه بالأسماء الحسنى إمّا مجملة أو مفصلة؛ لأنّ الأسماء الكريمة تعد من لوازم الربوبية، ومالكية التدبير التي تتفرع عليها المعبودية، و الألوهية بالحق، وهي على نحو الأصالة لله سبحانه وحده لا شريك له، فاتصافه تعالى وحده بها يستوجب استحقاق المعبودية، واختصاص الألوهية به تعالى، فالأسماء الكريمة بمنزلة التعليل لاختصاصه تعالى بالألوهية [1].

وذكر الرازي أنّ المرتبة الخامسة من الإيمان بالله تعالى: معرفة أسمائه قال تعالى في الأعراف: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [من الآية: ١٨٠] ، وقال في طه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[من الآية: ٨] ، والأسماء الحسنى هي الأسماء الواردة في كتب الله تعالى المنزّلة على ألسنة أنبيائه ورسله، وهذه الإشارة إلى معاقد الإيمان بالله [2].

والأسماء الحسنى مذكورة في عدة سور من القرآن الكريم" إذا عرفت هذا فنقول: الأسماء ألفاظ دالّة على المعاني فهي إنّما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنى للحسن في حقّ الله

(١) ينظر: تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٩/ ٢٢٩، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء: ١٠/ ١٣٧١.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧/ ١٠٩.

تعالى إلّا ذكر صفات الكمال، ونعوت الجلال، وهي محصورة في نوعين: عدم افتقاره إلى غيره، وثبوت افتقار غيره إليه" [١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ "هذه الآية الكريمة مستأنفة لبيان أنّه سبحانه وإنْ كانت ذاته المقدسة واحدة، فأسماؤه وصفاته متعددة، فقد كان المشركون يقولون: ما بال محمّد يدعونا إلى إله واحد، وهو يدعو إلهين، الله والرحمن، فقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [٣]. وقد جاء الاسم بمعنى الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ [٤]، أي: صفوهم. والمعنى: ذلك الذي سبقت نعوته العظيمة، وصفاته الجليلة، هو الله الذي لا اله إلّا هو له الصفات العليا في الحسن، والكمال، وإن كانت ذاته جل وعلا واحدة". [٥]

فأيّ اسم من أسماء الله تعالى يفرده عز وجل بالكمال والجلال، ويخصّه بالربوبية والألوهية، فهو من أسمائه التي يدعى بها، ويتعبّد له بذكرها [٦].

وأمّا قوله تعالى: (الله لا إله إلّا هو)، فإنّه " تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهيةِ به سبحانه، فإن ما أُسند إليه تعالى من خلق جميعِ الموجوداتِ والرحمانيةِ والمالكيةِ للكل والعلمِ الشاملِ مما يقتضيه اقتضاءً بيناً، وقوله تعالى: (لَهُ الأسماء الحسنى) بيان لكون ما ذكرَ من الخالقية والرحمانيةِ والمالكيةِ والعالَمية أسماءَه وصفاتِه من غير تعدد في ذاته تعالى" [٧].

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٥/ ٤١٢.
(٢) الإسراء: من الآية ١١٠.
(٣) الأعراف: من الآية ١٨٠.
(٤) الرعد: من الآية ٣٣.
(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٦/ ١٠٠٨.
(٦) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب : ٨/ ٧٨٢.
(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٦/ ٥، ٦.

وقد وصف الأسماء وهي جمع اسم بالحسنى " وإنّما حسن وصف الجمع بالمفرد؛ لأنّ اللّفظ المؤنّث يجوز إطلاقه على جماعة المؤنّث بخلاف لفظ المذكر" [١].

فالآيات السابقة للآية الكريمة "رسمت صورة واضحة عن علم الله اللامتناهي، وعُرِف مُنزِل القرآن من مجموع الآيات أعلاه معرفة إجمالية في الأبعاد الأربعة: الخلقة، والحكومة، والمالكية، والعلم" [٢].

وذكر السيد الطباطبائي أنّ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ " بمنزلة النتيجة لما تقدم من الآيات؛ ولذلك كان الأنسب أن يكون اسم الجلالة خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقدير هذا المذكور في الآيات السابقة هو الله لا إله إلّا هو... إلخ، وإنْ كان الأقرب بالنظر إلى استقلال الآية، و جامعيتها في مضمونها أن يكون اسم الجلالة مبتدأ وقوله: (لا إله إلّا هو) خبره، وقوله: (له الأسماء الحسنى) خبرًا بعد خبر. وكيف كان فقوله: (الله لا إله إلّا هو) يمكن أن يُعلل بما ثبت في الآيات السابقة من توحده تعالى بالربوبية المطلقة، ويمكن أنْ يعلل بقوله بعده: (له الأسماء الحسنى) ". [٣]

وأمّا مجيء طائفة من أسماء الله تعالى مفصلة غير مجملة، فقد ورد في آيتين متتاليتين من سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[الحشر: ٢٢-٢٣]

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢/ ٤٥١، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفيّ: ٢/ ٣٥٧.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ٥٢٨.
(٣) تفسير الميزان : ١٤/ ١٢٢.

فقد خُتِمت سورة الحشر بطائفة من أسماء الله تعالى، واختصاص هذه الأسماء بالذّكر من دون غيرها من أسمائه جل وعلا سر من أسرار القرآن الكريم، ونمط من أنماط إعجازه، أو أنّ لها خصائص تعظم بركتها ويعم نفعها [١].

و" لم يذكر مع أسماء الله، وصفاته غيرهما..، وهذا يعني أن القرآن كله، هو دعوة إلى الله سبحانه، وإلى تجلّي أسمائه، وصفاته على عباده...فالقرآن الكريم كلام الله، وكلامه- سبحانه- صفة من صفاته...ففي كلمات الله تتجلّى صفاته على القلوب المؤمنة، التي من شأنها أن تخشع لذكر الله.. والتفرد بالألوهية، هو أول صفة لله سبحانه، ولهذا كانت هذه الحقيقة أول ما بدئ به من صفات الله تعالى.. (هو الله.. الّذي لا إله إلّا هو.. عالم الغيب والشّهادة) ..فهذا التفرد هو الذي يجعل الكمال المطلق لصفات الله.. فإذا تفرد- سبحانه- بالألوهية، تفرد بالكمال المطلق في كل شيء " [٢].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ سورة الحشر قد" اشتملت على العديد من أسماء الله الحسنى، وهي كلها أسماء تدل على العظمة، والقوة، فكيف أيها المؤمن لا تنتمي لله الذي هذه بعض من صفاته، والذي له الأسماء الحسنى سبحانه؟! ولا ننسى أن السورة ابتدأت أيضاً بتنزيه الله، وتمجيده فالكون كله، وما فيه من متناقضات، وإنسان، وحيوان ونبات، وجماد كله شاهد على وحدانية الله، وقدرته ناطق بعظمته، وسلطانه سبحانه (سبّح لله ما في السّماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم)" [٣]، وانتهت بتوحيد الله وتسبيحه، وهذا من باب تناسب فاتحة السورة مع ما ختمت به.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ٨٥٤، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء: ١٠/ ١٣٧٠.
(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٤/ ٨٨١.
(٣) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم : ١١/ ٤٩٢.

ودلالة تكرار قوله تعالى: (هو الله الّذي لا إله إلّا هو) في بداية آيتين متتاليتين من سورة الحشر" ؛ لإبراز العناية، والاهتمام بالتوحيد، وتلذذًا بذكر الله، وليكون لفظ الجلالة هو الأساس، والمدخل لبناء الأسماء الأخرى عليه". (١)

وقوله: (هو الله الذي لا إله إلّا هو) " يفيد الموصول، والصلة معنى اسم من أسمائه، وهو وحدانيته تعالى في ألوهيته، ومعبوديته " (٢).

وكلمة (الله) هي كلمة جامعة تنضوي تحتها كل الأسماء الحسنى ودليل جامعيتها أنّ التوحيد لا يمكن إعلانه إلا بقول (لا إله إلّا الله)، أما اذا اقترنت بغير اسم (الله) فلا تفي بالغرض، ولهذا السبب يشار في الأديان السماوية الأخرى إلى معبود المسلمين باسم (الله)، فهذه التسمية الشاملة خاصة بالمسلمين (٣).

ونلحظ أنّه قد وردت اسماؤه تعالى في قوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الحشر: ٢٣] متتابعة دون الحاجة إلى حرف عطف يربط بينها " ؛ لأن العطف يأتي في الصفات فيما تباعد من الصفات؛ لأنه يصير أمراً مستغرباً، أما في الصفات القريبة، فلا يؤتى بالعطف". (٤)، فصفاته سبحانه وتعالى وإنْ تعددت فهي تعود إلى معبود واحد أحد هو (الله).

وإنّما ورد التركيب بضمير الغائب (هو) ؛ وذلك لأنّ لفظ الجلالة الله، أو أحد أسمائه الحسنى قد تقدم ذكره في بداية الآيات، فجاء بالضمير (هو) العائد على لفظ الجلالة (الله)، أو على أحد أسمائه المتقدمة رتبة ومحلًا.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١٠/ ١٣٧١.
(٢) تفسير الميزان: ١٩/ ٢٣٠.
(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/ ٣٢.
(٤) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم : ١٢/ ١٢.

وفي أغلب الآيات التي ورد فيها هذا التركيب كان هناك التفات من الخطاب إلى الغيبة "الّذي نكتته أنّ ما أجري على المخاطب من صفات النّقص، والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال، وإعراض البال عنه، فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد فهو كناية " [1]، ولمّا كان الخطاب للمشركين، فقد ورد بـ (لا) النافية للجنس ؛ لأنّها تدل على النفي المطلق، فهي نص في العموم، فـ (لا إله إلّا هو) نفي عام محض شامل لجميع الالهة التي يشركونها بالعبادة مع الله جل وعلا.

أمّا **نفي الشّرك بـ (لا النافية للجنس) مع ضمير المتكلم (أنا)**، فقد ورد ثلاث مرات [2] في **سياق خطاب الله لأنبيائه ورسله**، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ** ﴾[النحل: ٢]، وقوله: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ** ﴾[طه: ١٤]، وقوله: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾[الأنبياء: ٢٥]، وأهم الروابط الدلالية التي تشترك فيها الآيات الثلاث ما يأتي:

أولًا: السياق الذي وردت فيه كان عن النبوات، وما اتصل بها، وتبعتها هذه الآيات؛ لبيان التوحيد، ونفي الشّركاء والأنداد.

ثانيًا: في الآيات الثلاث قدم التوحيد على العبادة؛ لأن التوحيد أصل، والعبادة فرع.

ثالثًا: الخطاب في سورة النحل، والأنبياء كان موجهًا للنبي (ﷺ)، وفي سورة طه كان موجهًا للنبي موسى (عليه السلام)، وهو مع ذلك، فقد ذكر تسلية للنبي محمد (ﷺ) عما يلاقيه من التعب في تبليغ الرسالة، فقال تعالى: ﴿ **وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾ [طه: ٩]، فكان الخطاب الرئيس في السورة للنبي محمد (ﷺ).

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٥٩٩.

(٢) ينظر: النحل: ٢، وطه: ١٤، والأنبياء:٢٥.

وذكر الرازي في تقسيم أسماء الله أنّ: " أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام: مظهرات، ومضمرات، ومستترات... وأمّا المضمرات فأربعة: **(أنا)** في مثل: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ [١]، و**(أنت)** في مثل: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ [٢]، و**(هو)** في مثل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم ﴾ [٣]، و**(نحن)** في مثل: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ ﴾ [٤] " [٥].

وقول: **(لا إله إلّا أنا)** لا يصح هذا الذكر لغير الله سبحانه وتعالى إلّا حكاية [٦] .

وقد جرى قوله: (لا إله إلّا أنا) في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢] على المعنى، لا على اللفظ، وإلّا لقال: لا إله إلّا الله، والغاية من ذلك التصريح بالمقصود، وأن الإله الواحد هو المتكلم لا غيره، وأنّ في نقل الكلام من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب، وتصريحًا بالمقصود، وكأنّه تعالى قال هنا: ينزل الملائكة بالوحي أنْ أعلِموا أنّه لا يُعبد إلّا إله واحد، وأنا ذلك الواحد [٧].

ودلالة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب" إبراز أهمية التقوى؛ لأنّ إنزال الملائكة وبعث الرسل كله؛ لأجل أن نتقي ربنا، فلا نشرك به شيئا ولا نعصيه، ولذا تغير الأسلوب؛ فإن من دلالات أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب إعلاء شأن موضوع الخطاب" [٨].

---

(١) ينظر: النحل: ٢، و طه: ١٤، و الأنبياء:٢٥.
(٢) الأنبياء: من الآية ٨٧.
(٣) البقرة: من الآية ٢٩.
(٤) الكهف: من الآية ١٣.
(٥) البحر المحيط في التفسير: ١/ ٢١٤.
(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوريّ: ١/ ٧٢.
(٧) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة: ٣/ ١٠٨.
(٨) التفسير البياني لما في النحل من دقائق المعاني، سامي وديع القدومي: ٥ .

ومن بلاغة التعبير القرآني أنّ الله سبحانه وتعالى في مقام التوحيد، ونفي الشّرك يستعمل ضمير المفرد، ففي كل مواطن التوحيد في القرآن الكريم يذكر ضمير الإفراد [١].

وذكر الدكتور فاضل السامرائي في تناسب بدايات سورة النحل مع خواتيمها أنّ "الآية الثانية ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ أمرهم بالتقوى، وفي الآخر قال: ﴿ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾ كأنّ الله تعالى أمرهم بالتقوى في أوائل السورة؛ ليكون معهم في النهاية، هذا تناسب وترابط جميل" [٢].

أمّا في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]

فقد ذكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ أي: قلنا للجميع: لا إله إلّا الله، فأدلة العقل شاهدة أنّه لا شريك له سبحانه وتعالى، والنّقل عن جميع الأنبياء موجود، والدّليل إمّا معقول وإمّا منقول. ولم يرسل الله تعالى نبيًا إلّا بالتّوحيد، والشّرائع مختلفة في التّوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد [٣].

وذكر الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) أنّ الآية " استئناف مقرر لما سبق من آي التوحيد، وقد يُقال إن فيه تعميمًا بعد تخصيص إذا أريد من (ذكر من قبلي) الكتب الثلاثة، ولما كان (من رسول) عامًا معنى، فكان هناك لفظ، ومعنى أفرد على اللفظ في نوحي إليه، ثم جمع على المعنى في (فاعبدون)، ولم يأت التركيب (فاعبدني)، وهذا بناء على أن (فاعبدون) داخل في الموحى، وجوز عدم الدخول على الأمر له (ﷺ) " [٤].

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: ١/ ٥٥٨.
(٢) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ٦/ ٣٩٥.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١١/ ٢٨٠.
(٤) روح المعاني: ٩/ ٣١.

والله تعالى في قوله: (إنني أنا الله لا إله إلّا أنا) "عرف المسمى بالاسم بنفسه حيث قال: (إنني أنا الله)، ولم يقل: (إن الله هو أنا)؛ لأنّ مقتضى الحضور أن يعرف وصف الشيء بذاته لا ذاته بوصفه...، واسم الجلالة وإن كان علمًا للذات المتعالية لكنه يفيد معنى المسمى بالله إذ لا سبيل إلى الذات المقدسة، فكأنه قيل: أنا الذي يسمى (الله)، فالمتكلم حاضر مشهود، والمسمى باسم (الله) كأنه مبهم أنه من هو؟ فقيل: أنا ذاك على أن اسم الجلالة علم بالغلبة لا يخلو من أصل وصفي. وقوله : (لا إله إلّا أنا فاعبدني) كلمة التوحيد مرتبة على قوله : (إنني أنا الله) لفظًا؛ لترتبها عليه حقيقة، فإنه إذا كان هو الذي منه يبدأ كل شيء، وبه يقوم، وإليه يرجع، فلا ينبغي أن يخضع خضوع العبادة إلّا له، فهو الإله المعبود بالحق لا إله غيره، ولذا فرع على ذلك الأمر بعبادته حيث قال: (فاعبدني) " [1].

وقال ابن عاشور: " وقع الإخبار عن ضمير المتكلّم باسمه العلم الدّالّ على الذّات الواجب الوجود المستحقّ لجميع المحامد. وذلك أوّل ما يجب علمه من شؤون الإلهيّة، وهو أن يعلم الاسم الّذي جعله الله علمًا عليه؛ لأنّ ذلك هو الأصل لجميع ما سيخاطب به من الأحكام المبلّغة عن ربّهم. وفي هذا إشارة إلى أنّ أوّل ما يتعارف به المتلاقون أن يعرفوا أسماءهم، فأشار الله إلى أنّه عالم باسم كليمه، وعلّم كليمه اسمه، وهو الله" [2] .

ويبدو أنّ كل ما ذُكِر سلفًا يشير إلى الأسباب التي ورد فيها نفي الشّرك بالله بـ (لا النافية للجنس) مع ضمير المتكلم (أنا)؛ حيث إنّ الخطاب خطاب الله سبحانه وتعالى، والمخاطبون هم الأنبياء، والرسل، ويأمرهم بأنْ يبلغوا رسالته، وينذروا المشركين، ويأمروهم بالإقرار بوحدانيته وعبادته، وأن يتقوه، فهذا الخطاب يتوجب أن يكون بأبلغ تعبير، وأوكد أدوات النفي، فمنزلة المخاطب والمخاطبين أعلى وأسمى المنازل، ويجب أن يكون الخطاب في أعلى مراتب الخطاب؛ ليتناسب مع أحوال المتخاطبين، فهو صادر عن الله إلى أنبيائه ورسله؛ ولذلك كان النفي بـ (لا النافية للجنس) دون غيرها من الأدوات؛ لأنّ النفي بها من أقوى أساليب التوكيد في اللغة العربية.

(١) تفسير الميزان: ١٤/ ١٣٩.
(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٩٩.

وورد نفي الشّرك بالله بتركيب آخر – **(لا النافية للجنس) مع ضمير المخاطب (أنت)**– مرة واحدة في القرآن الكريم في **سياق التجاء نبي الله يونس (عليه السلام) إلى الله تعالى**، والندم على الجزع الذي صدر منه، واستجابة الله تعالى له؛ لاعترافه الخالص بالظلم، وتسبيحه لله المرافق للندم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[الأنبياء: ٨٧] .

وقد ذكرنا فيما سبق أنّ الأسماء المضمرة أربعة، وأنّ" أوسط هذه الأقسام قولنا: (أنت) ؛ لأنّ هذا خطاب للغير بشرط كونه حاضرًا؛ فلأجل كونه خطابًا للغير يكون دون قوله أنا؛ ولأجل أنّ الشّرط فيه كون ذلك المخاطب حاضرًا يكون أعلى من قوله: (هو)" [(١)].

وقال الرازي: " أمّا (أنت) فهو للحاضرين في مقامات المكاشفات، والمشاهدات لمن فني عن جميع الحظوظ البشريّة على ما أخبر الله تعالى عن يونس (عليه السّلام) أنّه بعد أن فني عن ظلمات عالم الحدوث، وعن آثار الحدوث، وصل إلى مقام الشّهود فقال: ﴿ **فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهذا ينبّهك على أنّه لا سبيل إلى الوصول إلى مقام المشاهدة، والمخاطبة إلّا بالغيبة عن كلّ ما سواه " [(٢)].

وقد تصدر خطاب يونس لله تعالى بـ (لا) النافية للجنس، " وصيغة نفي الجنس على سبيل التّنصيص صيغة تأكيد؛ لأنّ (لا) النّافية للجنس في مقام النّفي بمنزلة (إنّ) في مقام الإثبات؛ ولذلك حملت عليها في العمل" [(٣)]، وذلك إقرارًا منه بوحدانيته تعالى على سبيل التأكيد، لا يخالطه شك في ذلك.

وذهب السيد الطباطبائي إلى " أنّ المراد بتسبيحه نداؤه في الظلمات بقوله : **(لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)**، وقد قدم التهليل؛ ليكون كالعلة المبينة لتسبيحه كأنه يقول: لا

(١) مفاتيح الغيب: ١/ ١٣٥.
(٢) مفاتيح الغيب: ٤/ ١٥١، وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/ ٧٢.
(٣) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٠٦.

معبود بالحق يتوجه إليه غيرك، فأنت منزه مما كان يشعر به، فعلى أني آبق منك معرض عن عبوديتك متوجه إلى سواك إني كنت ظالما لنفسي في فعلي، فها أنا متوجه إليك متبرئ مما كان يشعر به فعلى من التوجه عنك إلى غيرك" [1].

ويبدو أنّ سبب ورود نفي الشّرك في هذا المورد بـ (لا) النافية للجنس مع ضمير المخاطب (أنت)؛ لأنّ المقام يتطلب ذلك، فهو خطاب ممن هو أقل رتبة إلى أعلى رتبة – من النبي يونس (عليه السلام) إلى الله تعالى –، وفيه إقرار منه بوحدانيته، ونفي الشّركاء، والأنداد عنه، والموقف كان يتطلب التأكيد، اعترافًا منه بذنبه، وتقصيره في أداء حق الربوبية، طمعًا منه باستجابة دعوته، وقبول توبته، فلم يكن منه إلّا أنْ خاطبه بأعلى مراتب الخطاب؛ ليناسب مقامه الشريف، فجاء بأسلوب النفي بـ (لا النافية للجنس) لنفي الشّرك بالله تعالى، مع أسلوب القصر بـ (إلا)؛ لحصر الربوبية به تعالى، وذكرنا سابقًا أنّ قوله: (إلّا أنت) هو خطاب للحاضرين في مقامات المشاهدات، والمكاشفات، لمن يئس عن جميع الحظوظ البشريّة، وفي الآية أسلوب التفات من الغيبة إلى الخطاب، دلالةً على عظم شأن المخاطَب، ومنزلته الرفيعة جل وعلا.

وورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بتركيب **(لا) النافية للجنس مع الاسم الموصول (الذي)** مرة واحدة في **سياق خطاب فرعون لله تعالى لمّا أدركه الغرق؛ طمعًا منه بقبول دعوته،** وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]

ذكرنا سابقًا أنّ أسماء الله المضمرة أربعة، وقد وردت كلمة التوحيد مقترنة بها في أكثر من موضع " وأمّا ورود هذه الكلمة مقرونًا باسم آخر سوى هذه الأربعة، فهو الّذي حكاه الله تعالى عن

(١) تفسير الميزان: ١٧/ ١٦٤.

فرعون أنّه قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[يونس: ٩٠]، ثمّ بيّن الله تعالى أنّ تلك الكلمة ما قبلت منه" [١].

ونلحظ من سياق الآية أنّ كلمة التوحيد جاءت على لسان فرعون عندما أدركه الغرق، وحفَّ به الموت، وقد وردت مقترنة بالاسم الموصول فقال: **(الّذي آمنت به بنو إسرائيل)** " ليفيد مع اعترافه بالله تصويبه لبني إسرائيل فيما هُدوا إليه، فجعل الصّلة طريقًا لمعرفته بالله، ولعدم علمه بالصّفات المختصّة بالله إلّا ما تضمّنته الصّلة إذ لم يتبصّر في دعوة موسى تمام التّبصّر؛ ولذلك احتاج أن يزيد، وأنا من المسلمين؛ لأنّه كان يسمع من موسى دعوته لِأن يكون مسلمًا فنطق بما كان يسمعه، وجعل نفسه من زمرة الّذين يحقّ عليهم ذلك الوصف؛ ولذلك لم يقل: أسلمت، بل قال: أنا من المسلمين، أي: يلزمني ما التزموه. جاء بإيمانه مجملًا؛ لضيق الوقت عن التّفصيل ولعدم معرفته تفصيلَه" [٢].

وعلل الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) سبب تكراره المعنى الواحد بثلاث عبارات بحرصه على قبول دعوته؛ إذ " كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات؛ حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته. وقاله حين لم يبق له اختيار قط، وكانت المرّة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف" [٣].

وقال الرازي:" فلم يقبل الله توبته عند مشاهدة العذاب، ولو أنّه أتى بذلك الإيمان قبل تلك السّاعة بلحظة لكان مقبولًا" [٤].

وذكر السيد الطباطبائي أنّ سبب وصف الله تعالى بـ (الذي آمنت به بنو إسرائيل) "؛ ليظفر بما ظفروا به بإيمانهم، وهو مجاوزة البحر، والأمان من الغرق؛ ولذلك أيضًا جمع بين الإيمان

(١) مفاتيح الغيب: ١٣/ ٩٧.
(٢) التحرير والتنوير: ١١/ ٢٧٦.
(٣) الكشاف، الزمخشري: ٢/ ٣٦٧.
(٤) مفاتيح الغيب: ١٠/ ٨، وينظر: مجمع البيان : ٥/ ٢٢٣.

والإسلام؛ ليزيل بذلك أثر ما كان يصر عليه من المعصية، وهو الشّرك بالله، والاستكبار على الله "[١].

وذكر الدكتور فاضل السامرائي سؤالًا لطيفًا، إذ قال: "وقد يتبادر إلى الذهن لماذا أغرق الله تعالى فرعون بعدما قال: إنّه آمن، ونجّا قوم يونس، والحالتان متشابهتان نوعاً ما؟ نقول: إنّ الله تعالى عَلِمَ – وهو علاّم الغيوب– أنّ فرعون إنّما قال آمنت اضطرارًا لا اختيارًا، ولو عاد إلى الدنيا لضلّ وأضلّ، ولم تكن كلماته صادقة بأنّه آمن" . [٢]

ويتبين مما سبق ذكره أنّ سبب مجيء النفي بـ (لا) النافية للجنس مع الاسم الموصول (الذي) في كلمة التوحيد: (لا إله إلّا الذي) على لسان فرعون أنّه ربما لم يطق ذكر اسم الله تعالى، ولذلك استعمل جملة الصلة، أو أنّ فرعون لا يعرف الله، فجعل الصلة طريقًا لمعرفة الله، وجعل صلتها قوله: (آمنت به بنو إسرائيل)، فقد سمع من بني إسرائيل أنّ للعالم إلهًا واحدًا، وهو الله (عزّ وجل)، وآمن بالإله الذي سمع به من بني إسرائيل تقليدًا لهم، فهو لم يتبصر بدعوة موسى لشدة كفره، وطغيانه، فقد كان من الدهرية الذين لا يؤمنون بوجود الخالق عز وجل، كما أنّه قالها توسلًا في وقت أدرك فيه أنّه هالك لا محالة، وأنّه لا سبيل لنجاته إلّا الله؛ لذا كان الموقف يتطلب أن يكون بأقوى وأوكد أساليب النفي، فجاء بصيغة (لا) النافية للجنس؛ طمعًا منه بقبول دعواه، وأنْ يغفر الله له كما غفر لبني إسرائيل .

وورد نفي الشّرك بالله بتركيب **(لا) النافية للجنس مع كلمة (شريك)** مرة واحدة في القرآن الكريم في **سياق نفي الشريك عنه تعالى**، والأمر بإخلاص العبادة له، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾ [الأنعام: ١٦٣]

(١) تفسير الميزان: ١٠/ ١١٢.

(٢) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ٥/ ٣٢١.

ختم الله تعالى سورة الأنعام بهذه الآية، والآيات الأُخر التي سبقتها، فكانت خير الخواتيم، إذ أنّها أجمع السّور لأصول الدّين، وإقامة الحجج عليها، ودفع الشّبه عنها، ولإبطال عقائد الشّرك، وتقاليده، وخرافات أهله، وهذه الخاتمة مناسبة لجملة السّورة في أسلوبها ومعانيها. (١)

فالآية الكريمة محل البحث والآيات السابقة لها بدأت وانتهت بالدعوة إلى التوحيد ومكافحة الشّرك والوثنية (٢).

وقد تصدرت الآية الكريمة بـ (لا) النافية للجنس للتأكيد؛ لأنّ في قوله: (لا شريك له) نفيًا عامًا لإبطال أي نوع من أنواع الشّرك والوثنية، أمّا تخصيصه بتقدير أنّه لا شريك له في العالم، أو لا شريك له فيما أتقرّب به من العبادة، أو لا شريك له في الخلق والتّدبير، أو لا شريك فيما شاء من أفعاله، فإنّما هو على جهة التّمثيل لا على التّخصيص حقيقةً . (٣)

وجاء في تفسير المنار" وبذلك التّجريد في التوحيد، والبراءة من الشّرك الجليّ، والخفيّ، أمرني ربّي، ولا يعبد الرّبّ إلّا بما أمر، دون أهواء الأنفس، ونظريّات العقول، وتقاليد البشر، وأنا أوّل المسلمين، أي: على الإطلاق في علوّ الدّرجة والرّتبة، وأوّلهم في الزّمن بالنّسبة إلى هذه الأمّة، وبيان هذا أنّه (ﷺ) أكمل المذعنين لأمر ربّه ونهيه، بحسب ما أعطاه من الدّرجات العلى" (٤).

وقال ابن عاشور: " وجملة: (لا شريك له) حال من اسم الجلالة مصرّحة بما أفاده جمع التّوكيد مع لام الملك من إفادة القصر، والمقصود من الصّفة، والحال الرّدّ على المشركين بأنّهم ما أخلصوا عملهم للّذي خلقهم، وبأنّهم أشركوا معه غيره في الإلهيّة" (٥).

---

(١) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا الحسينيّ : ٨/ ٢١٠.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤/ ٥٣٦.
(٣) ينظر: الكشاف : ٢/ ٨٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ١٩١، و البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٧٠٤، ومحاسن التأويل: ٤/ ٥٥٥، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٤/ ٥٣٩.
(٤) : ٨/ ٢١٦.
(٥) التحرير والتنوير : ٨-أ/ ٢٠٣.

ويظهر أنّ في نفي الشريك عنه تعالى بـ (لا) النافية للجنس التي تفيد توكيد النفي؛ دلالةً على وجوب توحيده في الألوهية، والعبودية، والإخلاص في عبادته، فضلًا عن دلالته في الرّد على المشركين ذلك بأنّهم ما أخلصوا في عملهم، وعبادتهم لله الواحد الأحد الّذي خلقهم، وبأنّهم أشركوا معه ما لا يستحق أن يُعبَد، ففي هذا النفي تشديد على إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، والتوجه له وحده في كل عمل صلاةً، ونسكًا، وحياةً، ومماتًا، وأنّ نفي الشريك عنه تعالى بصريح عبارة (لا شريك له)، والأمر بتوحيده في هذه السورة الشاملة لأصول الدين، وإبطال عقائد الشّرك، وتقاليده كل ذلك يشير إلى سبب النفي بـ (لا) النافية للجنس في هذا المورد دون غيرها من أدوات النفي؛ لأنّ الموقف يتطلب ذلك كما بينا سابقًا.

ثانياً :دلالة النفي بـ (لا) النافية غير العاملة:

(لا) النافية هي" أقدم حروف النفي في العربية" [(١)]، وتكون لنفي المستقبل في قولك: (لا يفعل). قال سيبويه:" إذا قال: هو يفعل، ولم يكن الفعل واقعاً، فنفيه لا يفعل. وإذا قال: ليفعلنّ فنفيه لا يفعل، كأنه قال: والله ليفعلنّ فقلت: والله لا يفعل" [(٢)] .

وقال ابن الشجري (ت: ٥٤٢هـ) في أماليه: " إنّهم نفوا بها الأفعال المستقبلة والحاضرة، فإذا قال: (سيفعل أو سوف يفعل) قلت: (لا يفعل)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ** ﴾ [فاطر: ١٤]، فهذا مستقبل محض؛ لأنّه جزاء، ومثله: ﴿ **لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ** ﴾[الحشر: ١٢]، وإذا قال: (زيد يكتب الآن) قلت: (لا يكتب) فنفيت الحاضر ". [(٣)]

وذكر الزركشي في معرض حديثه عن أنواع لا النافية الداخلة على الأفعال أنها تكون لنفي الأفعال المستقبلة نحو قوله تعالى: ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ** ﴾[فاطر: ١٤]، أو تكون للدوام

(١) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ١٦٨.
(٢) الكتاب: ١١٧/٣.
(٣) : ٥٣٤/٢ .

كقوله تعالى: ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سبأ: ٣]، أو للحال كقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النساء: ٦٥]، وأنّ النفي بها يشمل فعل المتكلم والمخاطب، وإذا دخلت على الماضي كانت للقسم والدعاء والأكثر حينئذ تكرارها كقوله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١﴾ [القيامة: ٣١]. (١)

ويرى الأستاذ إبراهيم مصطفى أنّ في نفيها للمضارع معنى الماضي والحال والاستقبال؛ لأنّه يتضمن معاني حروف النفي (لم، وما، ولن) " ويلاحظ في نفي المضارع أنّك تقول: (لم يتكلم) فالنفي للماضي، و(ما يتكلم) فالنفي للحال، و(لن يتكلم) فهو للمستقبل، فإذا قلت: (لا يتكلم) كان النفي أوسع وأشمل، ففي نفي (لا) معنى الشمول والعموم" (٢).

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أنّها قد تكون للحال، أو الاستقبال، أو الاستمرار" وتدخل (لا) على الفعل المضارع، فلا تقيده بزمن على الأرجح، وإن كان النحاة يرون أنّها تخلصه للاستقبال... والحق أنها قد تكون للحال كقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴾ [الصافات: ٩٢] ... وقد تكون للاستقبال، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٤] . وقد تكون للاستمرار، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] " (٣).

وكثيرًا ما وردت (لا) النافية غير العاملة في آيات نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم نافية للجملة الفعلية، وذلك في (٢٥موضعاً) (٤)، بحسب استقرائي، بسياقات متعددة، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ورودها في سياق نفي الشّرك بالله يدخل في إفادتها النفي المستمر؛ لأنّ نفي الشّرك بالله والإقرار بتوحيده من الحقائق الثابتة غير القابلة للتغيير.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٥٣.
(٢) إحياء النحو: ٨٦.
(٣) معاني النحو :٤/ ٢٠٦.
(٤) ينظر: البقرة: ٨٣، وآل عمران: ٦٤، والنساء: ٤٨، ١١٦، ١٢٣،١٧٣، والمائدة: ٧٦، والأنعام: ٧١، ويونس: ١٠٤، والرعد: ٣٦، والكهف: ٢٦، ٣٨، والمؤمنون: ٥٩، والنور: ٥٥، والفرقان: ٦٨، والنمل: ٦٥، والأحزاب: ١٧، ٦٥، وسبأ: ٢٢، ويس: ٢٢، والزخرف: ٨٦، والجاثية: ١٠، والفتح: ٢٢، والجن: ٢٠، والكافرون: ٢.

- **سياق إثبات وحدانية الله تعالى بنفي الشريك عنه تعالى**، إذ وردت (لا) النافية في هذا السياق (٩ مرات) [١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾[الكهف: ٢٦]، وقد اشتركت الآيات الكريمة التي وردت في هذا السياق برابط دلالي مفاده: الدلالة على نفي الشريك لله تعالى عن طريق نفي الفعل المضارع (يشرك، أشرك، نشرك) المسند إلى الضمير المستتر فيه، والفعل المضارع متعد إلى مفعوله (أحدًا، شيئًا)، الذي جاء نكرة، لغرض التعميم، والشمول لكلّ أحد، أو شيء في هذا الكون الواسع العجيب دون تخصيص، وقد دلت الآيات على نفي الشّرك بأداة النفي (لا) النافية [٢] الداخلة على الفعل المضارع الذي يدل على الزمن المطلق، فمعنى " ولا يشرك في حكمه: في قضائه في علم الغيب أحداً منهم، ولا يجعل له فيه مدخلاً" [٣].

وقيل: إنّ " الحكم هنا علم الغيب، أي: لا يشرك في علم غيبه أحدًا" [٤].

وذكر ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) " أنّه تعالى هو الّذي له الخلق والأمر، الّذي لا معقّب لحكمه، وليس له وزير، ولا نصير، ولا شريك، ولا مشير، تعالى وتقدس" [٥].

فالله سبحانه وتعالى نفى اتخاذه أحدًا من الموجودات العلوية، والسفلية شريكًا له في قضائه الأزلي إلى الأبد؛ لعزته وغناه [٦].

---

(١) ينظر: آل عمران: ٦٤، والنساء: ٤٨، ١١٦، والرعد: ٣٦، والكهف: ٢٦، ٣٨، والمؤمنون: ٥٩، والنور: ٥٥، والجن: ٢٠.

(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي: ١٥/ ١٨٨، ١٨٩، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ١/ ٥٢٧، ٥/ ٥٦٤، ٦٠١.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٣/ ٢٦٣.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/ ١٨٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٣٧، وينظر: تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي : ١٥/ ١٤٠.

(٦) ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي البروسويّ: ٥/ ٢٣٧.

كأنَّ الله عز وجل "يطمئن عباده بأن كلامه حقّ لا يتغير ولا يتبدل؛ لأنه سبحانه واحد أحد لا شريك له يمكن أن يغيّر كلامه" (١).

ويرى الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) أنّ قوله تعالى" (ولا يشرك في حكمه أحدًا) فيه وجهان: أحدهما: ولا يشرك في علم غيبه أحداً. الثاني: أنه لم يجعل لأحد أن يحكم بغير حكمه فيصير شريكاً له في حكمه" (٢).

وذهب ناصر مكارم الشيرازي إلى أنّ " هذا الكلام هو في الحقيقة تأكيد على الولاية المطلقة للخالق جلّ وعلا، إذ ليس هناك قدرة أخرى لها حق الولاية المطلقة على العالمين، ولا يوجد شريك له تعالى في ولايته، يعني ليس ثمّة قدرة أخرى غير الله لها حق الولاية في العالم، لا بالاستقلال، ولا بالاشتراك" (٣).

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: من الآية ٣٨] أنّه" أقر بربوبيته لربه وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحدًا من المخلوقين" (٤).

وفي قوله (لا أشرك) الضمير المستتر يعود على المؤمن؛ لأنّها جاءت على لسانه في مخاطبته لصاحب الجنتين الكافر.

أي: " لا أشرك بعبادتي إياه أحدا سواه، بل أوجهها إليه وحده خالصًا، وإنما استحال الشّرك في العبادة؛ لأنها لا تستحق إلّا بأصول النعم، وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم، وذلك لا يقدر عليه أحد إلّا الله تعالى" (٥).

(١) تفسير الشعراوي: ١٤/ ٨٨٧٢.
(٢) النكت والعيون، الماوردي: ٣/ ٣٠٠، وينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٣/ ٢٨٠، و مجمع البيان: ٦/ ٢٩٨.
(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٩/ ٢٣٥، ٢٣٦
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٧٧.
(٥) مجمع البيان : ٦/ ٣٤٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[آل عمران: من الآية ٦٤] " يعني كما لا نعبد إلّا الله لا نطلب منه غيره، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله في طلب الرزق، ورؤية الأمور من الوسائط" [١].

وفي قوله (لا نشرك) الضمير المستتر يعود على الرسول (ﷺ)، ومن معه من المؤمنين في مقام مخاطبتهم لأهل الكتاب؛ لإقناعهم بالتعاون معهم في تحقيق الأهداف المشتركة بينهم، كقاعدة للانطلاق إلى تحقيق سائر أهدافهم المقدّسة. [٢]

- **سياق إثبات وحدانية الله بنفي عبادة غيره تعالى، ونفي الشّرك عن الأنبياء والمرسلين**، إذ ورد النفي بـ (لا) النافية غير العاملة في هذا السياق (٤ مرات) [٣]، وقد اشتركت الآيات الكريمة بروابط دلالية مفادها :

١- الدلالة على نفي عبادة غير الله تعالى من الأصنام التي كانوا يشركونها بالعبادة، وجاء هذا النفي على لسان نبينا محمد (ﷺ) في ثلاث آيات [٤] من القرآن الكريم، وعلى لسان مؤمن آل فرعون في آية واحدة [٥]، وقد ورد نفي هذا المعنى بـ (لا) النافية [٦] داخلة على الفعل المضارع (أعبد، نعبد) المسند إلى الضمير المستتر فيه، المتعدي إلى مفعوله الاسم الموصول (ما، والذي، والذين)، وقد جاءت صلته جملة فعلية للدلالة على التغيير والتجدد، فهو لا يعبد ما يعبدون من الأصنام في الحال، والاستقبال، والاستمرار.

٢- تصدرت الآيات الثلاث التي على لسان نبينا محمد (ﷺ) بالأمر (قُل) دلالة على أن ما بعد القول يسترعي العناية والاهتمام، وهو أمر يطلب تبليغه، فـ" افتتاحها بـ (قُل) للاهتمام بما بعد

(١) روح البيان: ٢/ ٤٧.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٥٣٨.
(٣) ينظر: آل عمران: ٦٤، ويونس: ١٠٤، ويس: ٢٢، والكافرون: ٢.
(٤) ينظر: آل عمران: ٦٤، ويونس: ١٠٤، والكافرون: ٢.
(٥) يس: ٢٢.
(٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه : ١/ ٥٢٧.

القول بأنّه كلام يراد إبلاغه إلى النّاس بوجه خاصّ منصوص فيه على أنّه مرسل بقول يبلّغه وإلّا فإنّ القرآن كلّه مأمور بإبلاغه، ... مفتتحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها" [١].

وممّا ورد في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ١٠٤]

في الآية الكريمة يخاطب النبي محمد (ﷺ) المشركين من أهل مكة فيقول لهم:" إن كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبيّنه لكم، فبدأ أوّلًا بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيهًا لآرائهم، وأثبت ثانيًا من الّذي يعبده وهو الله الّذي يتوفّاكم" [٢].

و قد جيء بهذه الجملة تذييلًا لما قبلها مقررًا لمضمونه، والمعنى: قل لجميع من شك في دينك وكفر بك: يا أيّها النّاس، وقد أوثر الخطاب باسم الجنس مصدرًا بحرف التنبيه؛ تعميمًا للتبليغ، وإظهارًا لكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم [٣] .

ويرى ابن عاشور أنّ " الجمع بين نفي أن يعبد الأصنام، وبين إثبات أنّه يعبد الله يقوم مقام صيغة القصر لو قال: فلا أعبد إلّا الله، فوجه العدول عن صيغة القصر: أنّ شأنها أن يطوى فيها الطّرف المنفيّ للاستغناء عنه بالطرف المثبت؛ لأنّه المقصود. وذلك حين يكون الغرض الأصليّ هو طرف الإثبات، فأمّا إذا كان طرف النّفي هو الأهمّ كما هنا وهو إبطال عبادة الأصنام أوّلًا، عدل على صيغة القصر إلى ذكر صيغتي نفي وإثبات. فهو إطناب اقتضاء المقام " [٤].

والسبب في تقدم النفي على الإثبات في الآية الكريمة يكمن في أنّه" تدرج من نفي عبادة غير الله؛ لأنّ الإزالة في كل شيء بقصد إصلاحه مقدمة على الإثبات، والتخلي مقدم على التحلي،

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٨٠.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ١١١.
(٣) ينظر: روح المعاني: ٦/ ١٨٤.
(٤) التحرير والتنوير: ١١/ ٣٠٢.

ثم انتقل إلى إثبات عبادة الله، ليبين أنه يجب ترك عبادة غير الله أولًا، ثم يجب الاشتغال بعبادة الله " [١] . فنفي الشّرك وإزالة آثاره مُقدَّم في الحقيقة على اثبات التوحيد؛ لأنه لا يمكن وضع الطعام السليم في الطبق ما لم يخلُ من الطعام الفاسد، ولذلك نرى أنّ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) نفي وإثبات، والنفي مقدم على الإثبات للاهتمام بنفي الشّرك أولًا، ثم إثبات الألوهية لله الواحد الأحد. [٢]

وعلى ما ورد من النفي بـ (لا)، التي جاءت في الآيات التي ذكرت سابقًا يتبيّن أن ما نفي بهذه الأداة بدخولها على الأفعال المضارعة، كانت (لا) فيه دالة على الزمن المطلق في النفي الذي لا يحدد بزمن معين؛ لأنّ هذه المعاني هي حقائق أزلية لا تتغير في أي حال من الأحوال، وقد جاء النفي لها في سياقات دالة على نفي الشّرك بالله تعالى، وإثبات وحدانيته، وهذه السياقات يمكن تلخيصها بما يأتي: إثبات وحدانيته تعالى بنفي الشريك عنه، ونفي عبادة غير الله.

ثالثاً : دلالة النفي بـ (ما) النّافية:

تكون (ما) النافية على قسمين: إمّا نافية للجملة الاسمية، أو نافية للجملة الفعليّة .

- **ما النّافية للجملة الاسمية :**

ومنها ما الحجازيّة: وقد نسبها سيبويه الى أهل الحجاز، إذ قال: " هذا باب ما أُجري مجرى (ليس) في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز، ثمّ يصير إلى أصله وذلك الحرف(ما) . تقول: ما عبد الله أخاك، وما زيد منطلقاً. وأمّا بنو تميم فيجرونها مجرى (أمّا، وهل)، أي: لا يعملونها في شيء وهو القياس، لأنّه ليس بفعل، وليس (ما) كـ (ليس)، ولا يكون فيها إضمار ". [٣]

(١) التفسير المنير، د . وهبة بن مصطفى الزحيلي: ١١/ ٢٨١.
(٢) ينظر: العقائد الإسلاميّة على ضوء القرآن الكريم، محسن قراءتي: ١٠٥.
(٣) الكتاب:١/ ٥٧.

وإنّما عملت عند أهل الحجاز" مع أنّها حرف لا يختصّ، والأصل في كلّ حرف لا يختصّ أنّه لا يعمل؛ لأنّها شابهت (ليس) في النّفي، وفي كونها لنفي الحال غالباً، وفي دخولها على جملة اسمية" [١].

و" هي لنفي الحال في اللّغتين الحجازيّة، والتّميميّة نحو: ما زيد منطلقًا ومنطلق؛ ولهذا جعلها سيبويه [٢] في النّفي جوابًا لـ (قد) في الإثبات، ولا ريب أنّ (قد) للتّقريب من الحال، فلذلك جعل جوابًا لها في النّفي. قال ويجوز أن تستعمل للنّفي في الماضي، والمستقبل عند قيام القرائن قال تعالى حكايةً عن الكفّار: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ [الدخان: ٣٥]، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩] ثمّ إنّ سيبويه جعل فيها معنى التّوكيد؛ لأنّها جرت موضع (قد) في النّفي فكما أنّ (قد) فيها معنى التّأكيد فكذلك ما جعل جوابًا لها" [٣].

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أن نفيها يكون للحال، والاستقبال، والمضيّ، وقد تكون للحقيقة غير مقيّدة بزمن، " فإذا دخلت على الجمل الاسمية كان نفيها للحال عند الإطلاق، وإذا قيّدت كانت بحسب القيد، تقول (ما هو مسافرًا)، أي: الآن، وتقول (ما هو مسافرًا غدا) قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، أي: في الاستقبال. وقد تكون للمضيّ نحو: (ما سعيد ظلمني حقّي بل خالد) . وقد تكون للحقيقة غير مقيّدة بزمن، كقوله تعالى: ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾ [المجادلة: ٢]. وهي آكد من (ليس)، فإنّها تقع جوابًا للقسم، تقول: (والله ما هو بمنطلق) بخلاف (ليس) ... وهي أوسع استعمالًا منها أيضًا، فـ (ليس) مختصّة بنفي الجمل الاسمية، وأمّا (ما) فتنفي الجمل الفعليّة والاسمية " [٤].

ولعملها عند الحجازيين شروط، وهي: تأخّر الخبر فلو تقدّم بطل عملها هذا مذهب الجمهور، و بقاء النّفي، فلو انتقض النّفي بـ (إلّا) بطل العمل كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُولٌ ﴾

(١) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٢٢،٣٢٣.
(٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ١١٧.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٤٠٦، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٨٩.
(٤) معاني النحو: ٤/ ١٩١.

[آل عمران: ١٤٤]. و فَقْدُ (إن)، فلو وجدت (إن) بعد (ما) بطل عملها، نحو: ما إن زيد قائم . وألّا يتقدّم غير ظرف، أو جار ومجرور، من معمول خبرها، فإنْ تقدّم غيرُهما بطل العمل، نحو: ما طعامك زيد أكل [١].

- **(ما) النّافية للجملة الفعليّة:**

وهي (ما) غير العاملة، لا تعمل في الفعل شيئاً، ولا تترك فيه أثراً سوى تحديد الزّمن " فإذا دخلت على الماضي تركته على معناه من المضيّ، وإذا دخلت على المضارع خلّصته للحال، فتقول: ما قام زيد، وما يقوم زيد، فإن قلت (ما يقوم زيد غداً)، فالحكم لـ (غدًا) في التّخليص للمستقبل، فإذا لم يدخل عليه (غدًا) ولا غيرها من المخلصات للاستقبال، فحينئذ تكون مخلصة للحال، وهذا بحكم الاستقراء، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[الأعراف: ٧٢]...، ولا عمل لها في الفعل لعدم اختصاصها به" [٢].

وفي (ما) النافية توكيد، فقد ذكر سيبويه أنّها نفي لـ (لقد فعل) " وإذا قال (لقد فعل)، فإن نفيه (ما فعل)؛ لأنّه كأنّه قال: (والله لقد فعل)، فقال: (والله ما فعل)، فهي آكد من (لم) ". [٣]

وجاء في شرح المفصل" أما (ما)، فإنها تنفي ما في الحال، فإذا قيل: (هو يفعل) وتريد الحال، فجوابه ونفيه (ما يفعل)، وكذلك إذا قرّبه، وقال: (لقد فعل)، فجوابه ونفيه: (ما فعل)؛ لأن قوله: (لقد فعل) جواب قسم، فإذا أبطلته وأقسمت، قلت: (ما فعل)؛ لأن (ما) يتلقى بها القسم في النفي، وتقديره: (والله ما فعل)." [٤]

وقال الزركشي:" النّافية ولها صدر الكلام وقد تدخل ...على الأفعال فلا تعمل، وتدخل على الماضي بمعنى (لم) نحو: ما خرج، أي: لم يخرج. وقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ

(١) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري: ١/ ١٧٧، والجنى الداني في حروف المعاني: ٣٢٣-٣٢٩، وهمع الهوامع، السيوطي: ١/ ٤٤٧.
(٢) رصف المباني، المالقي: ٣٠٣.
(٣) الكتاب: ٣/ ١١٧.
(٤) : ٥/ ٣١.

مُهۡتَدِينَ ﴾[البقرة: ١٦]، وعلى المضارع لنفي الحال بمعنى (لا) نحو: ما يخرج زيد، أي: لا يخرج نفيت أن يكون منه خروج في الحال." [١]

وعلّق على ذلك الدكتور فاضل السامرائي فقال: "وهذا هو الحقّ، فإنّها تكون للحال كثيرًا، وقد تكون لغير الحال أيضًا، فقد تدلّ على الاستمرار، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾[آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران: ١٠٨] " . [٢]

وتدخل على الماضي فتكون لنفي الماضي المحقّق، والقريب من الحال " نحو: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٞۖ ﴾[المائدة: ١٩]. فإنّه ورد للتّعليل على معنى كراهة أن يقولوا عند إقامة الحجّة عليهم ما جاءنا في الدّنيا من بشير ولا نذير، وهذا للماضي المحقّق " [٣].

و" الحقيقة أنّ الكثير فيها أن تكون كذلك، وقد تأتي لنفي الماضي البعيد، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦]، . . . وقد تكون للاستقبال في جواب الشّرط أو غيره قليلًا، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾[النساء: ٦٦] " [٤].

وتشترك (ما) الداخلة على الجملة الفعلية مع (لم) في الدلالة على المضيّ، ولكنْ ثمّة فروق بينهما من نواح أهمُّها: أنّ الماضي المنفيّ بـ (ما) يكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال، وأمّا (لم) فليست مقيّدةً بزمن من أزمنة المضيّ. وأنّ (ما) آكد من (لم) وذلك أنّها تقع جوابًا للقسم بخلاف (لم). قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣]... والقسم توكيد وكذلك جوابه. ويدلّ على ذلك أيضًا أنّ منفيها كثيرًا ما يقترن بـ (من) الاستغراقية المؤكّدة، وهي الّتي

(١) البرهان في علوم القرآن:٤/ ٤٠٥، و ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٢/ ٢٨٩.
(٢) معاني النحو:٤/ ١٩٢.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٤٠٦.
(٤) معاني النحو: ١٩٢/٤.

يسمّيها النّحاة زائدة، وذلك نحو: قوله تعالى:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ ﴾ [المؤمنون: ٩١] (١).

نستخلص مما تقدم ذكره أنّ (ما) نفيها يكون للحال، والاستقبال، والمضيّ، وقد تكون للحقيقة غير مقيّدة بزمن، وهي آكد من (ليس)؛ لأنّها تقع جوابًا للقسم وأوسع استعمالًا، فهي تنفي الجمل الفعليّة والاسمية بخلاف ليس، وآكد من (لم)؛ لأنّ منفيها يقترن بـ (من) الاستغراقية الّتي تفيد التّأكيد كثيرًا .

وقد ورد نفي الشّرك بالله بـ (ما) النّافية في (٣٥ موضعًا) بحسب استقرائي، فكانت نافية للجملة الفعليّة في (١٨ موضعًا) (٢) بسياقات متعدّدة، وهي كما يلي:

- **سياق بيان أنّ حال الكافرين في الشّرك بالله كحال آبائهم**، فهم يعبدون الآلهة الّتي وجدوا آباءهم عليها عاكفين، وهو من باب التّقليد الأعمى دون تَفكُّر أو تَدبُّر، إذ وردت (ما) في هذا السياق (مرتين) (٣)، وقد نفت الآيتان الشّرك بالله بأداة النّفي (ما) (٤) غير العاملة داخلة على الجملة الفعليّة الّتي جاء فعلها مضارعًا (يعبدون، تعبدون) مرّة بأسلوب الغائب، ومرّة بأسلوب المخاطب، والفعل مسند إلى ضمير الجماعة؛ ليشمل كلَّ من كان هذا حاله من الشّرك، كما وردت (إلّا) في سياقها؛ لتأكيد النّفي وتقويته؛ لأنّ في القصر قوّة وتأكيدًا .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[يوسف: ٤٠]

---

(١) ينظر: معاني النحو: ٤/ ١٩٣، ١٩٤.

(٢) ينظر: البقرة: ١٣٥، وآل عمران: ٦٧، ٩٥، والأنعام: ١٠٧، ١٦١، والتوبة: ٣١، وهود: ٢٠، ١٠٩، ويوسف: ٣٨، ٤٠، والنحل: ١٢٣، ومريم: ٣٥، ٩٢، والمؤمنون:٩١، والفرقان: ١٨، والشورى: ٤٦، والجن: ٣، والبينة: ٥.

(٣) ينظر: هود: ١٠٩، و يوسف: ٤٠.

(٤) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ١٢/ ٣٥٥، واعراب القرآن وبيانه: ٤/ ٤٣٥.

فبعد أن أبطل يوسف (عليه السلام) ما هم عليه من الشّرك، وذكر أنه قد اتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب، وبين أن هذا فضل من الله عليهم وعلى الناس، وكثير من الناس لا يشكرون الخالق لهذه النعم فيعبدونه وحده دون أن يشركوا به أحدًا، ودعاهم إلى التوحيد الخالص وأيده بالبرهان الذي لا يجد العقل محيصًا من التسليم به والإقرار بصحته، شرع ببيان الحق في مسألة التوحيد وعبادة الله وحده فبيّن لهم أن ما يعبدونه ويسمونه آلهة إنّما هي تسمية من تلقاء أنفسهم، تلقوها عن ابائهم ليس لها مستند من العقل ولا الوحي السماوي، فقال: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) [(١)].

فـ " نفى وجود ما يسمونه آلهة، فهي في حقيقة أمرها لا وجود لها وجودًا حقيقيًّا، فضلًا عن أن تكون آلهة معبودة وذلك حق؛ لأن قدماء المصريين كانوا يفرضون آلهة للزرع، وآلهة تتوالد، وتتقاتل، كلها فروض لَا وجود لها، فهي أسماء سموها وعبدوها " [(٢)].

ومعنى قصر آلهتهم على" أنّها أسماء قصرًا إضافيًّا، أنّها أسماء لا مسمّيات لها فليس لها في الوجود إلّا أسماؤها. وقوله: أنتم وآباؤكم جملة مفسّرة للضّمير المرفوع في سمّيتموها. والمقصود من ذلك الرّدّ على آبائهم سدًّا لمنافذ الاحتجاج لأحقّيّتها بأنّ تلك الآلهة معبودات آبائهم، وإدماجًا لتلقين المعذرة لهم ليسهل لهم الإقلاع عن عبادة آلهة متعدّدة" [(٣)].

فتدرج يوسف (عليه السلام) في دعوتهم من رجحان التوحيد على اتخاذ آلهة متعددة، إلى برهان أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الألوهية والعبادة، وذلك بنفي عبادتهم من يستحق العبادة من دون الله جل وعلا. [(٤)]، وعبرّ عن هذا النفي بـ (ما) النافية مع (إلا) لتكوين أسلوب القصر، فيكون النفي أكثر توكيدًا.

(١) ينظر: تفسير المراغي: ١٢/ ١٤٨، ١٤٩.
(٢) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة: ٧/ ٣٨٢٥.
(٣) التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٧٦.
(٤) ينظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب: ١/ ٢٨٥.

- **سياق الرّد على من ادّعى أنّ الله اتّخذ ولدًا**، إذ ورد نفي الشّرك بالله بـ (ما) النّافية للجملة الفعليّة في هذا السياق (٤ مرات) [١]، وقد اشتركت الآيات الأربع برابط دلالي مفاده الدّلالة على نفي الشّرك بالله، والإقرار بالتّوحيد له سبحانه وتعالى، وذلك بنفي أن يتّخذ له ولدًا، فالآيات في مقام الرّدّ على من قال: إن الله اتّخذ ولدًا.

ففي قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[المؤمنون: ٩١] نفى الشّرك عنه تعالى، وذلك بنفي اتّخاذه ولدًا بأداة النّفي (ما) [٢] الدّاخلة على الفعل الماضي (اتخذ) المسند إلى فاعله الله سبحانه وتعالى، المتعدّي إلى مفعوله (ولد) الّذي جاء نكرةً للدّلالة على التّعميم، والشّمول لكلّ أحد، دون التّخصيص، فقد ادّعى المشركون أن الملائكة بنات الله، بينما قال اليهود: عزير ابن الله، أمّا النّصارى فقالوا: عيسى ابن الله، فجاءت (ولد) نكرةً ليكون الرّدّ شاملًا مفندًا لكلّ الادعاءات .

وإنّما انتفى أن يتخذ الله ولدًا؛ لأنّ من يتخذ الولد إمّا ؛ لأنّه يحب الحياة وموته يختصر هذه الحياة، فيريد الولد ليكون امتداداً لحياته، ويضمن به بقاء ذكره جيلاً من بعده، والله –عز وجل– لا يحتاج إلى ذكر من بعده تعالى؛ لأنّه باق لا يموت. أو قد يتّخذ الولد؛ ليكون سنداً وعوناً له حين يكبر وتضعف قواه وهذه أيضاً ممتنعةً في حقّه تعالى؛ لأنّه سبحانه القويّ، الّذي لا يحتاج إلى ناصر أو معيّن. أو أنّ الإنسان يحبّ الولد؛ لأنّه بعض منه، فيحبّ أن يكون له ولد من صلبه، وهذا فرع من حبّه للتملّك، وهذه أيضًا لا تجوز في حقّه تعالى، فالخلق جميعاً عيال الله وأولاده، فكيف يحتاج إلى الولد بعد ذلك ؟ إذن: كلّها حجج ومسائل باطلة؛ لذلك ردّ الله عليهم بقوله: (ما اتّخذ الله من ولد) [٣].

(١) ينظر: مريم: ٣٥، ٩٢، والمؤمنون:٩١، والجن: ٣.
(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٨/ ٢٠٤، وإعراب القرآن وبيانه: ٦/ ٥٠٤.
(٣) ينظر: تفسير الشعراوي: ١٦/ ١٠١٣١، ١٠١٣٢.

وقد بيّن الله تعالى في الآية الكريمة ثلاث مسائل هي: أنّه لم يتّخذ ولدًا، وأنّه لم يكن معه إله آخر سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأنّه أقام البرهان على استحالة تعدّد الآلهة بقوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ﴾ [١].

قال أبو حيان (ت:٧٤٥هـ): " نفى اتّخاذ الولد وهو نفي استحالة ونفى الشّريك بقوله: وما كان معه من إله، أي: وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعهم، ولا في غير ذلك ممّا يليق به من الصّفات العلى، فنفي الولد تنبيه على من قال: الملائكة بنات الله، ونفي الشّريك في الألوهيّة تنبيه على من قال: الأصنام آلهة، ويحتمل أن يراد به إبطال قول النّصارى والثّنويّة ومن ولد ومن إله نفي عامّ يفيد استغراق الجنس، ولهذا جاء إذاً لذهب كلّ إله ولم يأت التّركيب إذًا لذهب الإله" [٢]، " و(من) في الموضعين زائدة لتوكيد النفي" [٣].

وذهب ابن عاشور إلى أنّه " ذُكِرَ نفي الولد استقصاءً للرّدِّ على مختلف عقائد أهل الشّرك من العرب، فإنّ منهم من توهّم أنّه ارتقى عن عبادة الأصنام، فعبدوا الملائكة وقالوا: هم بنات الله. وإنّما قدّم نفي الولد على نفي الشّريك مع أنّ أكثر المشركين عبدة أصنام لا عبدة الملائكة؛ نظرًا إلى أنّ شبهة عبدة الملائكة أقوى من شبهة عبدة الأصنام؛ لأنّ الملائكة غير مشاهدين فليست دلائل الحدوث باديةً عليهم كالأصنام، ولأنّ الّذين زعموهم بنات الله أقرب للتّمويه من الّذين زعموا الحجارة شركاء الله" [٤].

فإذ قيل: لماذا قال تعالى في هذه الآية: (ما اتّخذ الله من ولد)، وفي موضع آخر قال: (ولم يتّخذ ولدًا) ؟

فجواب ذلك أنّ (ما) تستعمل للرد على دعوى، يُقال لك: أنت قلت كذا، فتقول: ما قلتُ، أما (لم)، فقد تكون من باب الإخبار، فليس بالضرورة أن تكون للردّ على قائل، فالجواب بـ (ما اتخذ)

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد أمين: ٥/ ٣٥١.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٥٨١.
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوجيّ: ٩/ ١٤٥.
(٤) التحرير والتنوير: ١٨/ ١١٣، ١١٤.

كان على مقولة: اتخذ الله صاحبةً وولدًا، أما الجواب بـ (لم يتخذْ) فجاء من باب الإخبار والتعليم، وليس ردًا على قائل. [١]

زيادةً على أنّ (ما) تنفي الماضي القريب من الحال غالبًا، ونفيها آكد من (لم)؛ لاقتران منفيها بـ (من) الاستغراقية؛ لإفادة التّوكيد، ووفقًا لما ذكرناه اتّضح سبب النّفي بـ (ما) في هذه الآية وفي هذا المورد دون (لم)؛ لأنّها تؤدّي الدّلالة المبتغاة من الآية الكريمة بدقّة .

- **سياق قصر الأمر بأن يعبد الناس إلهًا واحدًا هو الله سبحانه وتعالى،** وقد ورد نفي الشّرك بالله بـ (ما) النّافية للجملة الفعليّة في هذا السياق (مرتين) [٢]، وقد انتقض النفي بـ (إلا) لتكوين أسلوب القصر؛ لأن في القصر تأكيدًا وقوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾ [التوبة: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة: ٥]، وقد اشتركت الآيتان برابط دلّالي مفاده الدّلالة على نفي الشّرك بالله، إذ أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يعبدوه وحده لا شريك له مخلصين له الدّين.

وقد نفى الشّرك عنه تعالى، بنفي الأمر بعبادة إله غيره بأداة النّفي (ما) الدّاخلة على الفعل (أُمِروا) المبنيّ للمجهول، والضّمير المتّصل به يعود على اليهود والنّصارى، وحذف نائب الفاعل للعموم، وانتقض النفي بـ (إلا) لتكوين أسلوب القصر، فإن في القصر تأكيدًا وقوة، والتّقدير: ما أمروا بشيء إلّا بأن يعبدوا الله تعالى.

قال الزّمخشريّ: " أمرَتْهُم بذلك أدلّةُ العقل والنّصوص في الإنجيل والمسيح (عليه السلام): أنّه من يشرك بالله، فقد حرّم الله عليه الجنّة سبحانه تنزيه له عن الإشراك به، واستبعاد له. ويجوز

(١) ينظر: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ٧/ ٤٤٤.

(٢) ينظر: التوبة: ٣١، و البينة: ٥.

أن يكون الضّمير في وما أمروا للمتخذين أرباباً، أي: وما أمر هؤلاء الّذين هم عندهم أرباب إلّا ليعبدوا الله ويوحدوه، فكيف يصحّ أن يكونوا أربابًا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم" [١].

وقد ورد التعبير بالأمر بصيغة المبني للمجهول لنكات منها: كأنّه تعالى يقول: العبادة شاقّة، ولا أريد مشقّتك إرادةً أصليّةً بل إرادتي لعبادتك كإرادة الوالدة لحجامتك، ولهذا لمّا آل الأمر إلى الرّحمة قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[الأنعام: ٥٤]، ومنها أنّه تعالى يقول: لست أنا الآمر بالعبادة فقط، بل عقلك أيضًا يأمرك، بمعنى إقامة الدليل العقلي على نفي الشّرك. [٢]

بينما يرى ابن عاشور أنّ" التّعبير بالفعل المسند للمجهول مفيد معنيين، أي: ما أمروا في كتابهم إلّا بما جاء به الإسلام. فالمعنى: وما أمروا في التّوراة والإنجيل إلّا أن يعبدوا الله مخلصين...، أو المعنى وما أمروا في الإسلام إلّا بمثل ما أمرهم به كتابهم، فلا معذرة لهم في الإعراض عن الإسلام على كلا التّقديرين. ونائب فاعل أمروا محذوف للعموم، أي: ما أمروا بشيء إلّا بأن يعبدوا الله" [٣]، فقوله تعالى: (وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله)" جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا، أي: والحال أنّهم ما أمروا في كتابهم إلا لأجل أن يعبدوا الله " [٤]، وهي محطّ زيادة التّشنيع عليهم وإنكار صنيعهم بأنّهم لا عذر لهم فيما زعموا له سبحانه وتعالى من شركاء؛ لأنّ وصايا كتب الملّتين طافحة بالتّحذير من عبادة المخلوقات ومن إشراكها في خصائص الإلهيّة، وجملة (لا إله إلّا هو) صفة ثانية لـ (إلهاً واحداً). وجملة سبحانه عمّا يشركون مستأنفة لقصد التّنزيه والتبرّي ممّا افتروا على الله تعالى، ولذلك سمّي ذلك إشراكًا. [٥]

(١) الكشاف: ٢/ ٢٦٥.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٢٤٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٨٠.
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٩/ ١٨٥.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠/ ١٧٠، ١٧١.

وقد ورد النّفي بـ (ما) النّافية للجملة الاسمية في (١٧ موضعًا) [١] بحسب استقرائي، بسياقات متعدّدة، نذكر منها:

- **سياق تنزيه الأنبياء والمرسلين عن الشّرك بالله** تعالى، إذ ورد النفي بـ (ما) النافية للجملة الاسمية في هذا السياق (مرتين) [٢]، وقد ورد قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أوّل مرّة على لسان نبيّنا إبراهيم (عليه السلام) [٣]، ومرّةً أخرى على لسان نبيّنا محمّد (ﷺ) [٤]، فقد نفى الشّرك في الآيتين بأداة النّفي (ما) [٥] الدّاخلة على الجملة الاسمية، وهي (ما) الحجازيّة العاملة عمل (ليس) [٦]، والمبتدأ ضمير الرّفع المنفصل (أنا) يعود على النّبيّ (ﷺ)، والخبر شبه الجملة الجملة (من المشركين)، وقد تقدّم الآيتينِ مجموعة من الأدلّة والبراهين القاطعة على وحدانيّة الله سبحانه وتعالى، فتبعها هذا الإقرار على لسانهما، تبرّيًا من أن يكونا من المشركين .

وإذا قيل: لماذا أمر الله تعالى النّبيّ محمدًا (ﷺ) أن يقول كقول النّبيّ إبراهيم (عليه السلام)، ليس في هذا الموضع فقط، بل ورد ذلك في مواضع أخرى منه قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ﴾[آل عمران: من الاية٢٠]، فقول نبيّنا محمّد (ﷺ) (أسلمت وجهي) كقول النّبيّ إبراهيم (عليه السلام) ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ ﴾[الأنعام: من الآية ٧٩]، فالجواب: أنّ" تقدير الآية كأنّه تعالى قال: فإن نازعوك يا محمّد في هذه التّفاصيل فقل: أنا مستمسك بطريقة إبراهيم وأنتم معترفون بأنّ طريقته حقّة بعيدة عن كلّ شبهة وتهمة . فكان هذا من باب التّمسّك بالإلزامات، وداخلًا تحت قوله: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: ١٢٥]" [٧]، ومن هنا يتّضح لنا سرّ التّرابط بينهما .

---

(١) ينظر: آل عمران: ٦٢، والمائدة: ٧٣، و الأنعام: ٧٩، والأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠،٦١، ٨٤، ١١٣، ويوسف: ١٠٨، والرعد: ١١، والمؤمنون: ٢٣، و ٣٢، وسبأ: ٢٢، و ص: ٦٥.

(٢) ينظر: الأنعام: ٧٩، و يوسف: ١٠٨.

(٣) ينظر: الأنعام: ٧٩.

(٤) ينظر: يوسف: ١٠٨.

(٥) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٧/ ٢٠٠.

(٦) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ١٣/ ٧٩.

(٧) محاسن التأويل: ٢/ ٢٩٨.

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٧٩]

فإبراهيم (عليه السلام) " لمّا أنكر على أبيه عبادة الأصنام وضَلَّلَهُ وقومه، ثمّ استدلّ على ضلالهم بقضايا العقول إذ لا يذعنون للدّليل السّمعيّ؛ لتوقّفه في الثّبوت على مقدّمات كثيرة وأبدى تلك القضايا منوطةً بالحسّ الصّادق، تبرّأ من عبادتهم وأكّد ذلك بـ (أنّ) ثمّ أخبر أنّه وجّه عبادته لمبدع العالم الّتي هذه النّيّرات المستدلّ بها بعضه، ثمّ نفى عن نفسه أن يكون من المشركين مبالغةً في التّبرّؤ منهم " [١].

فجملة (وما أنا من المشركين) عطف على الحال، نفى إبراهيم (عليه السلام) عن نفسه أن يكون متّصلًا بالمشركين وفي عدادهم وقد أفادت الجملة تأكيدًا لجملة (إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً)، وإنّما عطفت عليها؛ لأنّها قصد منها التبرّي من أن يكون من المشركين.[٢]

فكأنه (عليه السلام) يقول: " الآن بعد أن عرفت أنّ وراء هذه المخلوقات المتغيّرة المحدودة الخاضعة لقوانين الطّبيعة إلهاً قادراً وحاكماً على نظام الكائنات، فإنّي اتّجه إلى الّذي خلق السّموات والأرض، وفي إيماني هذا لن أشرك به أحداً، فإنّي موحّد ولست مشركاً." [٣]

وظاهر الكلام" أنّه ينصرف عن فرض الشّريك إلى إثبات أنْ لا شريك له، لا أنّه يثبت وجوده تعالى " [٤]، فكان" مجموع قوله تعالى: (إني وجهت...) ، إثبات المعبودية لله تعالى، ونفي الشّريك عنه قريبًا ممّا تفيده الكلمة الطّيّبة: لا إله إلّا الله . [٥]

(١) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٥٦٨.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ٣٢٤.
(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤/ ٣٤٩.
(٤) تفسير الميزان: ٧/ ١٨١.
(٥) ينظر: تفسير الميزان: ٧/ ١٩٨.

- **سياق الرّد على من قال: إنّ مع الله إلهًا آخر**، إذ ورد نفي الشّرك بالله بـ (ما) في هذا السياق ثلاث مرّات، فقال تعالى: ﴿ مَا مِنْ إِلَٰه إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾[1]، وقد وردت (مِنْ) في سياقها لاستغراق نفي الجنس كلّه استغراقًا مستمرًّا ثابتًا مؤكّدًا، أي: لا إله ولا واحد ولا اثنان، ففيه ردّ على كلّ من ادّعى أنّ مع الله إلهًا، أي: تنفي نفيًا قاطعًا أن يكون مع الله إله آخر، فهو واحد أحد فرد صمد، وتثبت أنّ الألوهيّة الحقّة لله جلّ وعلا، وقد وردت (ما) هنا نافيةً للجملة الاسمية، ولكنّها مهملة ؛ لانتقاض نفيها بـ (إلّا) فكان ما بعدها مبتدأ وخبر .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰه إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ٦٢]

فقوله تعالى: (إنّ هذا لهو القصص الحقّ) " إشارة إلى ما تقدّم ذكره من الدّلائل، ومن الدّعاء إلى المباهلة لهو القصص الحقّ "[2]، ثمّ قال تعالى: (وما من إله إلّا الله) " وهذا يفيد تأكيد النّفي، لأنّك لو قلت: ما عندي من النّاس أحد، أفاد أنّ عندك بعض النّاس، فإذا قلت: ما عندي من النّاس من أحد، أفاد أنّه ليس عندك بعضهم، وإذا لم يكن عندك بعضهم، فبأن لا يكون عندك كلّهم أولى فثبت أنّ قوله: (وما من إله إلّا الله) مبالغة في أنّه لا إله إلّا الله الواحد الحقّ سبحانه وتعالى"[3]، أي: " المختصّ بالإلهيّة هو الله وحده، وفيه ردّ على الثّنويّة والنّصارى، وكلّ من يدّعي غير الله إلهًا "[4].

و قد دخلت (من) الزّائدة بعد أداة النّفي (ما) " ؛ تنصيصًا على قصد نفي الجنس لتدلّ الجملة على التّوحيد، ونفي الشّريك بالصّراحة، ودلالة المطابقة، وأن ليس المراد نفي الوحدة عن غير

(١) ينظر: آل عمران: ٦٢، و المائدة: ٧٣، و ص: ٦٥.
(٢) مفاتيح الغيب: ٨/ ٢٥٠.
(٣) مفاتيح الغيب: ٨/ ٢٥٠، ٢٥١.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ١٩٢.

الله، فيوهم أنّه قد يكون إلاهان أو أكثر في شقّ آخر، وإن كان هذا يؤول إلى نفي الشّريك لكن بدلالة الالتزام" [١].

فتبين من ذلك أن" ظاهر قوله: (وما من إله إلّا الله) أبلغ من قولنا: وما إله؛ لاستغراقه، ولا يصحّ جرّ لفظ الله على البدل من إله؛ لأنّ (مِنْ) هذه لا تدخل إلّا على كلّ نكرة غير موجبة، فإذن لا يكون إلّا رفعًا؛ ردّاً على موضع (من إله)، وأعاد ذكر الله ظاهراً على طريق التعظيم" [٢] .

فإذا قيل: لمّا كانت الآية تدلّ على نفي استغراق الجنس نفيًا مؤكدًا، فلماذا لم يأتِ النّفي بـ (لا النّافية للجنس) فيقال: (لا إله إلّا الله)، ما دامت بمعنى (ما من إله إلّا الله)، فما الّذي يميّز (ما) عن (لا) حتّى اختيرت في هذا الموضع مع أنّ المعنى واحد ؟

والجواب " هنالك أمران، أنّ (لا) جواب عن سؤال وإخبار وإعلام، و (ما) ردّ على قول، و (ما) هي أوسع استعمالاً لنفي الجنس من (لا) . إذن هنالك (لا) النّافية للجنس و (ما من)، (ما) تعرب نافية؛ لأنّ الجنس يأتي من (مِن)، ولا يأتي من (ما)، والتّركيب (ما من) نافية للجنس، (من) تسمّى من الاستغراقية ونعربها زائدة لكن معناها استغراق نفي الجنس" [٣]، وهذه الآية ليست جوابًا عن سؤال أو إعلام وإخبار، بل هي ردّ على من قال: إن مع الله إلهًا آخر فردّ عليه تعالى بقوله: ما من إله إلّا الله .

- **سياق دعوة الرّسل والأنبياء لأقوامهم، بأن يعبدوا الله ونفي أن يكون لهم إله غيره**، إذ ورد نفي الشّرك بالله بـ (ما) النافية في هذا السياق (٩ مرات) [٤]، والرّابط الدّلاليّ في الآيات التّسع أن دعوتهم كانت موحّدة بلفظ واحد ومعنى واحد، فقوله تعالى: ﴿ **ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ** ﴾ ورد في القرآن الكريم على لسان أنبياء الله نوح وهود، وصالح، وشعيب (عليهم السلام)، في سور متعدّدة من القرآن الكريم، فالرسل – وإن تعدّدوا– دعوتهم كانت واحدةً، وهي التّوحيد،

(١) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٦٧.
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ٦٠٩، ٦١٠.
(٣) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ١١/ ٢٧.
(٤) ينظر: الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤، والمؤمنون ٢٣، ٣٢.

بعبادة الله الواحد الأحد، وأن لا يشركوا به شيئًا، وقد وردت هذه الدّعوة أوّل مرّة على لسان نبيّ الله نوح عليه السّلام، ثمّ جاء بها الرّسل والأنبياء من بعده .[١]، وقد نُفِيَ الشّرك بـ (ما) [٢] النّافية للجملة الاسمية، وهي هنا مهملة لتقدّم خبرها على اسمها . ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

ففي قوله تعالى: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَه غَيْرُهُ) جملتان " الجملة الأولى دعوة إلى عبادته؛ لأنّه خالق الكون ومنشئ الوجود، والجملة الثانية تدل على انفراده وحده بالألوهية، فهي نفي وإثبات؛ نفي أن يكون لهم إله غير الله، ولذا قال: (مَا لَكُم مِّنْ إِلَه غَيْرُهُ)، أي: ليس لكم من إله غيره سبحانه، و (من) لاستغراق النفي، والمعنى: ليس لكم أي إله يعبد غيره؛ لأنه الخالق، ولأنه ليس كمثله شيء في ذاته أو صفاته، فهو المعبود وحده." [٣]

قال ناصر مكارم الشّيرازيّ: " بما أنّ البشر لا يمكن أن يعيشوا دون قائد ربّاني، فقد بعث الله أنبياءه يدعون إلى توحيده ويقيمون عدالته بين النّاس، حيث تقول الآية التّالية: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾ [٤]. وهذه هي الرّكيزة الأساسيّة لدعوة الأنبياء، إنّها نداء التّوحيد، أُسُّ جميع الإصلاحات الفرديّة والاجتماعية" [٥].

فتبيّن مما سبق ذكره أنّ (ما) النافية قد وردت نافية للجملة الفعلية والاسمية في سياق نفي الشّرك بالله في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومع أنّ النفي بـ (ما) فيه معنى التأكيد إلّا أن التعبير القرآني جاء بإحدى المؤكدات مع (ما) النافية كأسلوب القصر، و(من) الاستغراقية في سياق نفي الشّرك بالله؛ للدلالة على التوحيد ونفي الشّرك صراحة على وجه اللزوم؛ لأنّ نفي الشّرك بالله يتوجب نفيه نفيًا قاطعًا لا تشوبه شائبة، فسبحان الله من مزايا كتابه وخفاياه.

(١) ينظر: تفسير الشعراوي: ١٦/ ١٠٠٢٤، ١٠٠٢٥.
(٢) ينظر الجدول في إعراب القرآن: ١٨/ ١٦٨.
(٣) زهرة التفاسير: ٦/ ٢٨٧٨.
(٤) المؤمنون: من الآية: ٣٢.
(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠/ ٤٤٨.

رابعاً : دلالة النفي بـ (لم):

تستعمل (لم) لنفي (فعلَ)" إذا قال: فعلَ، فإنّ نفيه لم يفعلْ" [١] أي:" إنّه موضوع لنفي الماضي، فإذا قال القائل: (قام زيد)، كان نفيه: لم يقمْ" [٢]، "وذلك أنّ (فعلَ) غير مخصوص بزمن معيّن من أزمنة الماضي، ونفيه كذلك... كان سيفعل: نفيه (لم يكن ليفعل) فإذا قلت: (كان سيحضر)، أو (كان سوف يحضر)، فإن نفيه (لم يكن ليحضر)". [٣]، ومعنى ذلك أن " (لم) لنفي الماضي بالمعنى كقولك: لم يخرج زيد" [٤].

وذهب الدكتور فاضل السامرائي، والدكتور عز الدّين علي مختار إلى أن النّفي بـ (لم) يأتي على ثلاثة أنواع: أن يكون النّفي بها منقطعاً، إذا انتفى حدوث الفعل انتفاء مؤقتاً ثمّ انقطع نحو: لم يحفظ الطّالب السّورة أمس، وإنّما حفظها اليوم. وأن يكون النّفي بها متصلاً إلى زمن التّكلّم، نحو: لم يعد محمّد من الجامعة إلى هذه اللّحظة. و أن يكون النّفي بها مستمراً لم ينقطع، ولا ينقطع، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص: ٣، ٤] [٥].

وتختص (لم) من بين أدوات النفي بأنّ المنفي بها لا يلزم اتّصاله بالحال، بل قد يكون منقطعًا، نحو قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]، وقد يكون متصلاً، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤]. وأنّ الفعل لا يجوز حذفه بعدها إلّا في الضّرورة، وأنها تصاحب أدوات الشّرط، نحو: إن لم، ولو لم . وأنّها فُصِل بينها وبين مجزومها اضطرارًا. وأنها قد تلغى [٦].

---

(١) الكتاب: ١١٧/٣.
(٢) شرح المفصل:٥/ ٣٥.
(٣) معاني النحو: ٤/ ٢١٥، ٢١٦.
(٤) حروف المعاني والصفات، الزجاجيّ: ٨.
(٥) ينظر: معاني النحو:٤/ ١٨٩، وأسلوب النفي ادواته ودلالته: ٢٧٩.
(٦) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٦٨-٢٦٩، وشرح المفصل: ٣٤/٥، وهمع الهوامع: ٥٤٢/٢، وبناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ٢٩١.

وقد وردت (لم) في آيات نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم نافيةً للجملة الفعليّة، بسياقات متعددة وذلك في (٨ مواضع) [١] بحسب استقرائي.

فقد وردت (٣ مرات) [٢] في **سياق الرّدّ على القائلين بالثّنويّة وبالتّثليث**، وذلك بنفي الوالديّة عنه سبحانه تعالى، وقد اشتركت الآيات الثّلاث برابط دلّالي هو الدّلالة على نفي الشّرك بالله، وإقرار التّوحيد له سبحانه وتعالى، وذلك بنفي أن يكون له ولد، فالآيات في مقام الرّدّ على من قال: إنّ لله ولدًا،" وذلك؛ لأنّ مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النّصارى: المسيح ابن الله" [٣]

ففي قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [٤] نفى الشّرك عنه تعالى، وذلك بنفي اتّخاذه ولدًا بأداة النّفي (لم) [٥] الدّاخلة على الفعل المضارع (يتخذ) المسند إلى الضّمير المستتر فيه العائد على الله سبحانه وتعالى المتعدّي إلى مفعوله (ولدًا) الّذي جاء نكرةً للدّلالة على التّعميم، والشّمول لكلّ أحد، من دون تخصيص .

وإنّما نفت الآيات عنه أنّ يكون له ولد، أو يتّخذ ولدًا؛" لأنّ امتلاك الولد دليل على الحاجة، وأنّه جسمانيّ، وله شبيه ونظير، والخالق جلّ وعلا ليس بجسم ولا يحتاج لولد، وليس له شبيه ونظير" [٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣] دلالة على التّوحيد، ونفي الوالديّة والمولوديّة عنه سبحانه وتعالى، بأداة النّفي (لم) الدّاخلة على الفعل المضارع (يلد، و يولد) المسند إلى الضّمير المستتر فيه العائد على الله تعالى، المتقدّم ذكره في أوّل السّورة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ

(١) ينظر: النحل: ١٢٠، والاسراء:١١١، والكهف: ٤٢، ٤٣، والفرقان: ٢، و الروم: ١٣، والإخلاص: ٣، ٤.
(٢) ينظر: الاسراء:١١١، والفرقان: ٢، والإخلاص: ٣.
(٣) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٦٣.
(٤) ينظر: الاسراء:١١١، و الفرقان: ٢.
(٥) ينظر: الجدول في إعراب القرآن: ١٥/ ١٣٤.
(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ١٨١.

﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، " والإشارة إلى دليله بـ (هو) أوّل السّورة، فإنّه لمّا لم يكن له ماهيّة، واعتبار سوى أنّه هو لذاته وجب أن لا يكون متولّدًا عن غيره، وإلّا لكانت هويّته مستفادة عن غيره فلا يكون هو لذاته ." [١]، فـ" هذه السّورة مكّيّة ... ولمّا تقدّم فيما قبلها عداوة أقرب النّاس إلى الرّسول (ﷺ)، وهو عمّه أبو لهب، وما كان يقاسي من عبّاد الأصنام الّذين اتّخذوا مع الله آلهةً، جاءت هذه السّورة مصرّحةً بالتّوحيد، رادّةً على عبّاد الأوثان والقائلين بالثّنويّة وبالتّثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتّوحيد" [٢]

قال الزّمخشريّ " لم يلد؛ لأنّه لا يجانس، حتّى تكون له من جنسه صاحبه فيتوالدا. وقد دلّ على هذا المعنى بقوله أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة. ولم يولد؛ لأنّ كلّ مولود محدث وجسم، وهو قديم لا أوّل لوجوده ... وقوله: لم يولد وصف بالقدم والأوّلية. وقوله لم يلد نفي للشّبه والمجانسة ." [٣]

وقد ذكر الرّازي في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[الإخلاص: ٣] سؤالًا مفاده:

" لِمَ قدّم قوله: لم يلد على قوله: ولم يولد مع أنّ في الشّاهد يكون أوّلًا مولودًا، ثمّ يكون والدًا؟ الجواب: إنّما وقعت البداءة بأنّه لم يلد، لأنّهم ادّعوا أنّ له ولدًا، ولم يدّع أحد أنّ له والدًا، فلهذا السّبب بدأ بالأهمّ، فقال: لم يلد ثمّ أشار إلى الحجّة فقال: ولم يولد كأنّه قيل: الدّليل على امتناع الولديّة اتّفاقنا على أنّه ما كان ولدًا لغيره" [٤]، ثم أعقبه بسؤال آخر يتصل بدلالة النفي أيضًا، وهو

" لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال: لم يلد ولم يقل: لن يلد؟ الجواب: إنّما اقتصر على ذلك لأنّه ورد جوابًا عن قولهم ولد الله والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾

(١) روح المعاني : ١٥/ ٥١٦.
(٢) البحر المحيط في التفسير:١٠/ ٥٧٠، وينظر: تفسير النهر الماد من البحر المحيط، د. عمر الأسعد: ١/ ١١٢، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٠/ ٥٥٢.
(٣) الكشاف: ٤/ ٨١٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن:٢٠/ ٢٤٦.
(٤) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٦٣.

[الصافات: ١٥١، ١٥٢] فلمّا كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم إنّما قالوا ذلك في الماضي، لا جرم وردت الآية على وفق قولهم ". [١]

وقال ابن عاشور: " وإنّما نفى أن يكون الله والدًا وأن يكون مولودًا في الزّمن الماضي، لأنّ عقيدة التّولّد ادّعت وقوع ذلك في زمن مضى، ولم يدّع أحد أنّ الله سيتّخذ ولدًا في المستقبل" [٢]، ولعل المراد بذلك استمرار النّفي، وإنّما عبّر بالماضي لمشاكلة قوله تعالى:(ولم يولد) وهو لا بدّ أن يكون بصيغة الماضي، ثمّ بيّن أنّه تعالى لا يتولّد عنه غيره؛ لأنّه غير متولّد عن غيره وكأنّه تعليل لما قبله، فيصير تقدير الكلام (لم يلد لأنّه لم يتولد) . [٣]

وأسئلة الرّازي هذه أثارت في ذهني أسئلة أخرى منها: أنّه لمّا كانت الآية الكريمة تريد نفي الفعل في الماضي؛ لأنّها جاءت جوابًا لـ (ولد الله)، فلماذا لم يستعمل القرآن (ما) النّافية بدل (لم) فيقول: ما ولد، وما يولد ؟

والجواب على ذلك – فيما يبدو لي– نجده عند ابن يعيش، إذ يرى أنّ (لم) " فيها زيادة فائدة ليست في (ما)؛ وذلك أنّ (ما) إذا نفت الماضي، كان المراد ما قرب من الحال، و(لم) تنف الماضي مطلقًا " [٤]، والقرآن يريد نفي الماضي المطلق غير المنقطع، لذا جاءت (لم) هنا مؤدّيةً للغرض دون (ما) .

أمّا إذا قيل: لماذا لم يستعمل (لا) بدل (لم) فيقول: لا يلد ولا يولد ؟

(١) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٦٤، وينظر: فتح القدير، الشوكاني: ٥/ ٦٣٤، ٦٣٥، و لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ١٣/ ٢٥٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦١٨.

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٥/ ٥١٣– ٥١٦.

(٤) شرح المفصل: ٥/ ٣٥.

فالجواب كما يبدو: بما أنّ (لا) تكون لنفي المستقبل [١] كما في (لن)، والغرض من الآيات – كما ذكرنا سابقًا– النّفي المطلق الممتدّ من الماضي إلى الحال، فكان لا بدّ من استعمال (لم) لتأدية الدّلالة بدقّة .

أمّا إذا قيل: لماذا لم يستعمل (لمّا) بدل (لم) وهما كما قال ابن يعيش " أختان؛ لأنّهما لنفي الماضي" [٢] ؟

فالجواب على ذلك: أن (لمّا) منفيها متوقّع ثبوته، فالنّفي بها يستمرّ إلى زمن الإخبار، ويتوقّع حدوثه فيما بعد [٣]، "وأن المنفيّ بـ (لما) فيه معنى التّوقّع، وذلك لأنّها نفي لـ (قد فعل) و (قد) فيها معنى التّوقّع، وكذلك منفيها، فإنّك إذا قلت (لما يحضر)، فإنّ المعنى: لما يحضر بعد وهو متوقّع حضوره" [٤]، وهذا خلاف المقصود من الآية الكريمة الذي عُبّر عنه باستعمال الأداة (لم)، وقد ذكر ناصر مكارم الشيرازي أن " أمير المؤمنين عليًا(عليه السلام) يقول في إحدى خطب نهج البلاغة: (لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً... ولا كفؤًا له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه) [٥] . هذا التّفسير الرائع يكشف عن أسمى معاني التّوحيد وأدقّها " [٦].

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أن القرآن الكريم استعمل (لم) دون بقيّة أدوات النّفي؛ لأنّ باقي الأدوات لا تحقّق الغرض الدّلاليّ المراد من الآية– وهو التوحيد– فالحرف (لم) له عدّة وظائف تتسق مع الغرض بدقّة، منها: أنّها وضعت لنفي الماضي، وأنّها تقلّب زمن الفعل من الحال إلى الماضي فيبقى النّفي بها متّصلًا إلى زمن التّكلّم، أي: إن النّفي بها يكون نفيًا مطلقًا، لذا كانت (لم) هنا متمكّنة مؤدّيةً للدّلالة المقصودة بالآية الكريمة .

---

(١) ينظر: الكتاب: ١١٧/٣.
(٢) شرح المفصل: ٥/ ٣٥.
(٣) ينظر: همع الهوامع:٢/ ٥٤٣.
(٤) معاني النحو:٤/١٩٠،١٨٩.
(٥) نهج البلاغة– المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، السيد الشريف الرضي: ٣٢١، ٣٢٢، الخطبة: ١٨٦.
(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ٥٥٤.

وقد ورد النّفي بـ (لم) مرّةً واحدةً في **سياق نفي أن يكون لله تعالى شبيه أو مثيل أو صاحبة – أي: زوجة**– ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ** ﴾[الإخلاص: ٤] نفى الشّرك عنه تعالى بأداة النّفي (لم) الدّاخلة على الفعل المضارع النّاقص (يكن) المتقدّم خبره (كفوًا) على اسمه (أحد)، وتقدّم الظّرف (له) عليه؛ للاهتمام، والعناية باستحقاق الله تعالى نفي كفاءة ومشابهة أحد له [١] .

وللآية الكريمة عدّة دلالات منها: نفي ما لا يجوز عليه سبحانه وتعالى من الصّفات، إذ نفى الله تعالى عن ذاته المقدّسة الأضداد والأنداد، وأبطل مذهب المشركين، إذ جعلوا آلهتهم وأصنامهم أكفاء لله وشركاء [٢].

والمعنى:" لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء... أي: لم يكن له مثلًا أحد. وفيه تقديم وتأخير، فقدّم خبر كان على اسمها؛ لينساق أواخر الآي على نظم واحد" [٣]، وليس الأمر مقصورًا على اتساق أواخر الآي في نظم واحد كما ذكر القرطبي، وإنّما للتقديم والتأخير دلالة بلاغية تتمثل بالعناية بنفي الكفء عنه سبحانه وتعالى.

واختلف المفسرون في المقدم في الجملة، قال الزمخشري: " فإن قلت: الكلام العربيّ الفصيح أن يؤخر الظّرف الّذي هو لغو غير مستقرّ ولا يقدّم، وقد نصّ سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله مقدّمًا في أفصح كلام وأعربه ؟ قلت هذا الكلام إنّما سيق لنفى المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه، ومركزه هو هذا الظّرف، فكان لذلك أهمّ شيء وأعناه، وأحقه بالتّقدّم وأحراه" [٤].

وردّ عليه أبو حيان قائلًا: "وهذه الجملة ليست من هذا الباب، وذلك أنّ قوله (ولم يكن له كفواً أحد) ليس الجارّ والمجرور فيه تاماً، إنّما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبراً لـ (كان)، بل هو متعلّق بـ (كفواً) وقدّم عليه...، فهو في معنى المفعول متعلّق بـ (كفواً) وتقدّم على (كفواً) ؛ للاهتمام

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه:١٠/ ٦١٧.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٦٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن:٢٠/ ٢٤٦، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٥/ ٥٣٧.
(٤) الكشاف: ٤/ ٨١٨، ٨١٩، وينظر: مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٦٥.

به، إذ فيه ضمير الباري تعالى، وتوسّط الخبر وإن كان الأصل التّأخير؛ لأنّ تأخير الاسم هو فاصلة فَحسُن ذلك " [١].

واستناداً إلى هذه الآية، فإنّ الله سبحانه منزّه عن عوارض المخلوقين، وصفات الموجودات، وكلّ نقص ومحدودية . فهو تبارك وتعالى لا شبيه له في ذاته، ولا نظير له في صفاته، ولا مثيل له في أفعاله، وهو متفرّد لا نظير له من كلّ الجهات . [٢]

وذكر الطبرسي أنّ الله سبحانه وتعالى " نفى الأشكال والأضداد بقوله: (ولم يكن له كفوًا أحد) فحصلت الوحدانيّة " [٣].

ويبدو– على وفق ما سبق – أنّ القرآن الكريم استعمل (لم) في هذه الآية للنّفي، ولم يستعمل بقيّة الأدوات التي لا تؤدّي الدّلالة المقصودة من الآية، وهي نفي الشّريك، والشّبيه، والمثل لله تعالى نفيًا مطلقًا، وهذه الدّلالة لا تتحقّق إلّا مع (لم)، فالقرآن الكريم يختار الأداة اختيارًا دقيقًا لكي تؤدّي الدّلالة بصورة دقيقة غير قابلة للشّكّ، فتأتي مستقرّةً متمكّنةً في موضعها لا يمكن أن يحلّ عنها سواها أو يؤدّي الدّلالة نفسها، فلو قال: (لمّا يكن له كفوًا أحد) لكان متوقّعًا ثبوته بعد حين، ولو قال: (لن يكون له)، أو (لا يكون له كفوًا أحد)، لدلت الآية على نفي الكفء، والمثيل في المستقبل، أي: ربّما كان حاصلًا في الماضي، ولو قال: (ما كان له كفوًا أحد) لكان النّفي في زمن الماضي القريب من الحال، وليس نفي الماضي مطلقًا، والآية تريد نفي الماضي المطلق غير المنقطع، ولا ينقطع؛ لذا جاءت (لم) هنا مؤدّيةً للغرض دون غيرها من الأدوات، فالله سبحانه وتعالى لم يكن له شبيه أو مثيل في أيّ حال من الأحوال، فهو الواحد الأحد الفرد الصّمد سبحانه وتعالى عمّا يصفون علوًا كبيرًا.

(١) تفسير النهر الماد من البحر المحيط: ١/ ١١٢.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ٥٥٤.
(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٤٣٨.

خامساً : دلالة النفي بـ (لَنْ) :

لَنْ "حرف نفي ونصب واستقبال، وسبب تسميتها هكذا أنّها تنفي الفعل بعد أن كان مثبتاً، وتنصبه بعد أن كان مرفوعاً، و تحوّل معناه من الحاضر إلى المستقبل نحو: ﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾[الكهف: ١٤] " [١]

و ذكر الزّركشيّ أنّها " لنفي الفعل في المستقبل؛ لأنّها في النّفي نقيضة (السّين وسوف)... فإذا قلت: سأفعل، أو سوف أفعل كان نقيضه: لن أفعل ". [٢]

وذكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) أنّ النّفي بـ (لن) أبلغ من النّفي بـ (لا) فهي لتأكيد النّفي؛ لأنّها لنفي: إنّي أفعل، و(لا) لنفي: أفعل كما في (لم) (ولما). قال بعضهم: العرب تنفي المظنون بـ (لن) والمشكوك بـ (لا). [٣]

وذهب الزّمخشريّ إلى أنّ (لنْ) تفيد التأبيد [٤]، ورُدَّ عليه بأنّه " لو كانت للتّأبيد لم يُقيّد منفيّها باليوم في ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]، ولم يصحّ التّوقيت في ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[طه: ٩١]، ولكان ذكر (الأبد) في ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[البقرة: ٩٥] تكرارًا، والأصل: عدمه، واستفادة التّأبيد في ﴿ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ [الحج: ٧٣] ونحوه من خارج"[٥].

وقيل: أنّ المراد بالتأبيد عبارة عن الزّمن الطّويل لا عن الّذي لا ينقطع . [٦]

و" عكس ابن الزّملكانيّ مقالة الزّمخشريّ فقال: إنّ (لن) لنفي ما قرب وعدم امتداد النّفي ولا يمتدّ معنى النّفي، قال: وسرّ ذلك أنّ الألفاظ مشاكلة للمعاني و(لا) آخرها الألف، والألف يمكن

(١) قاموس الأدوات النحوية، حسين سرحان: ١٣٢.
(٢) البرهان في علوم القرآن:٤/ ٣٨٧.
(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٢/ ٢٧٨.
(٤) ينظر: الأنموذج في النحو، الزمخشري: ١٩٠.
(٥) الإتقان في علوم القرآن:٢/ ٢٧٨، وينظر: معاني النحو:٤/ ١٩٠.
(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٤/ ٣٨٨.

امتداد الصّوت بها بخلاف النّون فطابق كلّ لفظ معناه. قال: ولذلك أتى بـ (لن) حيث لم يرد به النّفي مطلقًا بل في الدّنيا حيث قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [1]، وبـ (لا) في قوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] حيث أُريد نفي الإدراك على الإطلاق وهو مغاير للرّؤية ". [2]، ولا أحسب أنّ التحليل الصوتي ينسجم مع دلالة النفي في الآية، فهو خارج عنها، بدليل أنّ" (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل. تقول : (لا أبرح اليوم مكاني) . فإذا وكدت وشدّدت، قلت : (لن أبرح اليوم مكاني). قال الله تعالى: ﴿ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾[الكهف: ٦٠]، وقال تعالى : ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾ [يوسف: ٨٠] ....، (لن) معناها النّفي، وهي موضوعة لنفي المستقبل، وهي أبلغ في نفيها من (لا)؛ لأنّ (لا) تنفي (يفعل) إذا أريد به المستقبل، و(لن) تنفي فعلاً مستقبلًا قد دخل عليه السّين وسوف، وتقع جوابًا لقول القائل : (سيقوم زيد)، و(سوف يقوم زيد) . والسّين وسوف تفيدان التّنفيس في الزّمان، فلذلك يقع نفيه على التّأبيد وطول المدّة، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ ﴾[البقرة: ٩٥] " . [3]

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أن "سوف يفعل، أو سيفعل: نفيه (لن يفعل). وذلك أنّ (السين) و (سوف) للاستقبال ومنفيهما كذلك، ثمّ إنّ (السّين) و(سوف) يفيدان توكيد حصول الفعل في المستقبل. ومنفيهما كذلك، فإنّ (لن) تفيد توكيد النّفي في المستقبل. ولا يجمع بينهما فلا يقال : سوف لن أفعل؛ لأنّ سوف لتوكيد الإثبات في المستقبل، و (لن) لتوكيد النّفي في المستقبل" [4].

وقد ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (لن) في (٦ مواضع) [5] في سياقات متعدّدة، بحسب استقرائي.

---

(١) الأعراف: من الآية ١٤٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن:٢/ ٢٧٩.

(٣) شرح المفصل:٥/ ٣٧، و ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٨٨.

(٤) معاني النحو:٤/ ٢١٦.

(٥) ينظر: الإسراء: ٩٧، والكهف: ١٤، ٢٧، ٥٨، والجن:٢، ٢٢.

فقد وردت (٣ مرات) [١] في **سياق نفي أن يوجد من دونه تعالى ملجأ لأحد**، وقد اشتركت الآيات الكريمة الّتي وردت في هذا السّياق برابط دلّالي مفاده: الدّلالة على وحدانيّة الله، بنفي وجود ملجأ لأحد من دونه تعالى، عن طريق نفي الفعل المضارع (تجد، أجد، يجدوا) المسند إلى الضّمير المستتر فيه، والفعل المضارع متعد إلى مفعوله (ملتحدًا، موئلًا)، الّذي جاء نكرةً، لغرض التّعميم، والشّمول لأيّ شيء من دون تخصيص، وقد دلّت الآيات على نفي الشّرك بأداة النّفي (لن) [٢] للدّلالة على نفي المستقبل نفيًا مؤكدًا . وخصّ الخطاب بالنّبيّ محمّد (ﷺ) في آيتين [٣]، وقد تصدرت الآيات بفعل أمر (أتلُ، وقلْ) للدّلالة على أنّ ما بعد الفعل يستحقّ الاهتمام، أمّا الآية الثّالثة [٤] فكانت بأسلوب الغائب، وتخصّ أهل مكّة، وبيان حالهم، وقد بدأت بأسلوب التّرغيب بذكر المغفرة والرّحمة، ثمّ أعقبها بأسلوب التّرهيب؛ ليلقي عليهم الحجّة ويستحقوا ما يؤوْل إليه حالهم فيما بعد.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا** ﴾[الكهف: ٢٧]

ومعنى قوله ملتحدًا " أي: التجاءً، أو موضع التجاء. وألحد السّهم الهدف: مالَ في أحد جانبيه" [٥].

قال السيد الطباطبائي: "وبذلك ظهر أنّ كلًّا من قوله: (لا مبدّل لكلماته) وقوله (لن تجد من دونه ملتحدًا) في مقام التّعليل، فهما حجّتان على الآمر في قوله: (واتلُ) ولعلّه لذلك خصّ الخطاب في قوله: (ولن تجد) إلخ بالنّبيّ (ﷺ) مع أنّ الحكم عامّ ولن يوجد من دونه ملتحد لأحد... ويؤيّد

(١) ينظر: الكهف: ٢٧، ٥٨، والجن: ٢٢.
(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن:١٥/ ٢١٥، وإعراب القرآن وبيانه: ٥/ ٦٢٥.
(٣) ينظر: الكهف: ٢٧، والجن: ٢٢.
(٤) ينظر: الكهف: ٥٨.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهانيّ: ٧٣٧.

هذا المعنى قوله في موضع آخر: ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾[الجن: ٢٢، ٢٣] " [١].

ويرى ناصر مكارم الشّيرازي أنّ" هذا الخطّاب يشير من جهة إلى الإقرار الكامل بالعبوديّة لله تعالى، وإلى نفي كلّ أنواع الغلوّ في شأن النّبي(ﷺ) من جهة أخرى، ويشير من جهة ثالثة إلى أنّ الأصنام ليس فقط لا تنفع ولا تحمي، بل إنّ نفس الرّسول(ﷺ) أيضًا مع ما له من العظمة لا يمكنه أن يكون ملجأ من عذاب الله، وينهى من جهة الذّرائع والآمال للمعاندين الّذين كانوا يطلبون من النّبي (ﷺ) أن يريهم المعاجز الإلهيّة، ويثبت أن التّوسّل، والشّفاعة أيضاً لا يتحقّقان إلّا بإذنه تعالى"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾[الكهف: ٥٨] ذهب الماوردي إلى أن (موئلًا) في قوله تعالى: (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) " فيه أربعة تأويلات: أحدها: ملجأ، قاله ابن عبّاس وابن زيد. الثّاني: محرزاً، قاله مجاهد. الثّالث: ولياً، قاله قتادة. الرّابع: منجَى، قاله أبو عبيدة. قال: والعرب تقول: لا وَألَتْ نفسُهُ، أي: لا نَجَتْ" [٣]، فمعنى (لن يجدوا من دونه موئلاً) " أي: منجًى ولا ملجأً " [٤].

وإنّما " أكّد النّفي بـ (لن) ردًّا على إنكارهم، إذ هم يحسبون أنّهم مفلتون من العذاب حين يرون أنّه تأخّر مدّةً طويلةً، أي: ؛ لأن لا ملجأ لهم من العذاب دون وقت وعده أو مكان وعده، فهو ملجؤهم. وهذا من تأكيد الشّيء بما يشبه ضدّه، أي: هم غير مفلتين منه ." [٥]، فالآية فيها نفي للشرك بالله تعالى بنفي أن يكون أحد غير الله سبحانه وتعالى موئلًا لأحد.

(١) تفسير الميزان: ١٣/ ٢٩٨.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٩/ ١٠٠ .
(٣) النكت والعيون: ٣/ ٣٢٠.
(٤) مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٧٦.
(٥) التّحرير والتّنوير: ١٥/ ٣٥٧.

وورد نفي الشّرك بالله بـ (لن) مرّةً واحدةً في **سياق نفي دعوة إله غيره سبحانه**؛ لأنّ دعاءهم إلهًا غيره تعالى أبعد ما يكون عن حقيقة التّوحيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٤]، فقد نفى الشّرك بنفي دعوة – أي: عبادة – إله غير الله سبحانه وتعالى بـ (لنْ) [(١)] للدّلالة على تصميمهم على هذا الأمر في كلّ مكان وزمان؛ لأنّ النّفي بـ (لنْ) في هذا الموضع أبلغ من النّفي بأدوات النّفي الأخرى، وقد نفت الفعل المضارع (ندعو) المسند إلى الضمير المستتر فيه العائد على أصحاب الكهف، والمتعدي إلى مفعوله (إلهًا) الذي جاء نكرة؛ ليشمل كل أنواع الآلهة، والأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله بلا استثناء.

وجاء في تفسير الآية الكريمة: " قالوا ربّنا ربّ السّماوات والأرض وكان قومهم عبّاد أصنام، وما أحسن ما وحّدوا الله بأنّ ربّهم هو موجد السّموات والأرض المتصرّف فيها على ما يشاء، ثمّ أكّدوا هذا التّوحيد بالبراءة من إله غيره بلفظ النّفي المستغرق تأبيد الزّمان على قول " [(٢)].

وإنّما جاؤوا بـ (لنْ) دون بقية الأدوات"؛ لأنّ النّفي بها أبلغ من النّفي بغيرها حتّى قيل: إنّه يفيد استغراق الزّمان فيكون المعنى لا نعبد أبدًا من دونه إلهًا، أي: معبودًا آخر لا استقلالًا ولا اشتراكًا " [(٣)].

ويُستفاد " من تعبير (ربطنا على قلوبهم) أنّ بذرة التّوحيد وفكرته كانت منذ البداية مرتكزة في قلوبهم، إلّا أنّهم لم تكن لديهم القدرة على إظهارها والتجاهر بها. ولكنّ الله بتقوية قلوبهم أعطاهم القدرة على أنّ ينهضوا ويعلنوا علانية نداء التّوحيد " [(٤)] .

وقيل: عدلوا عن قولهم ربًّا إلى قولهم (إلهًا) ؛ تنصيصًا على ردّ المخالفين حيث كانوا يسمّون الأصنام التي يعبدونها آلهة، وللإشعار بأنّ مدار العبادة وصف الألوهيّة، وللإيذان بأنّ

(١) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ١٥،/ ١٥٠، و اعراب القرآن وبيانه: ٥/ ٥٤٨.
(٢) البحر المحيط في التّفسير: ٧/ ١٤٩.
(٣) روح المعاني: ٨/ ٢٠٩، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٨/ ١٩ .
(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ٢٠٨ .

ربوبيّة الله تعالى بطريق الألوهيّة لا بطريق المالكيّة المجازيّة. وبدؤوا بما يشير إلى توحيد الرّبوبيّة؛ لأنّه أوّل مراتب التّوحيد، وفي ذكر ذلك أوّلًا، وذكر الآخر بعده تدرّج في المخالفة، فإن توحيد الرّبوبيّة يشير إلى توحيد الألوهيّة بناءً على أنّ اختصاص الرّبوبيّة به جلّ وعلا علّة لاختصاص الألوهيّة واستحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى، ولكون الجملة الأولى مشيرةً إلى توحيد الرّبوبيّة والثانية مشيرة إلى توحيد الألوهيّة قيل: إنّ في الجملة الثّانية تأكيدًا لها . (١)

و" في الواقع، إنّ هؤلاء الفتية المؤمنين ذكروا دليلًا واضحاً لإثبات التّوحيد ونفي الآلهة. وهو قولهم: إنّنا نرى وبوضوح أنّ لهذه السّماوات والأرض خالقاً واحداً، وأنّ نظام الخلق دليل على وجوده، وما نحن إلّا جزء من هذا الوجود، لذا فإنّ ربّنا هو نفسه ربّ السّماوات والأرض ." (٢)

والآية الكريمة " تدلّ دلالةً واضحةً على أنّ من أشرك مع خالق السّموات والأرض معبودًا آخر، فقد جاء بأمر شطط بعيد عن الحقّ والصّواب في غاية الجور والتّعدّي؛ لأنّ الّذي يستحقّ العبادة هو الّذي يبرز الخلائق من العدم إلى الوجود؛ لأنّ الّذي لا يقدر على خلق غيره مخلوق يحتاج إلى خالق يخلقه ويرزقه ويدبّر شؤونه" (٣)، ولذلك جاء النفي في الآية بـ (لن) تأكيدًا لبراءتهم من كلّ عبادة لغير الله سبحانه و تعالى. (٤)

سادساً : دلالة النفي بـ (ليس) :

ليس " نفي للحال والاستقبال" (٥)، وهي تفيد مع معموليها نفي اتّصاف اسمها بمعنى خبرها في الزّمن الحالي عند الإطلاق، أي: عند عدم وجود قرينة تدلّ على أنّ النّفي واقع في الزّمن الماضي، أو في المستقبل: فإن وجدت قرينة وجب الأخذ بها؛ نحو: ليس الغريب مسافرًا أمس، وقد

(١) ينظر: روح المعاني: ٨/ ٢٠٩ .
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ٢٠٩ .
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣/ ٢١٥، ٢١٦ .
(٤) ينظر: التّفسير الوسيط لطنطاوي: ٨/ ٤٨١.
(٥) حروف المعاني والصفات: ٨.

يكون المراد منها نفي الحكم نفيًا مجردًا من الزّمن؛ كقول العرب: ليس لكذوب مروءة، وقولهم: (ليس منّا من عقّ أباه) . [١]

وذهب الزّركشيّ إلى أنّ (ليس) "فعل معناه نفي مضمون الجملة في الحال إذا قلت: ليس زيدًا قائمًا، نفيت قيامه في حالك هذه، وإن قلت: ليس زيد قائمًا غدًا لم يستقم، ولهذا لم يتصرّف فيكون فيها مستقبلًا". [٢]

وترد (ليس) للنّفي العامّ المستغرق المراد به الجنس كـ (لا) التّبرئة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦﴾ [الغاشية: ٦]. [٣]

وهي لنفي الماضي والحال والاستقبال، وقد تكون للاستمرار، أو الحقيقة غير مقيّدة بزمن فهي" تدخل على الجمل الاسمية فتنفيها، وتكون لنفي الحال عند الإطلاق نحو: (ليس أخوك حاضرًا) أي: الآن، وإن قيّدت كانت بحسب ذلك القيد، وقد تكون للمضيّ نحو (ليس أخي قد سافر أمس) وقد تكون للاستقبال، وذلك نحو قولك: (لست ذاهبًا إليه غدًا) قال تعالى: ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ ﴾ [هود: ٨]. وقد تكون للاستمرار، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨٢]. وقد تكون للحقيقة غير مقيّدة بزمن، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: ١١] ." [٤]

وذهب أكثر النّحويّين إلى أن (ليس) مختصة بنفي الحال. والصّحيح أنّها تنفي الحال، والماضي، والمستقبل. وينبغي أن يحمل كلام الأكثرين على ما إذا لم تقترن به قرينة تخصّه بأحد الأزمنة، فيحمل عند ذلك على الحال. [٥]

(١) ينظر: النحو الوافي: ٥٥٩/١، ٥٦٠.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٩٦.
(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٨٦-٢٨٧.
(٤) معاني النحو:٤/ ١٩٠.
(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٩٩.

نخلص مما سلف إلى أنّ (ليس) فعل نفي جامد يدخل على الجمل الاسمية فينفيها، ويكون لنفي الماضي والحال والاستقبال وقد تكون للاستمرار، أو للحقيقة غير مقيّدة بزمن .

وقد ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (ليس) **في سياق إنذار، وتنبيه اليهود والنّصارى، أو المشركين، وذلك بنفي الوليّ، والشّفيع لهم من دونه** مرتين [1]، والرّابط الدّلاليّ الّذي يجمع هذين الآيتين هو: أنّها نفت الشّرك بالله تعالى بنفي الوليّ، والشّفيع من دونه تعالى بأداة النّفي (ليس) [2]؛ للدلالة على النفي في المستقبل، وقد تأخّر اسمها (ولي، أولياء)، وتقدّم خبرها وحذف، وبقي متعلّقة شبه الجملة (لهم، لها)، وإنّما تقدّم متعلّق خبرها؛ للعناية والاهتمام، فهو عائد على الفئة المخصوصة بالإنذار، والتّحذير، والتّنبيه، فالآية في سياق نفي أن يكون لليهود والنّصارى، أو المشركين وليّ، أو شفيع من دون الله، وليس في سياق نفي الوليّ والشّفيع بإذنه تعالى، فالله سبحانه وتعالى وليّ الّذين آمنوا، والشّفاعة موجودة ولكن بإذنه تعالى .

ومن هذه الآيتين قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[الأنعام: ٥١] فقوله: (لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيّ وَلَا شَفِيع) أي: " من دون الله، وليّ قريب ينفعهم، ولا شفيع، يشفع لهم، لعلّهم يتّقون، فينتهون عمّا نهوا عنه، وإنّما نفى الشّفاعة لغيره مع أنّ الأنبياء والأولياء يشفعون؛ لأنّهم لا يشفعون إلّا بإذنه" [3].

و ذكر الزّمخشريّ أنّ (ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع):" في موضع الحال من (يحشروا) بمعنى: يخافون أن يحشروا غير منصورين، ولا مشفوعًا لهم، ولا بدّ من هذه الحال؛ لأنّ كلًّا محشور، فالخوف إنّما هو الحشر على هذه الحال" [4].

وقال القرطبي:" هذا ردّ على اليهود والنّصارى في زعمهما أنّ أباهما يشفع لهما حيث قالوا: ﴿ **نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ** ﴾[المائدة: ١٨]، والمشركون حيث جعلوا أصنامهم شفعاء لهم عند الله،

(١) ينظر: الأنعام: ٥١، ٧٠.
(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٣/ ١٢١.
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢/ ١٢٥.
(٤) الكشاف: ٢/ ٢٦، ٢٧، وينظر: فتح القدير: ٢/ ١٣٦.

فأعلَم الله أنّ الشّفاعة لا تكون للكفّار. ومن قال الآية في المؤمنين قال: شفاعة الرّسول لهم تكون بإذن الله فهو الشّفيع حقيقة إذن، وفي التّنزيل:... ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] " [١].

وقوله تعالى: (من دونه) حال من وليّ وشفيع، وهو تعريض بالمشركين الّذين اتّخذوا شفعاء وأولياء غير الله. وفي الآية دليل على ثبوت الشّفاعة بإذن الله تعالى [٢].

والمراد بـ (الوليّ) و (الشفيع) " الآلهة الّتي كان المشركون يزعمون أنّها شفعاؤهم، وحينئذ فلا دلالة في الآية على نفي الشّفاعة للمسلمين؛ لأنّ شفاعة الرّسل يومئذ إنّما تكون بإذنه تعالى، فكأنّها منه تعالى" [٣].

ومن البديهيّ أنّ نفي (الشّفاعة) و (الولاية) في هذه الآية عن غير الله تعالى لا يتناقض مع شفاعة أولياء الله وولايتهم، وإنّما المقصود هو نفي الشّفاعة والولاية بالذّات، أي: أنّ هذين الأمرين مختصّان ذاتًا بالله، فإذا كان لأحد غيره مقام الشّفاعة والولاية فبإذن منه تعالى وبأمره. [٤]، فالآية نفت الشّرك بالله تعالى بنفي الولاية والشفاعة لغيره تعالى إلّا بإذنه جلّ وعلا.

وورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (ليس) في **سياق نفي المثيل والنّظير لله، ثمّ إثبات الصّفات له سبحانه وتعالى** مرّة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فقد نفى الشّرك عنه تعالى بفعل النّفي (ليس) [٥] للدّلالة على النفي غير مقيّد بزمن، وقد تقدّم خبره (كمثله)على اسمه (شيء)، للاهتمام؛ لأنّ الدّلالة المقصودة من الآية نفي أن يكون مثل، أو شبيه لله سبحانه وتعالى، وليس نفي الشّيء .

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٤٣١، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٤/ ١٤٧.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧/ ٢٤٤، ٢٤٥.
(٣) محاسن التأويل: ٤/ ٣٦٧، ٣٦٨.
(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤/ ٢٩٦.
(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٩/ ١٥.

والمثل "عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي: معنى كان، وهو أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ النّد يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشّبه يقال فيما يشارك في الكيفيّة فقط، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمّيّة فقط، والشّكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط، والمثل عامّ في جميع ذلك، ولهذا لمّا أراد الله تعالى نفي التّشبيه من كلّ وجه خصّه بالذّكر فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى/ ١١] وأمّا الجمع بين الكاف والمثل، فقد قيل: ذلك لتأكيد النّفي تنبيها على أنّه لا يصحّ استعمال المثل ولا الكاف، فنفى بـ (ليس) الأمرين ." [١]

وقيل " الكاف في (كمثله) زائدة للتّوكيد لا موضع لها. وموضع (كمثله) كلّه موضع نصب خبر (ليس). وقيل المعنى: ليس هو شيء، ولكن دخلت (المثل) في الكلام للتّوكيد . " [٢]

و " الكاف أبلغ في نفي التشبيه " [٣]، وذلك " ؛ لأنّ المراد نفي المثليّة، وإذا لم تجعل أو المثل زيادة كان إثبات المثل، وقيل المراد ليس كذاته شيء لأنّهم يقولون: (مثلك لا يبخل) يريدون به نفي البخل عن ذاته، ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية؛ لأنّهم إذا نفوه عمّن بسدّ مسدّد، فقد نفوه عنه " [٤].

وجاء في الكشاف" فإذا علم أنّه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين قوله: ليس كمثله شيء إلّا ما تعطيه الكناية من فائدتها، وكأنّهما عبارتان متعاقبتان على معنى واحد: وهو نفي المماثلة عن ذاته " [٥].

فدلالة التعبير(ليس كمثله شيء) أنّه تعالى " نفى عن نفسه جلّ وعلا مماثلة الحوادث، وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: وهو السّميع البصير، فصرّح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال. والظّاهر أنّ السّرّ في تعبيره بقوله: وهو السّميع

(١) المفردات في غريب القرآن: ٧٥٩.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٠/ ٦٥٦٥، وينظر: التفسير المنير: ٢٥/ ٢٩.
(٣) إيجاز البيان عن معاني القرآن، نجم الدين النيسابوري: ٢/ ٧٣٣.
(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/ ٢٤٧، وينظر: محاسن التأويل: ٨/ ٣٥٤.
(٥) : ٤/ ٢١٣، وينظر: محاسن التأويل: ٨/ ٣٥٤.

البصير دون أن يقول مثلًا: وهو العليّ العظيم، أو نحو ذلك من الصّفات الجامعة؛ أنّ السّمع والبصر يتّصف بهما جميع الحيوانات، فبين أنّ الله متّصف بهما، ولكنّ وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى، وبين صفات خلقه، ولذا جاء بقوله: وهو السّميع البصير بعد قوله: ليس كمثله شيء، ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحقّ في آيات الصّفات لا لبس معه ولا شبهة البتّة"[١].

وذكر الدكتور فاضل السامرائي سؤالًا مفاده: ما دلالة الكاف في هذه الآية الكريمة ؟ وأجاب عنه بأنّ النحويين يستشهدون بهذه الآية على زيادة الكاف، ولكنها ليست زائدة؛ لأن التّشبيه درجات في البلاغة وأعلى درجاته أنّ تحذف وجه الشّبه وأدّاة التّشبيه، وهم يعتقدون أنّ (مثل) أعلى في التّشبيه من الكاف؛ لأنّ فيها معنى الموازنة، إذا جئت بأداة التّشبيه ستكون دون الحذف، فإن جئت بأداتي التّشبيه سيكون دون ذلك أبعد، فربنا تعالى جاء بأداتي التّشبيه للدلالة على أنّه ليس كمثله شيء ولو من وجه بعيد، فهي إذن ليست زائدة وإنّما تؤدّي معنًى مقصودًا، فـ (ليس كمثله شيء) دلت على نفي المشابه ولو من وجه بعيد. [٢]

وجاء في تفسير الأمثل:" إنّ هذا الجزء من الآية يتضمّن حقيقة أساسية في معرفة صفات الله الأخرى، وبدونها لا يمكن التوصّل إلى أيّ صفة من صفات الله؛ لأنّ أكبر منزلق يواجه السّائرين في طريق معرفة الله يتمثّل في (التّشبيه) حيث يشبّهون الخالق جلّ وعلا بصفات مخلوقاته، وهو أمر يؤدّي للسّقوط في وادي الشّرك ! " [٣]، وبذلك تكون الآية الكريمة دلت على نفي الشّرك بالله تعالى بنفي الشبيه والمثيل، فالله سبحانه وتعالى لا يماثله ولا يدانيه شيء من خلقه.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢/ ١٨، ١٩.
(٢) ينظر: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ١٠/ ٣٦٢، ٣٦٣.
(٣) : ١٥/ ٤٧٦.

سابعاً : دلالة النفي بـ (إنْ) :

قال سيبويه: " (إنْ) بمنزلة (ما) قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠]، أي: ما الكافرون إلّا في غرور " (١)، وهي" تدخل على الجملتين الفعليّة والاسمية " (٢).

وهي " تنفي الجملة الفعليّة بفعليها المضارع والماضي، فهي تنفي ما في الحال إذا دخلت على المضارع عند الإطلاق دون أن توجد قرينة لفظيّة تدلّ على ذلك الحال وتدلّ على غيره بحسب القيد أو القرينة، وهي كذلك تنفي ما في الماضي، غير أن التّركيب قد يلتبس بالشّرط ممّا يجعل المتلقّي منتظرًا أن يسمع جواب الشّرط نحو أن تقول: إن قام زيد، فينتظر المتلقّي الأمر المترتّب على قيام زيد . أمّا في دخولها على الفعل المضارع، فإنّ صيغة الفعل المضارع تزيل هذا اللّبس نحو: إن يقوم زيد، أي: ما يقوم زيد، فإنّ الصّيغة الّتي جاء بها الفعل المضارع تدلّ على أنّه مرفوع، وليس مجزومًا، الأمر الّذي يوجب أن تكون (إنْ) هنا للنّفي لا للشّرط " (٣).

وهي على ضربين: عاملة نحو قولهم: إنْ ذلك نافعَك ولا ضارَّك، وغير عاملة كقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[الملك: من الآية ٢٠] . (٤)

ويبدو أنّ (إنْ) آكد من (ما) بدلالة اقترانها بـ (إلّا) " وهذا يعطيها قوّة وتأكيدا، فإنّ في القصر قوّة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾[إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾[الإسراء: ٤٤]. " (٥)

ويرى الدكتور محمّد حماسة عبد اللطيف أنّ النّفي بـ (إنْ) يفيد التّوكيد وذلك؛ لاشتراكها في الصّيغة مع (إنْ) المخفّفة من الثّقيلة؛ ولذلك استخدمت كثيرًا في القرآن الكريم، وقد نقض نفيها بـ (إلا). واستعمالها على هذا النّحو ليس لإفادة النّفي، ولكن لإفادة الحصر، وصحيح أنّ النّفي قد

(١) الكتاب:٣/ ١٥٢، وينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الأنصاري: ١/ ٣٤
(٢) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري: ٤٠٧.
(٣) أسلوب النفي ادواته ودلالته: ٢٧٨.
(٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٠٩، ٢١٠، و شرح التصريح على التوضيح:١/ ٢٧١،٢٧٠.
(٥) معاني النحو:٤/ ٢٠٠.

ينتقض مع أدوات النّفي الأخرى، غير أنّه مع (إنْ) يكون أكثر توكيدًا؛ لأنّ صيغة (إنْ) توهم ذلك، ولعلّ ذلك من أسرار اشتراك بعض الأدوات في صيغة واحدة، فبرغم استقلال كلّ معنى عن الآخر في معاني الأداة الواحدة إلّا أنّك تكاد تحسّ أن ظلال هذه المعاني ملقى بعضها على الآخر فتوحي بظلال كثيرة من المعاني . (١)

و(إنْ) تكون للحال، ولغير الحال أيضًا، فهي تدخل على الجمل الاسمية والفعليّة، فإن دخلت على الجملة الاسمية كانت لنفي الحال عند الإطلاق، وإنْ قيّدت كانت بحسب ذلك القيد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[الإسراء: ٥٨] فهي هنا للاستقبال. وقد تكون للحقيقة غير مقيّدة بزمن، كقوله تعالى: ﴿ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ ﴾[المجادلة: ٢] وقد تكون للمضيّ نحو قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْد أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[الزخرف: ٥٩]. وقد تكون للاستمرار، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[الإسراء: ٤٤]. وتدخل على الفعل المضارع والماضي، فإن دخلت على الفعل المضارع كانت في الغالب لنفي الحال، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[الأنعام: ١٤٨]. وقد تكون لغير الحال، كقوله تعالى: ﴿ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠]، فهي هنا للاستمرار. وتدخل على الفعل الماضي فتكون لنفي الماضي القريب من الحال في الغالب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢] . وقد تكون لغير ذلك قليلًا، نحو قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[يس: ٥٣]، فهي هنا للاستقبال . (٢)

وقد ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (إنْ) مرّة واحدة في **سياق الرّدّ على المجتمع الجاهليّ**، وإخبارهم بأنّ ما يدّعون من دون الله ما هم إلّا أوثان ضعيفة لا تنفع ولا تضرّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴾[النساء: ١١٧]، وقد نفى

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٩٠.
(٢) ينظر: معاني النحو:٤/ ١٩٨، ١٩٩.

الشّرك عنه تعالى بـ (إنْ) [١] للدّلالة على نفي الحال بدخولها على الفعل المضارع (يدعون) المسند إلى الضّمير المستتر فيه العائد على المشركين، والمتعدّي إلى مفعوله (إناثًا) و(شيطانًا).

ومعنى قوله تعالى: **(إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا)**، أي: " ما يعبدون من دون الله ويتّخذونه إلهًا إلّا مسمّيات تسمية الإناث. وكنّى بالدّعاء عن العبادة؛ لأنّ من عبد شيئًا دعاه عند حوائجه ومصالحه" [٢].

فـ (إنْ) هنا تفيد النّفي وقوله: إلّا إناثًا فيه أقوال أقواها: " أنّ المراد هو الأوثان، وكانوا يسمّونها باسم الإناث كقولهم: اللّات، والعزّى، ومناة الثّالثة الأخرى، واللّات تأنيث الله، والعزّى تأنيث العزيز " [٣].

وذكر الآلوسي أنّ المُراد بالإناث هنا " هي الأصنام المسمّاة بالنّفوس، إذ كلّ من يعبد غير الله تعالى فهو عابد لنفسه مطيع لهواها، أو المراد بالإناث الممكنات؛ لأنّ كلّ ممكن محتاج ناقص من جهة إمكانه منفعل متأثّر عند تعيّنه فهو أشبه كلّ شيء بالأنثى" [٤].

وقال الراغب الأصفهاني " إن قيل: كيف قال: **(إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا)** ثمّ قال: **(وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا)** فاقتضى نفي ما أثبت؟ قيل: ليس في ذلك نفي، فإن دعاءهم للأوثان دعاؤهم للشّيطان، وكلّ باطل قيل له تارة الشّيطان، وتارة الهوى، وتارة الصّنم، لمّا كانت هذه الأشياء متلازمة، ومتشاركة في أنّها تدعو إلى باطل، ولمّا كان عبادة الشّيطان في نفوسهم قطعيّة، تبيّن لهم أن ما تدعونه، وتزعمونه أنّكم تقصدون به عبادة الله، وتقولون: (ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى) وتقصدون به الشّيطان " [٥].

---

(١) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: ٥/ ١٧٣.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٦٨.
(٣) مفاتيح الغيب: ١١/ ٢٢١، وينظر: النكت والعيون: ١/ ٥٢٩.
(٤) روح المعاني: ٣/ ١٥٢.
(٥) تفسير الرّاغب الأصفهانيّ: ٤/ ١٦٢.

ويرى ابن عاشور أنّ في" قوله: (إن يدعون) بيانًا لقوله: ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء: ١١٦]، وأيّ ضلال أشدّ من أن يشرك أحد بالله غيره ثمّ أن يدّعي أنّ شركاءه إناث، وقد علموا أنّ الأنثى أضعف الصّنفين من كلّ نوع... فالحصر في قوله: (إن يدعون من دونه إلّا إناثًا) قصر ادّعائيّ؛ لأنّه أعجب أحوال إشراكهم، ولأنّ أكبر آلهتهم يعتقدونها أنثى وهي: اللّات، والعزّى، ومناة، فهذا كقولك: لا عالم إلّا زيد" [١].

ولمّا كانت الأنثى في غالب المخلوقات أضعف من الذّكر، والشّيء الضّعيف يشيرون إليه بالتّأنيث . جاء القرآن الكريم على طريقتهم (إن يدعون من دونه إلّا إناثًا) أشياء صغيرة لا تستطيع أن تقدّم لهم شيئًا. وقد يكون الأمر جاريًا على اللّفظ وهو أنّ أكثر أصنامهم أسماؤها على التّأنيث: اللّات، والعزّى، ومناة. [٢]

ومعلوم أنّ " من القصر الحقيقيّ ما يسمّى بالادعائي، وهو أن تدّعي قصر الصّفة على الموصوف؛ لقصد المبالغة نحو قوله تعالى: (إن يدعون من دونه إلّا إناثًا) مع أنّهم دعوا هبل، ويغوث، ويعوق لكنّهم لمّا أكثروا دعوة اللات والعزّى ومناة جعلوا كالّذي لا يدعو إلّا إناثًا ." [٣]

ولو قيل: لمّا كانت (إنْ) بمنزلة (ما) في نفي الحال، فلماذا لم يستعمل التعبير القرآني (ما) بدل (إنْ) فيقول: (ما يدعون من دونه إلّا إناثًا) ؟

والجواب فيما يبدو لي أنّ النّفي بـ (إنْ) أكثر تأكيدًا من (ما)، يدلّ على ذلك ارتباطها بـ (إلا)، وهذا يؤكّد النّفي ويقوّيه، ففي القصر تأكيد وقوّة . [٤]، ثم إنّ النّفي بـ (إنْ) يفيد التّوكيد؛ بلحاظ أنّها تشترك مع (إنْ) المخفّفة من الثّقيلة في الصّيغة [٥]، وليس أدلّ على ذلك من استعمالها في

(١) التحرير والتنوير: ٥/ ٢٠٣.
(٢) ينظر: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ٣/ ٤٢٩.
(٣) موجز البلاغة، ابن عاشور: ٢٥.
(٤) ينظر: معاني النحو:٤/ ٢٠٠.
(٥) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٩٠.

القرآن الكريم كثيرًا في سياق التوكيد، فإنّها ترد فيما فيه زيادة توكيد في النّفي . [1]، وهذا ما يفسر لنا إيثار حرف النفي هذا في التعبير عن نفي الشّرك بالله تعالى في هذا الموضع الوحيد.

(١) ينظر: معاني النحو: ٤/ ٢٠٠.

توطئة

النفي الضمني : هو النفي " المفهوم من خلال السياق، وتدل عليه القرائن الصوتية، أو اللفظية، وغالبًا ما يؤدى بأدوات تخرج عن معناها الحقيقي إلى معنى النفي كـ (بل) التي تفيد الإضراب، و(هل) الاستفهامية، و(غير) الاستثنائية، وأمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الرعد: ١٦] " [(١)].

فإذا " خلا الكلام من أداة نفي، وعبر مع هذا عن النفي، عُدَّ مثل هذا نفياً ضمنيّاً، يطمئن إليه المنطقي ويعده من طرق النفي، ولكن اللغوي يأبى اعتباره من أساليب النفي" [(٢)].

ويرى الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف أنّ النفي الضمني" يمكن أن يُفهم من دلالة بعض الأفعال أو الأسماء مثل: (امتنع، ورفض، وأبى، ونفى) ومصادرها وما يشتق منها، لأننا إذا قلنا: (أبى محمد أن يحضر) عدت هذه جملة مثبتة، وإن كانت دلالتها السلب، ولأنّه إذا أُريد التعبير عن هذا المعنى بجملة منفية مثلًا قيل: (ما قَبِلَ محمد أن يحضر)، فالجملة الأولى أثبتت لمحمد إباء الحضور، والثانية نفت عنه قبول الحضور، ولأن الجملة الأولى من الممكن أن تنفى، فيقال:(ما ابى محمد أن يحضر) " [(٣)].

ومن أساليب النفي الضمني: التمني، والاستفهام الإنكاري، والشرط بـ (لو) حين تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، إذ نلحظ نوعًا من النفي الضمني الخالي من أداة النفي مثل: ليت لي مالًا، و أمثلك يرتكب هذا الإثم وغير ذلك. [(٤)]

---

(١) النفي في الجملة العربية وعلاقته بالمعنى، د. محمد حسين النقيب، ١٣٧.
(٢) من أسرار اللغة، إبراهيم انيس: ١٦٣.
(٣) بناء الجملة العربية: ٢٨١-٢٨٢.
(٤) ينظر: من أسرار اللغة: ١٦٣.

ومن أساليبه أيضًا الاستثناء في الكلام التام الموجب مثل: (حضر القوم إلّا محمد)، فإنّ مضمون هذا التركيب يثبت الحضور للقوم وينفيه عن محمد بإخراجه من الحكم الثابت لهم، وكأننا قلنا: (لم يحضر محمد) ، فهذا نفي ضمني لا صريح، ومثل ذلك ما يمكن أن يفهم من بعض حروف العطف التي تفيد الإضراب وغيرها؛ لأن النفي في كل منها نفي ضمني خاص ببعض التراكيب، لا نفي لغوي ثابت في وسيلته. (١)

وقد " يدل على النفي الضمني أفعال الظن، ولهذا يجيء الفعل منصوباً بعدها بفاء السببية إلحاقاً لها بالنفي. كما في حكاية سيبويه (حسبته شتمني فأثبَ – بالنصب – عليه)، والمعنى: أنّه لو شتمني لوثبت عليه، فلم يكن إذن وثوب، ولم يكن شتم، وإن كان الوثوب قد وقع فليس إلّا الرفع في (فأثب)؛ لأنّ هذا بمنزلة قوله: ألست قد فعلت فأفعل؟ بالرفع، فالفعل وجوابه هما اللذان يحددان دلالة الأسلوب على نفي وقوع الجواب أو إثباته." (٢)

وقد يكون النفي الضمني بإيراد الكلام ويراد به النقيض، وغالبًا ما يكون هذا النوع لنفي المعنى ويفهم من السياق . (٣)

وسنقف في هذا الفصل – بمشيئة الله تعالى – على مظاهر مختلفة لنفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم ضمنيًّا لا صراحةً، ونتلمس دلالات ذلك في التعبير القرآني .

(١) ينظر: بناء الجملة العربية: ٢٨٢.
(٢) أساليب النفي في القرآن الكريم– دراسة نحوية بلاغية (رسالة ماجستير)، عبد الرزاق موفاري، ٥.
(٣) ينظر: النفي في الجملة العربية وعلاقته بالمعنى: ١٣٨.

أولًا : دلالة النفي الضمني بأسلوب الاستفهام:

الاستفهام في اللّغة طلب الفهم، فمعنى" واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وقد اسْتفْهَمَني الشيء فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا" [١]، وهو كذلك في اصطلاح النّحويين " طلب الفهم" [٢]، وهو" أحد أنواع الطّلب (استفعال)، فهو طلب الفهم" [٣]، وذكر الجرجانيّ (ت: ٨١٦هـ) أنّ" الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشّيء في الذّهن، فإن كانت تلك الصّورة وقوع نسبة بين الشّيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التّصديق، وإلّا فهو التصور" [٤].

" والاستفهام ضدّ الإخبار" [٥] من جهة أنّه" لا يدخله صدق ولا كذب" [٦] وبعض اللغويين أطلق عليه مصطلح الاستخبار، فـ " الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام" [٧]، و " الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك" [٨].

وهناك من فرق بينهما فذكر ابن فارس" أنّ بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق. قالوا: وذلك أنّ أولى الحالين الاستخبار؛ لأنّك تستخبر فتجاب بشيء، فربّما فهمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية، فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قتله لي . قالوا: والدّليل على ذلك أنّ الباري جلّ ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم" [٩]، بدليل أنّ " المستفهم لا يكون دائمًا بحاجة إلى إجابة ؛ ففي كثير من الأحيان يعرفها، ولكنّه يريد نقل الشّخص المقابل لمعان جديدة تفهم من السّياق ولا يصرّح بها: كالنفي والتّوبيخ والإنكار وغيرها من المعاني، ويكون الذّوق السّليم وقرائن الأحوال عاملًا مهما في

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٤٥٩.
(٢) الحدود في علم النحو، الرمانيّ : ٤.
(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكيّ:١/ ٤٢٣.
(٤) التعريفات: ١٨.
(٥) السلب ومظاهره في العربية، د. علاء إسماعيل الحمزاوي: ٥٤.
(٦) أمالي ابن الشجري، هبة الله بن عبد الشجري:١/ ٤٠٠.
(٧) الصاحبي في فقه اللغة، أحمد ابن فارس: ١٣٤.
(٨) دلائل الإعجاز: ٩٧، وينظر: أمالي ابن الشجري: ١/ ٤٠٠، وشرح المفصل: ٥/ ٩٩.
(٩) الصاحبي في فقه اللغة: ١٣٥.

توضيح المعنى المطلوب" [١]، ولا يبدو هذا التفريق مقنعًا؛ لأنّ الاستخبار هنا يمكن أن يُعد استفهامًا استفهامًا أوليًا، يتبعه استفهام آخر، ولذلك فالقول بأنّهما بمعنى واحد يبدو راجحًا، وكون المستفهم لا يحتاج إلى إجابة لا يخرج الاستفهام عن ماهيته ووظيفته، إذ يبقى استفهامًا له أغراضه المختلفة.

وجاء في علم المعاني أنّ الاستفهام من أنواع الإنشاء الطلبي " وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصة" [٢].

ويؤدّى الاستفهام بأدوات خاصّة، وتكون على قسمين حروف وأسماء، ولكلّ واحدة منها معنى خاص زيادة على دلالتها على الاستفهام .

وتقسم أدوات الاستفهام إلى ثلاثة أقسام بحسب الطّلب:

١- ما يطلب به التّصوّر تارة، والتّصديق تارة، وهو (الهمزة). [٣]، والتصوّر: هو إدراك المفرد، أي: تعيينه، وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوّة بالمسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادل بعد (أم) . والتّصديق: هو إدراك النّسبة، أي: تعيينها، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل [٤].

٢- ما يطلب به التّصديق فقط، وهو(هل). أي: إدراك النّسبة، ويمتنع معها ذكر المعادل .

٣- ما يطلب به التّصوّر فقط، وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام، وهي: من، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنّى، وكم، وأيّ [٥] .

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار أو التّقرير، لذلك يسمّى الاستفهام الإنكاري، أو الاستفهام التّقريري، " وتسمية هذا استفهام إنكار مِن: أنكر إذا جحد وهو إمّا بمعنى:

(١) أساليب النفي ودلالتها في شعر (راشد حسين) دراسة أسلوبية وإحصائية (رسالة ماجستير)، وفاء يعقوب: ١٦٦.
(٢) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٨٨، وينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي: ٧٨.
(٣) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٧٨.
(٤) ينظر: علم المعاني: ٩١.
(٥) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٧٨.

(لم يكنْ) كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ ﴾[1]، أو بمعنى: "لا يكون" نحو: ﴿ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا ﴾[2] "[3].

و ذكر عبد القاهر الجرجانيّ (ت: ٤٧١ هـ) الحكمة من تسمية الاستفهام بالإنكاري، فقال: "واعلم إنّا وإن كنّا نفسّر (الاستفهام) في مثل هذا بالإنكار، فإنّ الّذي هو محض المعنى: أنّه ليتنبّه السّامع حتّى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب، إمّا لأنّه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: (فافعلْ)، فيفضحه ذلك، وإمّا لأنّه همَّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبّه وعرف الخطأ، وإمّا لأنّه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبّح على نفسه." [4]، ويتحصل من ذلك توظيف الاستفهام الإنكاري في النفي؛ لأنّ" مؤدّى هذا الكلام أنّ الإنكار إذا كان نفيًا لوقوع أمر، فمؤدّاه أنّ الأمر لا يقع، ولا يعقل أن يقع، فهو نفي مؤكّد ؛ إذ هو ليس نفيًا للفعل فقط، بل هو نفي له مع بيان أنّه لا ينبغي ولا يجوز أن يقع، وإذا كان الفعل قد وقع فهو توبيخ على الوقوع، واستنكار له...، ويلاحظ أنّ الإنكار سواء أكان إنكارًا للوقوع بمعنى النّفي أم إنكارًا للواقع بمعنى التّوبيخ، فإنّ فيه حمل الفاعل على الإقرار بالنّفي، أو إثبات ما أوجب التّوبيخ " [5] .

وقد أفرد ابن جني (ت: ٣٩٢ هـ) في كتابه (الخصائص) بابًا في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها، وذكر أنّ " من ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التّقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النّفي عاد إيجابًا. وذلك كقول الله سبحانه: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ﴾[6]، أي: ما قلت لهم، وقوله: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ ﴾[7]، أي: لم يأذن لكم . وأمّا دخولها على النّفي فكقوله (عز وجلّ): ﴿ أَلَسۡتُ

(١) الإسراء: من الآية: ٤٠.
(٢) هود: من الآية: ٢٨.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٣١.
(٤) دلائل الإعجاز: ٨٥.
(٥) المعجزة الكبرى القرآن، ابي زهرة: ١٥٩.
(٦) المائدة: من الآية: ١١٦.
(٧) يونس: من الآية: ٥٩.

﴿بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [1]، أي: أنا كذلك...، وإنّما كان الإنكار كذلك؛ لأنّ منكر الشّيء إنّما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضدّه ؛ فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا، والنّفي إيجابًا" [2].

وذكر الرّازيّ أنّ:" الاستفهام على سبيل الإنكار إنّما يتوجّه على كلام باطل" [3]، وهذا كله يكشف عن أهمية دراسة الاستفهام الإنكاري وبيان دلالته في نفي ما يقبح ويُستنكر وهو الشّرك بالله تعالى.

و" لكون الاستفهام طلب ما في الخارج، أو تحصيله في الذّهن لزم ألّا يكون حقيقة إلّا إذا صدر من شاكّ مصدّق بإمكان الإعلام، فإنّ غير الشّاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدّق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام" [4].

لذلك ذهب النّحويون إلى أن الاستفهام الصادر عن الله تعالى يختلف عن الاستفهام الصادر عن البشر؛ " لأنّ المستخبر غير عالم، إنّما يتوقّع الجواب فيعلم به، والله – عزّ وجل – منفي عنه ذلك" [5]، وعلل ذلك د. قيس الأوسي بأنه سبحانه وتعالى " لا يستفهم خلقه عن شيء، فالاستفهام في القرآن غير حقيقيّ ؛ لأنّه واقع ممّن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام، وإنّما يخرج الاستفهام في القرآن مخرج التّوبيخ والتّقرير، فالله تعالى يستفهم عباده ليقررهم ويذكّرهم أنّهم قد علموا حقّ ذلك الشّيء، فإذا استفهموا أنفسهم عنه يجدونه عندها تخبرهم به" [6]، وهذا التعليل لطيف، غير أن فيه عمومًا لا ينطبق عليه الحكم، إذ ليس الاستفهام أينما ورد في القرآن الكريم هو غير حقيقي، وإنما ما كان صادرًا عن الله تعالى، بمعنى أن يكون هو جلّ وعلا مستفهمًا، أما ما يحكيه الله تعالى عن سائر مخلوقاته فلا مانع من أن يكون بعضه حقيقيًا، لأنه لا يضرّ بحقيقة أنه جل شأنه لا يحتاج السؤال عن شيء.

---

(١) الأعراف: من الآية:١٧٢.
(٢) ٣/ ٢٧٢.
(٣) مفاتيح الغيب ٤/٦٥.
(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧.
(٥) المقتضب: ٣/ ٢٩٢.
(٦) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٠٨.

وكثيرًا ما ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم ضمنيًا بأسلوب الاستفهام إذ ورد بحسب استقرائي في (٩٤ موضعًا) في تراكيب متعدّدة .

وأغلب ما كان بـ **(الهمزة)** إذ وردت في (٤٣ موضعا) [١] ؛ لأنّها – كما وضحنا آنفًا– تدخل على الجمل المثبتة والمنفية، فإذا دخلت على المثبتة انقلب معناها نفيًا، وإذا دخلت على المنفيّة انقلب معناها إثباتًا، " وإنّما كان الإنكار كذلك؛ لأنّ منكر الشّيء إنّما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضدّه ؛ فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا، والنّفي إيجابًا" [٢]، ومثال دخولها على الجمل المثبتة قوله تعالى: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٩١]، ومثال دخولها على الجمل المنفيّة قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يس: ٦٠] .

والهمزة هي أم باب الاستفهام " ؛ لأنّها حرف الاستفهام الّذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره" [٣] .

وقد ذكر ابن هشام أنّ الهمزة قد تخرج عن الاستفهام الحقيقيّ فترد لثمانية معان، نذكر منها ما يدخل ضمن موضوع بحثنا:

أولًا– " الإنكار الإبطالي: وهذه تقتضي أنّ ما بعدها غير واقع وأنّ مدعيه كاذب " [٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ﴾ [الإسراء: ٤٠]، والتّقدير: " أفضّلكم الله فأعطاكم البنين وجعل لنفسه البنات. ومناسبته

---

(١) ينظر: آل عمران: ٨٣، والمائدة: ٧٦، ١١٦، والأنعام: ١٤، ٤٠، ٧١، ٨٠، ١١٤، ١٦٤، والأعراف: ١٤٠، ١٧٢، ١٩١، ١٩٤، ويونس: ١٨، ٣٥، ٦٨، ويوسف: ٣٩، والرعد: ١٦، ٣٣، وإبراهيم: ١٠، والنحل: ٥٢، والكهف: ٥٠، ١٠٢، والأنبياء: ٦٦، والفرقان: ١٧، والنمل: ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ويس: ٢٣، ٦٠، والصافات: ٨٦، ٩٥، ١٢٥، و ص: ٥، والزمر: ٦٤، والزخرف: ٤٥، والجاثية: ٢٣، والأحقاف: ٤، والفرقان: ٤٣، والعنكبوت: ٦٧.

(٢) الخصائص:٣/ ٢٧٢.

(٣) الكتاب: ١/ ٩٩، وينظر: همع الهوامع: ٢/ ٥٨٢.

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٤، وينظر: همع الهوامع: ٢/ ٥٨٣.

لما قبله أنّ نسبة البنات إلى الله ادّعاء آلهة تنتسب إلى الله بالنّبوّة، إذ عبد فريق من العرب الملائكة كما عبدوا الأصنام، واعتلّوا لعبادتهم بأنّ الملائكة بنات الله تعالى...، فلمّا نهوا عن أن يجعلوا مع الله إلهًا آخر خصّص بالتّحذير عبادة الملائكة لئلّا يتوهّموا أنّ عبادة الملائكة ليست كعبادة الأصنام؛ لأنّ الملائكة بنات الله ليتوهّموا أنّ الله يرضى بأن يعبدوا أبناءه " [١] .

والاستفهام هنا معناه الإنكار والخطاب في الآية لمن اعتقد أنّ الملائكة بنات الله . [٢]، و" قال النّحويّون: هذه الهمزة همزة تدلّ على الإنكار على صيغة السّؤال عن مذهب ظاهر الفساد لا جواب لصاحبه إلّا بما فيه أعظم الفضيحة" [٣]، فالاستفهام هنا أنكر على المخاطبين اتخاذهم شريكًا مع الله تعالى، وهو يستلزم نفي الشريك عنه سبحانه.

ثانيًا- " الإنكار التوبيخي: فيقتضي أنّ ما بعدها واقع وأنّ فاعله ملوم" [٤] .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦]، فـ"الآية وردت في بيان استحقاق الخالق للعبادة لانفراده بالخلق وإقامة الحجّة على من يعبد ما لا يخلق وهم يخلقون" [٥]، ومعنى الآية " أتعبدون ما تنحتون مخلوقين" [٦]. والاستفهام هنا " استفهام توبيخ وإنكار عليهم، كيف هم يعبدون صورًا صوّروها بأيديهم وشكّلوها على ما يريدون من الأشكال؟ " [٧]، وجاءت هذه الآية توبيخًا لهم على عبادة الأصنام؛ لأنّ الله تعالى بيّن بيّن أنّه خالقهم وخالق تلك الأصنام والخالق هو المستحقّ للعبادة دون المخلوق، فلمّا تركوا عبادته سبحانه وتعالى وعبدوا الأصنام لا جرم أنّه عزّ وجلّ وبّخهم على هذا الخطأ العظيم [٨].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥/ ١٠٧.
(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٥٢.
(٣) مفاتيح الغيب:٢٠/ ٣٤٥.
(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٥، وينظر: همع الهوامع: ٢/ ٥٨٤.
(٥) بدائع الفوائد، ابن قيّم الجوزيّه: ١/ ١٤٧.
(٦) مجمع البيان: ٨/ ٢٧٨.
(٧) البحر المحيط في التفسير: ٩/ ١١٢، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٤٤.
(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٣٤٣.

ومن الاستفهام التوبيخي قوله تعالى: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦] " أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد، ولهذا قال عزّ وجلّ ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ " [١]، وقوله: (إفكًا) " أي: كذبًا هو أسوأ الكذب، تريدون آلهة غير الله ؟" [٢]، وقد أدخلت همزة الإنكار التّوبيخيّ على المفعول له "؛لأنّه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنّهم على إفك وباطل في شركهم"[٣].

شركهم"[٣].

وإنّما يُراد من تقديم (أئفكا) في هذه الآية " تقوية حكم الإنكار " [٤]، ولاسيَّما أنّ الهمزة تختصّ تختصّ بإيلائها المنكر. [٥]

ثالثًا- التّقرير: ويراد به حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها ما تقرّره به، تقول في التّقرير بالفعل: أضربت زيدًا، وبالفاعل: أأنت ضربت زيدًا، وبالمفعول: أزيدًا ضربت، كما يجب ذلك في المستفهم عنه. [٦]، فالتّقرير جواب نفي عن استفهام منفيّ يحمل المخاطب على الإقرار بـ (بلى) "و(بلى) تختصّ بالنّفي وتثبّته سواء كان مجردًا نحو: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ ﴾[التغابن: ٧]، أو مقرونًا بالاستفهام حقيقيًّا كان نحو: أليس زيد بقائم فيقال (بلى)، أو توبيخًا نحو: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[القيامة: ٣، ٤]، أو تقريريًا نحو: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أجري النّفي مع التّقرير مجرى النّفي المجرّد في ردّه بـ (بلى)، ولذلك قال ابن عبّاس وغيره لو قالوا: نعم كفروا، ووجهه أن (نعم) تصديق للخبر بنفي أو إيجاب " [٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١٢/ ٣٩٧.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري: ٤/ ٤١٤.

(٣) الكشاف: ٤/ ٤٩.

(٤) مفتاح العلوم، السكاكيّ: ٣١٦، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني: ٣/ ٥٨.

(٥) ينظر: التصور والتصديق في العربية، هناء إسماعيل العاني، ١٥.

(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٦.

(٧) همع الهوامع: ٢/ ٥٩٢.

ويأتي الاستفهام في الآية بعد أن ذكر الله تعالى نعمه عليهم و" نصب لهم الأدلّة على ربوبيّته ووحدانيّته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركّبها فيهم وجعلها مميّزة بين الضّلالة والهدى، فكأنّه أشهدهم على أنفسهم وقرّرهم وقال لهم: ألست بربّكم ؟ وكأنّهم قالوا: بلى أنت ربّنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك" (١).

فـ" الاستفهام في (ألست بربّكم) تقريري، ومثله يُقال في تقرير من يظنّ به الإنكار أو ينزل منزلة ذلك، فلذلك يقرر على النّفي استدراجًا له حتّى إذا كان عاقدًا قلبه على النفي ظنّ أنّ المقرّر يطلبه منه، فأقدم على الجواب بالنفي، فأمّا إذا لم يكن عاقدًا قلبه عليه فإنّه يجيب بإبطال النفي، فيتحقق أنّه بريء من نفي ذلك" (٢).

ولا يفوتنا أن نذكر" أنّ القرآن سلك في الاستفهام مسلكًا لم نره كثير الاستعمال عند العرب من قبل نزول القرآن، ولكنّه شاع بعد نزوله من غير سموّ إلى مسلك القرآن، وهو دخول أداة الاستفهام على حرف النفي" (٣).

ونختم الحديث عن الهمزة بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]، إذ ورد (أفعل) التفضيل في سياق الاستفهام في استعمال مجازي يومئ إلى نفي الشريك بالله تعالى على نحو بلاغي لطيف.

فالاستفهام هنا " استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكّم بحالهم، وتنبيه على موضع التّباين بين الله تعالى وبين الأوثان، إذ معلوم عند من له عقل أنّه لا شركة في الخيريّة بين الله تعالى وبينهم، وكثيرًا ما يجيء هذا النّوع من أفعل التّفضيل حيث يعلم ويتحقّق أنّه لا شركة فيها، وإنّما يذكر على سبيل إلزام الخصم وتنبيهه على خطأ مرتكبه. " (٤)

(١) الكشاف: ٢/ ١٧٦.
(٢) التحرير والتنوير: ٩/ ١٦٨.
(٣) المعجزة الكبرى القرآن: ١٦٩.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٢٥٦.

وإنّما آثر الاستعمال القرآني أفعل التفضيل هنا؛ " لقصد مجاراة معتقدهم أنّ أصنامهم شركاء الله في الإلهيّة بحيث كان لهم حظ وافر من الخير في زعمهم...، ففي هذا الاستفهام عن الأفضل في الخير تنبيه لهم على الخطأ المفرط والجهل المورّط لتنفتح بصائرهم إلى الحق إن أرادوا اهتداء. والمعنى: أالله الحقيق بالإلهيّة أم ما تشركونهم معه" [1] .

ونخلص من ذلك إلى أنّ التفضيل هنا ليس على نحو الحقيقة؛ إذ لا مقارنة أو مفاضلة بين الله تعالى ومن اتخذوه له شريكًا، ولكن هذا الأسلوب فيه تنبيه للمخاطبين على فساد ما يعتقدونه، وحاصله نفي الشريك عنه جلّ وعلا بإبطال معتقدهم.

وقد ورد نفي الشّرك ضمنيا بأداة الاستفهام **(هل)** في (١٥ موضعا) [2] بحسب استقرائي .

و تختصّ (هل) بحكمين دون الهمزة، وهما كونها للتّقرير في الإثبات، كقوله تعالى: ﴿ **هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ** ﴾[المطففين: من الآية ٣٦]، أي: ألم يثوّب، وإفادتها أفادة النّافي، حتّى جاز أن يجيء بعدها (إلّا) قصدًا للإيجاب، كقوله تعالى: ﴿ **هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ولا تدخل (هل) على حروف العطف؛ لأنّها فرع الهمزة فلا تتصرّف تصرّفها، وهذه الحروف تدخل على (هل) كقوله تعالى: ﴿ **فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ** ﴾[هود: من الآية ١٤]، ولا تجيء الهمزة بعد (أم) ويجوز ذلك في (هل) وسائر أدوات الاستفهام. [3]

و قد تأتي (مِن) الاستغراقية مع (هل) في سياق نفي الشّرك بالله تعالى من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾[الروم: ٤٠]

(١) التحرير والتنوير: ٢٠/ ٩.

(٢) ينظر: الأنعام: ١٤٨، والأعراف: ١٤٧، ويونس: ٣٤، ٣٥، والرعد: ١٦(وردت فيها هل مرتين)، و الشعراء: ٩٣، والروم: ٢٨، ٤٠، وفاطر: ٣، والزمر: ٣٨(وردت فيها هل مرتين)، والشعراء: ٧٢، والشورى: ٤٤، وسبأ: ٣٣.

(٣) ينظر: شرح الرضيّ على الكافية:٤/ ٤٤٨.

ففي الآية الكريمة " كرّر تعالى خطاب الكفّار في أمر أوثانهم، فذكر أفعاله الّتي لا يمكن أن يُدعى له فيها شريك، وهي الخلق والرّزق والإماتة والإحياء، ثمّ استفهم على جهة التّقرير لهم والتّوبيخ، ثمّ نزّه نفسه عن مقالتهم" [١] .

فالآية تصف الله تعالى" بأربعة أوصاف لتكون إشارة للتّوحيد ومواجهة للشّرك، ودليلًا على المعاد " [٢]، وهذه الأوصاف هي كونه عزّ وجل خالقًا ورازقًا ومميتًا ومحييًا.

والاستفهام في قوله: (وهل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) " استفهام إنكاريّ في معنى النّفي؛ ولذلك زيدت (مِنْ) الدّالّة على تحقيق نفي الجنس كلّه في قوله من شيء. والمعنى: ما من شركائكم من يفعل شيئًا من ذلكم. فـ (من) الأولى بيانيّة هي بيان الإبهام الّذي في (من يفعل)، فيكون (من يفعل) مبتدأ وخبره محذوف دلّ عليه الاستفهام، تقديره: حصل، أو وجد، أو هي تبعيضيّة صفة لمقدّر، أي: هل أحد من شركائكم. و(من) الثّانية في قوله: من ذلكم تبعيضيّة في موضع الحال من شيء. و(من) الثّالثة زائدة لاستغراق النّفي، وإضافة (شركاء) إلى ضمير المخاطبين من المشركين؛ لأنّ المخاطبين هم الّذين خلعوا على الأصنام وصف الشّركاء لله...، وهذا جار مجرى التّهكّم" [٣]، ولاسيَّما أنّ " من المسلّم به أن المشركين لم يكن أيّ منهم يعتقد بأن الخلق كان من قبل الأوثان، أو أنّ أرزاقهم بيد الأوثان والأصنام، أو أنّ نهاية حياتهم بأيدي هذه الأوثان كذلك! بل لأنّهم جعلوا هذه الأوثان المصنوعة واسطة وشفعاء بينهم وبين الله، فعلى هذا يكون الجواب على هذه الأسئلة هو النّفي، والاستفهام هنا استفهام إنكاريّ !" [٤]، ودلالته واضحة في نفي الشّرك بالله تعالى.

وذكرنا آنفًا أن (هل) تمتاز عن الهمزة بجواز مجيئها بعد (أم)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ

(١) البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٣٩٤.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ٥٤٣.
(٣) التحرير والتنوير: ٢١/ ١٠٧، ١٠٨.
(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ٥٤٣.

﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾[الرعد: ١٦]

ففي الآية الكريمة يقرّر الله تعالى أنّه لا إله إلّا هو [١]، فلمّا" نهضت الأدلّة الصّريحة بمظاهر الموجودات المتنوّعة على انفراده بالإلهيّة من قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾[الرعد: ٢]، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[الرعد: ٣]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ [الرعد: ٨]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ ﴾ [الرعد: ١٢] الآيات، وبما فيها من دلالة رمزيّة دقيقة من قوله: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الرعد: ١٤]، وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الرعد: ١٥] إلى آخرها لا جرم تهيّأ المقام لتقرير المشركين تقريرًا لا يجدون معه عن الإقرار مندوحة، ثمّ لتقريعهم على الإشراك تقريعًا لا يسعهم إلّا تجرّع مرارته، لذلك استؤنف الكلام وافتتح بالأمر بالقول تنويهًا بوضوح الحجّة" [٢] .

ولمّا كان الاستفهام في الآية غير حقيقيّ، جاء جوابه من المُستفهِم، فالاستفهام تقرير وتوبيخ وتسفيه لرأيهم بناء على الإقرار المسلّم. وفيه استدلال آخر على عدم أهليّة أصنامهم للإلهية، فإنّ اتّخاذهم أولياء من دونه معلوم لا يحتاج إلى الاستفهام عنه. [٣]، " ثمّ ضرب مثلًا للمشركين الّذين يعبدون الأصنام والمؤمنين الّذين يعترفون بأن لا ربّ غيره ولا معبود سواه، فقال: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ [٤] " [٥]، وسبب تكرار الأمر بالقول ؛ للاهتمام الخاصّ بالكلام الوارد بعده؛ لأنّ ما قبله إبطال لاستحقاق آلهتهم العبادة [٦] .

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٨٣.
(٢) التحرير والتنوير: ١٣/ ١١٢.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/ ١١٣.
(٤) الأنعام: من الآية ٥٠.
(٥) تفسير المراغي: ١٣/ ٨٦.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/ ١١٤.

ولمّا أراد التعبير تأكيد دلالة الآية " أبرز ذلك في صورة الاستفهام الّذي يبادر المخاطب إلى الجواب فيه من غير فكر ولا رويّة، بقوله: قل هل يستوي الأعمى والبصير؟ ثمّ انتقل إلى الاستفهام عن الوصفين القائمين، بالكافر وهو: الظّلمات، وبالمؤمن وهو النّور " [١].

و(هل)" حرف استفهام بمعنى النّفي" [٢]، والاستفهام للتّقريع والتّوبيخ، والمعنى: كيف يكونان مستويين وبينهما من التّفاوت ما بين الأعمى والبصير، وما بين الظّلمات والنّور، وقد وحّد النّور؛ لأنّ طريق الحقّ واحدة لا تختلف، وجمع الظّلمة؛ لأنّ طرائق الباطل كثيرة غير محصورة [٣]، و" أظهر حرف (هل) بعد (أم)؛ لأنّ فيه إفادة تحقيق الاستفهام. وذلك ليس ممّا تغني فيه دلالة (أم) على أصل الاستفهام، ولذلك لا تظهر (الهمزة) بعد (أم) اكتفاء بدلالة (أم) على تقدير استفهام" [٤].

وذكر لنا أبو حيان أنّ (هل) بعد (أم) المنقطعة يجوز أن يؤتى بها لشبهها بأسماء الاستفهام في عدم الأصالة فيه، كقوله: ﴿ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [يونس: من الآية:٣١] ، ويجوز أن لا يؤتى بها؛ لأنّ (أم) تتضمّنها [٥].

وقال الشّعراويّ (ت: ١٤١٨ هـ): " وساعة ترى (أم) اعلم أنّها ضرب انتقالي، وهكذا يستنكر الحقّ ما فعلوه بالاستفهام عنه؛ لأنّه شيء منكر فعلًا: ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[٦]...، أي: لو كان هؤلاء الشّركاء قد خلقوا شيئًا مثل خلق الله ؛ لكان لهم أن يعقدوا يعقدوا مقارنة بين خلق الله وخلق هؤلاء الشّركاء؛ ولكنّ هؤلاء الشّركاء الّذين جعلوا مشاركين لله في

(١) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٣٧١، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطيّ: ٤/ ٦٣١.
(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٥/ ١٠٨.
(٣) ينظر: فتح القدير: ٣/ ٨٩، وينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٧/ ٤٦٣.
(٤) التحرير والتنوير: ١٣/ ١١٤.
(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٣٧١.
(٦) الرعد: من الآية: ١٦.

الألوهيّة لا يقدرون على خلق شيء ؛ فكيف يختارونهم شركاء لله ؟ " [1] ، فـ " الاستفهام لإنكار الوقوع" [2]

وفي ختام الآية الكريمة يأتي الأمر من الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: من الآية: ١٦]، وبهذا يتّضح أنّ الحقّ سبحانه وتعالى وحده هو الخالق لكلّ شيء، وتلزم عبادته وحده لا شريك له؛ لأنّه جلّ وعلا المتفرّد بالرّبوبيّة والألوهيّة؛ وهو القهّار المتكبّر؛ والغالب على أمره أبدًا، فكيف يكون مَنْ دونه مساويًا له ؟ لذلك لا شريك له أبدًا [3]، وقد بان كيف كان للاستفهام أثر في نفي الشّرك بالله تعالى؛ لأنّه ينكر هذا الفعل على المشركين ويوبخهم عليه.

أمّا بقيّة أدوات الاستفهام، فقد ذكرنا في مقدّمة حديثنا عن الاستفهام أنّها يطلب بها التّصوّر فقط، و يجاب عنها بتعيين المسؤول عنه. وقد ورد نفي الشّرك بالله ضمنيًا بهذه الأدوات في مواضع عدّة من القرآن الكريم، فقد ورد النّفي بأداة الاستفهام **(ما)** في (٤ مواضع) [4] بحسب استقرائي.

ومن ذلك استعمال (ماذا) التي يرى سيبويه أنّ فيها وجهين: " فيكون (ذا) بمنزلة (الذي) ويكون (ما) حرف الاستفهام، وإجراؤهم إيّاه مع (ما) بمنزلة اسم واحد" [5].

نحو قوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]

والمعنى: " أنّ مَنْ هذه قدرته ورحمته هو ربّكم الحقّ الثّابت ربوبيّته ثباتًا لا ريب فيه، وإذا ثبت أنّ هذا هو الحقّ، وجب أن يكون ما سواه ضلالًا؛ لأنّ النّقيضين يمتنع أن يكونا حقّين وأن يكونا باطلين، فإذا كان أحدهما حقًّا وجب أن يكون ما سواه باطلًا" [1].

---

(١) تفسير الشعراوي:١٢/ ٧٢٦٦

(٢) فتح القدير: ٣/ ٨٩.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي:١٢/ ٧٢٦٦، ٧٢٦٧.

(٤) ينظر: آل عمران: ٧٠، ٧١، و المائدة: ١٨، و يونس: ٣٢.

(٥) الكتاب: ٢/ ٤١٦.

والفاء في قوله تعالى: (فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال) " تفريع للاستفهام الإنكاريّ على الاستنتاج الواقع بعد الدّليل، فهو تفريع على تفريع وتفريع بعد تفريع" [٢].

و (ماذا) اسم استفهام معناه النّفي، ولذلك دخلت (إلّا) في سياقها، وصحبه التّقرير والتّوبيخ، كأنّه قيل: ما بعد الحقّ إلّا الضّلال، فالحقّ والضّلال نقيضان لا واسطة بينهما، فمن يخطئ الحقّ وقع في الضّلال. وماذا مبتدأ تركّبت (ذا) مع (ما) فصار مجموعهما استفهامًا، كأنّه قيل: أيّ شيء. والخبر (بعد الحقّ). [٣]

فلمّا كان الاستفهام ليس على حقيقته؛ لأنّه لا تردّد في المُستَفهَم عنه، تعيّن أنّه إنكار وإبطال؛ فلذا وقع الاستثناء منه بقوله: (إلّا الضّلال) أي: لا يكون إثر انتفاء الحقّ إلّا الضّلال. ولمّا كان الله عزّ وجلّ هو الرّب الحق تعيّن أنّ غيره مما يعبدون من آلهة باطل. وعبّر عن الباطل بالضّلال؛ لأنّ الضّلال أشنع أنواع الباطل. [٤] " ثمّ وبّخهم على اتّباع الضّلال بعد وضوح الحقّ قال تعالى: فأنّى تصرفون، أي: كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحقّ وقيام حججه عن عبادة من يستحقّ العبادة، وكيف تشركون معه غيره وهو لا يشاركه في شيء من تلك الأوصاف" [٥].

وبلاغة التعبير القرآني في سوق هذه المعاني تفوق كلّ تفسير براعةً وإيجازًا وإيضاحًا، والحكمة المتحصلة من هذه الآية بأنّه ليس بين الحقّ والضّلال منزلة ثالثة في مسألة توحيد الله تعالى. [٦]

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٧/ ٢٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١١/ ١٥٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٥٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ١٥٨، ١٥٩.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٥٣.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ١١٨.

و ورد نفي الشّرك ضمنًا بأداة الاستفهام **(مَنْ)** وهي" للسّؤال عن الجنس من ذوي العلم " [١] في (١٥ موضعًا) [٢] بحسب ما وقفت عليه من استقراءٍ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[الأنعام: ٤٦]

والمعنى: " يقول الله تعالى لرسوله (ﷺ) قل لهؤلاء المكذّبين المعاندين: أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم" [٣]، والأخذ هو:" انتزاع الشّيء وتناوله من مقرّه " [٤].

ويبدو أنّه ذهاب الحاسّة السّمعيّة والبصريّة فيكون أخذًا حقيقيًّا. والمراد أخذ نور البصر بحيث يحصل العمى، وأخذ سمع الأذن بحيث يحصل الصّمم، وقيل: هو أخذ معنويّ [٥]، ولا ريب أنّ هذه النعم لو زالت" اختلّ أمر الإنسان وبطلت مصالحه في الدّنيا وفي الدّين. ومن المعلوم بالضّرورة أنّ القادر على تحصيل هذه القوى فيها وصونها عن الآفات والمخافات ليس إلّا الله. وإذا كان الأمر كذلك، كان المنعم بهذه النّعم العالية والخيرات الرّفيعة هو الله سبحانه وتعالى، فوجب أن يُقال المستحقّ للتّعظيم والثّناء والعبوديّة ليس إلّا الله تعالى، وذلك يدلّ على أنّ عبادة الأصنام طريقة باطلة فاسدة" [٦].

وقوله تعالى: (مَنْ إله غير الله) استفهام معناه توقيفهم على أنّه لا إله سواه فتعلّقهم بغيره لا ينفع [٧] ، أي: " أعلمتم جواب هذا الاستفهام أم أنتم في شكّ. وهو استفهام مستعمل في التّقرير

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ٦٤.
(٢) ينظر: المائدة: ١٧، والأنعام: ٢١، ٤٦، ٦٣، ٩٣، والاعراف: ٣٧، ويونس: ٣١، والكهف: ١٥، والقصص: ٧١، ٧٢، والعنكبوت: ٦٨، والروم: ٢٩، والجاثية: ٢٣، والاحقاف: ٥، والفتح: ١١.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٣٠.
(٤) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٣٣.
(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٥١٦.
(٦) مفاتيح الغيب: ١٢/ ٥٣٥، ٥٣٦.
(٧) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٥١٦.

يقصد منه إلجاء السّامعين إلى النّظر في جوابه، فيوقنوا أنّه لا إله غير الله يأتيهم بذلك؛ لأنّه الخالق للسّمع والأبصار والعقول ...، والمستفهم عنه هو إله، أي: ليس إله غير الله يأتي بذلك، فدلّ على الوحدانيّة " [١] ، وواضح من ذلك أنّ المراد من الاستفهام هو نفي الشريك عن الله جلّ وعلا.

وورد نفي الشّرك ضمنًا بأداة الاستفهام **(أين)** في (٨ مواضع) [٢] بحسب استقرائي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ [القصص: ٦٢]، ذكر ابن عاشور أنّ هذه الآية" تخلّص من إثبات بعثة الرّسل وبعثة محمّد (ﷺ) إلى إبطال الشّركاء لله، فالجملة معطوفة على جملة ﴿ **أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا** ﴾[القصص: ٦١] مفيدة سبب كونهم من المحضرين، أي: ؛ لأنّهم اتّخذوا من دون الله شركاء، وزعموا أنّهم يشفعون لهم، فإذا هم لا يجدونهم يوم يحضرون للعذاب" [٣]، وأشار في موضع آخر إلى أنّ" ذلك النّداء كان توبيخًا لهم على اتّخاذهم اتّخاذهم آلهة شركاء لله تعالى" [٤]، وهذا على أسلوب التّهكّم [٥].

والاستفهام بـ (أين) في الآية الكريمة وإن كان ظاهره استفهام عن مكان الشّركاء، ولكنّه مستعمل كناية عن انتفاء وجود الشّركاء المزعومين يومئذ، فالاستفهام مستعمل في الانتفاء. [٦]، أي: أي: لا شريك له كما زعمتم، والاستفهام معناه النفي كما هو واضح.

وقد كرر سبحانه وتعالى الآية الكريمة بعد عدة آيات في السورة نفسها فقال: ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾[القصص: ٧٤]، وذكر الرازي:" أنّه سبحانه لمّا هجّن طريقة المشركين أوّلًا، ثمّ ذكر التوحيد ودلائله ثانيًا، عاد إلى تهجن طريقتهم مرّة أخرى وشرح حالهم في الآخرة فقال: ويوم يناديهم، أي: القيامة فيقول: أين شركائي الّذين كنتم تزعمون، والمعنى أين

(١) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٣٤.
(٢) ينظر: الأنعام: ٢٢، والأعراف: ٣٧، والنحل: ٢٧، والشعراء: ٩٢، والقصص: ٦٢، ٧٤، وغافر: ٧٣، وفصلت: ٤٧.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٥٦.
(٤) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٦٠، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/ ٦٥٢.
(٥) ينظر: فتح القدير: ٤/ ٥٩٨.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٥٦.

الّذين ادّعيتم إلهيّتهم لتخلّصكم، أو أين قولكم تقرّبنا إلى الله زلفى وقد علموا أن لا إله إلّا الله فيكون ذلك زائدًا في غمّهم إذا خوطبوا بهذا القول" [١].

وقد سلكت هذه الآية طريقة اللف في تكرار التوبيخ باتخاذ الشّركاء لله تعالى؛ إيذانًا بأنَّ لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به تعالى، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده [٢].

وعلل الشوكاني سبب التكرار؛ بـ " اختلاف الحالتين؛ لأنّهم ينادون مرّة، فيدعون الأصنام، وينادون أخرى، فيسكتون، وفي هذا التّكرير أيضًا تقريع بعد تقريع، وتوبيخ بعد توبيخ" [٣].

بينما عزا ابن عاشور سبب التكرار إلى" أنّ مقام الموعظة يقتضي الإطناب في تعداد ما يستحقّ به التّوبيخ. والتّكرار من مقتضيات مقام الموعظة. وهذا توبيخ لهم على تكذيبهم الرّسل بعد انقضاء توبيخهم على الإشراك بالله. والمراد: ماذا أجبتم المرسلين في الدّعوة إلى توحيد الله وإبطال الشّركاء." [٤]، وهو ما يعني نفي الشريك عن الله عزّ وجل.

وقد ورد نفي الشّرك ضمنيًا بأداة الاستفهام **(كيف)** في (٥ مواضع) [٥] بحسب استقرائي. استقرائي. و(كيف) للسّؤال عن الحال، وقد تخرّج عن الاستفهام لأغراض بلاغيّة أخرى، فحين يقول الحقّ سبحانه: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[آل عمران: ١٠١] " نفهم أنّه استعظام وتعجيب يأتي من الحق" [٦]، [٦]، وهو " كلام مستأنف مسوق لتوجيه الإنكار، والاستبعاد إلى كيفيّة الكفر عن طريق المبالغة" [٧].

[٧].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ١٣.
(٢) ينظر: الكشاف : ٣/ ٤٢٩.
(٣) فتح القدير: ٤/ ٢١٣.
(٤) التحرير والتنوير:٢٠/ ١٦١، ١٦٢.
(٥) ينظر: البقرة: ٢٨، وآل عمران: ٨٦، ١٠١، و الأنعام: ٨١، والتوبة: ٧.
(٦) تفسير الشعراوي: ٣/ ١٦٥٢.
(٧) إعراب القرآن وبيانه: ٢/ ٧.

ذهب الرّازي إلى أنّ" كلمة (كيف) تعجّب، والتّعجّب إنّما يليق بمن لا يعلم السّبب، وذلك على الله محال، والمراد منه المنع والتّغليظ وذلك؛ لأنّ تلاوة آيات الله عليهم حالًا بعد حال مع كون الرّسول فيهم الّذي يزيل كلّ شبهة ويقرّر كلّ حجّة، كالمانع من وقوعهم في الكفر، فكان صدور الكفر على الّذين كانوا بحضرة الرّسول أبعد من هذا الوجه" (١).

وقال أبو حيّان: " هذا سؤال استبعاد وقوع الكفر منهم مع هاتين الحالتين: وهما تلاوة كتاب الله عليهم وهو القرآن الظّاهر الإعجاز، وكينونة الرّسول فيهم الظّاهر على يديه الخوارق. ووجود هاتين الحالتين تنافي الكفر ولا تجامعه، فلا يتطرّق إليهم كفر مع ذلك. وليس المعنى أنّه وقع منهم الكفر فوبّخوا على وقوعه؛ لأنّهم مؤمنون، ولذلك نودوا بقوله: (يا أيّها الّذين آمنوا)" (٢).

فمعنى الاستفهام في قوله تعالى: (وكيف تكفرون) الانكار، والاستبعاد لكفرهم.

وقوله تعالى: (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) جملة " حاليّة، وهي محطّ الاستبعاد والنّفي؛ لأنّ كلًّا من تلاوة آيات الله وإقامة الرّسول (ﷺ) فيهم وازع لهم عن الكفر" (٣).

ويشير الدكتور فاضل السامرائي إلى اللمسة البيانيّة في الآية الكريمة فيقول: " انظر هنا كيف استطاع الاستفهام أن يلقي ظلاله البلاغيّة، فالاستفهام هنا ليس حقيقيًا بل خرج إلى معنى الاستبعاد، استبعاد كفر المؤمنين ونفيه" (٤)، والاستفهام في الآية الكريمة خرج إلى معنى النفي كما هو واضح .

وقد ورد نفي الشّرك ضمنيًا بأداة الاستفهام **(أنى)** وهي بمعنى: (كيف، ومن أين) في موضع واحد بحسب استقرائي، و هو قوله تعالى: ﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ** ﴾[الأنعام: ١٠١]

(١) مفاتيح الغيب: ٨/ ٣٠٩، وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي الخازن : ١/ ٢٧٦، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٢/ ٢٩٩.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٢٨٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٤/ ٢٩.

(٤) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: ٣/ ٧٥.

فالاستفهام في الآية للإنكار والاستبعاد، أيّ: إنكار أن يكون لله تعالى ولد واستبعاد لذلك مادام هو بديع السموات والأرض، فـ " كيف يكون له ولد؟ وهو من جملة مخلوقاته، وكيف يتّخذ ما يخلقه ولدًا" [١] " وأنّى بمعنى (كيف)، و(من أين) " [٢].

والجملة مستأنفة مسوقة لبيان استحالة ما ينسبونه لله تعالى من أنْ يكون له ولد، وتقرير تنزيهه تعالى عنه.[٣] ثمَّ " بالغ في نفي الولد فقال: (ولم تكن له صاحبة)، أي: والحال أنّه لم تكن له صاحبه، والصاحبة إذا لم توجد استحال وجود الولد " [٤].

ولاسيَّما أنّه سبحانه وتعالى" مالك كلّ شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدّس وتنزّه" [٥]، وعلى ذلك، فإنّ جملة (وخلق كل شيء)" مستأنفة، لتحقيق ما ذكر من الاستحالة. أو حال ثانية مقرّرة لها" [٦]، وهذا إبطال" بطريق الكلّيّة بعد أن أبطل إبطالًا جزئيًّا، والمعنى أنّ الموجودات كلّها متساوية في وصف المخلوقيّة، ولو كان له أولاد لكانوا غير مخلوقين. وجملة: (وهو بكلّ شيء عليم) تذييل لإتمام تعليم المخاطبين بعض صفات الكمال الثّابتة لله تعالى " [٧]، فالجملة مستأنفة مقرّرة لمضمون ما ذُكِر قبلها من الدّلائل القاطعة ببطلان أن يكون لله جلَّ وعلا ولدٌ [٨].

وخلاصة القول: " أنه- سبحانه- عالم بكلّ المعلومات، فلو كان له ولد فلا بدّ أن يتّصف بصفاته ومنها عموم العلم، وهو منفيّ عن غيره بالإجماع. وبعد أن أبطل- سبحانه- الشّرك ونعى على معتنقيه سوء تفكيرهم، دعا المكلّفين إلى إخلاص العبوديّة لله وحده فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

(١) فتح القدير:٢/ ١٦٨.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٢٩.
(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٣/ ١٨٧.
(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن: ٤/ ٢١١.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٤٩٨.
(٦) محاسن التأويل: ٤/ ٤٥١.
(٧) التحرير والتنوير: ٧/ ٤١٢.
(٨) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٥/ ١٤٦.

رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [١] " [٢]. و يتضح من ذلك أنّ الاستفهام في الآية الكريمة خرج الى معنى النفي .

وورد نفي الشّرك ضمنًا بأداة الاستفهام **(أيّ)** وهي" للسّؤال عمّا يميّز أحد المتشاركين في أمر يعمهما" [٣] في (٣ مواضع) [٤] في القرآن الكريم بحسب استقرائي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾[الجاثية: ٦]

فقوله تعالى: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) تضمّن" استفهامًا إنكاريًّا بمعنى النّفي. واعلم أنّ هذا الكلام وإن كان موجّها إلى قوم لا ينكرون وجود الله وإنّما يزعمون له شركاء، وكان مقصودًا منه ابتداءً إثبات الوحدانيّة، فهو أيضًا صالح لإقامة الحجّة على المعطّلين الّذين ينفون وجود الصّانع المختار وفي العرب فريق منهم. فإنّ أحوال السّماوات كلّها متغيّرة دالّة على تغيّر ما اتّصفت بها، والتّغيّر دليل الحدوث وهو الحاجة إلى الفاعل المختار الّذي يوجدها بعد العدم ثمّ يعدمها" [٥].

والكلام فيه تقريع وتوبيخ وتهديد، وقوله: بعد الله، فيه أقوال منها: أنّ المعنى هو: بعد حديث الله، وهو كتابه وكلامه، كقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾[الزمر: من الآية ٢٣]' وقال: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: من الآية ١٨٥] . أو: بعد توحيد الله ، أو: بعد آيات الله [٦].

و" حقًّا إذا لم يؤمن هؤلاء بهذه الآيات فبأيّ شيء سوف يؤمنون ؟ ... حقًّا إنّ للقرآن الكريم محتوى عميقًا من ناحية الاستدلال والبراهين على التّوحيد، وكذلك فهو يحتوي على مواعظ وإرشادات

(١) الأنعام: ١٠٢.
(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي: ٥/ ١٤٧.
(٣) مفتاح العلوم: ٣١٢.
(٤) ينظر: الأعراف: ١٨٥، والجاثية: ٦، والمرسلات: ٥٠.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٢٨، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٩/ ١٤٣.
(٦) ينظر: الكشاف: ٤/ ٢٨٥، و البحر المحيط في التفسير: ٩/ ٤١٥.

تجذب العباد إلى الله سبحانه حتّى القلوب الّتي لها أدنى استعداد أو أرضيّة صالحة، وتدعو كلّ مرتبط بالحقّ إلى الطّهارة والتّقوى، فإذا لم تؤثّر هذه الآيات البيّنات في أحد فلا أمل في هدايته بعد ذلك" (١).

وفي نهاية المطاف أصبح جليًا كيف وظّف القرآن الكريم أسلوب الاستفهام لنفي الشّرك ضمنيًّا، وذلك بمنزلة دعوة لتدبّر القرآن، والغوص في سبر أغواره، واستخلاص الدّرر من مكامنه، فقد تعدّدت وتنوّعت أساليبه في نفي الشّرك بسياقات متعدّدة لا يحلّ الإخبار محلّها، وقد انماز القرآن الكريم المعجز في أسلوبه ولفظه ومعناه بتوظيف هذه الأساليب للدلالة على نفي الشّرك والشّركاء عن الله عزّ وجل.

ثانياً : دلالة النفي الضمني بأسلوب الأمر:

الأمر في اللغة : " ضدّ النّهي ....، والأمر الّذي هو نقيض النّهي قولك افعل كذا" (٢) ، وفي الاصطلاح هو:" استدعاء الفعل بصيغة مخصوصة مع علوّ الرّتبة" (٣).

وقد صرح السكاكي بأن الأمر عبارة عن " استعمال نحو: لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء" (٤).

وعرّفه ابن مالك بحسب الغرض فذكر أنّه " طلب الفعل على سبيل الاستعلاء نحو: (لِيُنْفِق ذو سَعَة)، وفي الدعاء، وهو طلب الفعل على سبيل الخضوع" (٥).

وكان تعريف العلوي (ت: ٧٤٥هـ) أكثر شمولًا، فالأمر عنده " صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا: (صيغة تستدعى، أو قول ينبئ)، ولم نقل (افعلْ)، و(لتفعل) كما يقوله المتكلمون والأصوليون لتدخل جميع الأقوال الدالة على

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦/ ١٩٠.
(٢) مقاييس اللغة :١/ ١٣٧، وينظر: لسان العرب: ٤/ ٢٦، و تاج العروس من جواهر القاموس:١٠/ ٦٨.
(٣) أمالي ابن الشجري: ١/ ٤١٠.
(٤) مفتاح العلوم: ٣١٨.
(٥) شرح التسهيل: ٤/ ٥٧.

استدعاء الفعل ...، ونحو قولنا: نزال، و صه، فإنهما دالان على الاستدعاء من غير صيغة (افعلْ)" [١] ، والمقصود بالاستعلاء أن يعد الآمر نفسه أعلى مرتبة من المخاطب وإن لم يكن في الواقع كذلك . [٢]

وللأمر وصيغته أسماء بحسب رتبة المتكلم والمخاطب، ذكرها ابن يعيش قائلًا:" فإن كان من الأعلى إلى مَن دونه، قيل له: (أمر)، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له: (طلب)، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى، قيل له: (دعاء) " [٣].

وللأمر صيغ تنوب أحداها عن الأخرى في طلب الفعل على وجه الاستعلاء واللزوم. هي:

أ- " **فعل الأمر**: نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٤] ...

ب- **المضارع المقرون بلام الأمر**: نحو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [٥] ...

ج- **اسم فعل الأمر**: ومنه (عليكم) اسم فعل أمر بمعنى (الزموا) نحو قوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ [٦]...

د- **المصدر النائب عن فعل الأمر**: نحو قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [٧] بمعنى وأحسنوا إلى الوالدين إحسانا " [٨] .

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلويّ: ٣/ ١٥٥.
(٢) ينظر: الكليات: ١٧٨، و علم المعاني: ٧٥، والمفصل في علوم البلاغة، د. عيسى علي العاكوب: ٢٦٩.
(٣) شرح المفصل: ٤/ ٢٨٩.
(٤) البقرة: من الآية ٤٣.
(٥) البقرة: من الآية ٢٨٢.
(٦) المائدة: من الآية ١٠٥.
(٧) البقرة: من الآية ٨٣.
(٨) علم المعاني: ٧٥، ٧٦.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان مجازية عديدة، منها: الدعاء، والإرشاد، والتهديد، والتعجيز، والتنبيه، والتأديب، والتعجب [١].

ويُعدّ النفي أحد الأغراض المجازية التي خرج إليها أسلوب الأمر في سياق نفي الشّرك بالله تعالى وذلك في (٢٠ موضعًا) [٢] بحسب استقرائي، كقوله تعالى: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ [٣]، إذ ورد هذ الأمر أكثر من مرة في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والرسل على اختلاف أماكنهم وأزمنتهم، وهذا يدل على أنّ المرسل واحد وهو الله تعالى، و الحكمة من ارسالهم واحدة، ودعوتهم كانت واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له [٤].

ففي قوله: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ) " إثبات ونفي فيجب أن يتواردا على مفهوم واحد حتّى يستقيم الكلام فكان المعنى اعبدوا الله ما لكم من معبود غيره حتّى يتطابق النّفي والإثبات، ثمّ ثبت بالدّليل أنّ الإله ليس هو المعبود وإلّا لوجب كون الأصنام آلهة، وأن لا يكون الإله إلهًا في الأزل لأجل أنّه في الأزل غير معبود فوجب حمل لفظ الإله على أنّه المستحقّ للعبادة " [٥]، وهذا يكشف لنا دلالة الأمر بالعبادة قبل نفي الشريك عنه جل وعلا.

فمعنى قوله: (اعبدوا الله): أي اعبدوا الملك الأعلى غير مشركين به شيئاً؛ لأنه واحد، وأغرق في النفي فقال : (مالكم من إله غيره) [٦].

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية: ١٣٨، و أمالي ابن الشجري: ١/ ٤١٠، وجواهر البلاغة: ٧١، وعلم المعاني: ٧٧، والمفصل في علوم البلاغة: ٢٧٠، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٢٦٠.

(٢) ينظر: النساء: ٣٦، والمائدة: ٧٢، ١١٧، والأنعام: ١٠٢، والأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤، ومريم: ٣٦، وطه: ١٤، والأنبياء: ٢٥، ٩٢، والمؤمنون: ٢٣، ٣٢، والعنكبوت: ١٦، ٣٦، ومحمد: ١٩.

(٣) ينظر: الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤، والمؤمنون: ٢٣، ٣٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٨- ب: ٢٠٢.

(٥) مفاتيح الغيب : ١٤/ ٢٩٦.

(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣/ ٥٦٣.

وخلاصة المعنى: " اعبدوه؛ لأنّه لم يكن لكم إله غيره حتى يستحق منكم أن يكون معبوداً"[١]

ويرى ابن عاشور أنّ " جملة ما لكم من إله غيره حال من ضمير اعبدوا، أو من اسم الجلالة. والإتيان بالحال؛ لاستقصاد إبطال شركهم بأنّهم أشركوا غيره في عبادته ...، وذلك تشنيع للشّرك" [٢].

وذكر في موضع آخر سبب تعقيب فعل الأمر بقوله: (ما لكم من إله غيره) قائلًا:" حكيت دعوة نوح قومه في أكثر الآيات بصيغة أمر بأصل عبادة الله دون الأمر بقصر عبادتهم على الله مع الدّلالة على أنّهم ما كانوا ينكرون وجود الله ولذلك عقّب كلامه بقوله: ما لكم من إله غيره... فجملة (ما لكم من إله غيره) في موقع التّعليل للأمر بعبادته وهو تعليل أخصّ من المعلّل، وهو أوقع لما فيه من الإيجاز لاقتضائه معنى: اعبدوا الله وحده. فالمعنى: اعبدوا الله الّذي تركتم عبادته وهو إلهكم دون غيره فلا يستحقّ غيره العبادة فلا تعبدوا أصنامكم معه" [٣] وإنعام النظر في الأمر بعبادة الله وحده، يستلزم نفي الشريك عنه جل وعلا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢]، وهو نظير قوله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ ﴾[المائدة: من الآية ١١٧]

فمعنى قوله: (اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)، أي: " وحّدوه، ولا تشركوا به شيئا" [٤].

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: ٤/ ٣٨٦.
(٢) التحرير والتنوير : ١٢/ ٩٥.
(٣) التحرير والتنوير: ١٨/ ٤١.
(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢/ ١٠٥، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٤/ ٩٢، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٤/ ٢٣٧.

ومجيء الأمر على لسان عيسى المسيح (عليه السلام) بعبادة الله تعالى يؤكد نفي الشّرك بالله تعالى واتخاذ المسيح إلهًا لهم، ولا سيَّما أنه (عليه السلام) أمر بأن: اعبدوا الله ربي وربكم. (١) وهو بهذا القول" يستنكر كل لون من ألوان الشّرك، ويفرض الغلوّ في شخصه، ويعتبر نفسه مخلوقًا كسائر مخلوقات الله " (٢).

ومن أمثلة تضمّن الأمر معنى نفي الشّرك بالله عزّ وجلّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[طه: ١٤]، فمعنى قوله : (فاعبدني)، أي: " لا تعبد غيري" (٣).

وقال ابن كثير: أنّ المعنى " وحّدني، وقم بعبادتي من غير شريك" (٤).

وأشار الرازي إلى أن " الفاء في قوله: فاعبدني تدلّ على أنّ عبادته إنّما لزمت لإلهيّته وهذا هو تحقيق العلماء أنّ الله هو المستحقّ للعبادة" (٥).

ومن ثم يكون المعنى ما ذكره المراغي من أنّ قوله: (فاعبدني) " أي: وإذ كنت أنا الإله حقًا ولا معبود سواي، فخصني بالعبادة والتذلل والانقياد في جميع ما كلفتك به" (٦)، فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك له.

ويبدو أنّ القرآن الكريم عدل عن النفي بالأدوات إلى النفي الضمني بأسلوب الأمر؛ لأنه أراد الشيء وضده زيادة في التأكيد والمبالغة، فاستعمل أسلوب الأمر الذي ظاهره إيجاب وباطنه نفي، فالآمر هو الله سبحانه وتعالى، إذ يأمر خلقه على وجه اللزوم والاستعلاء بعبادته وحده، وهذا الأمر يحمل في باطنه معنى آخر لم يصرح به، وهو نفي وجود أو استحقاق غيره بالعبادة، فأسلوب الأمر هنا أدى دلالتين معًا الإخبار والنفي. وذلك أبلغ في التعبير عن نفي الشّرك بالله تعالى،

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/ ٢٨٠.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٤/ ١٠٩.
(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: ٦/ ٢٤٠، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/ ٢٥٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢٤٥.
(٥) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٩.
(٦) تفسير المراغي : ١٦/ ٩٩.

ولاسيَّما أنّ هذا الأمر نجده إمّا مسبوقًا بالنفي الصريح أو متلوًّا به، فيكون إمّا توطئةً للنفي أو توكيدًا له.

ثالثاً : دلالة النفي الضمني بأسلوب النّهي:

النّهي في أصل اللّغة هو طلب الكفّ عن الفعل، جاء في لسان العرب " النّهي: خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهيًا فانتهى وتناهى: كفَّ" [١].

أمّا في اصطلاح النّحويين فهو نفي الأمر، قال سيبويه: " لا تضربْ نفي لقوله: اضربْ " [٢]، وذهب الزّمخشريّ إلى أنّ (لا) تستعمل" لنفي الأمر في قولك: (لا تفعل) ويسمّى النهي" [٣].

والنهي عند البلاغيين" هو طلب الكفّ عن الشّيء على وجه الاستعلاء" [٤]، و" له حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: (لا تفعلْ)، والنّهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشّرط المذكور، فإنّ صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلّا أفاد طلب التّرك فحسب، ثمّ إن استُعمل على سبيل التّضرّع كقول المبتهل على الله (لا تكلني على نفسي) سمّي دعاءً، وإن استعمل في حقّ المساوي الرّتبة لا على سبيل الاستعلاء سمّي التماسًا، وإن استعمل في حقّ المستأذن سمّي إباحة، وإن استعمل في مقام تسخّط التّرك سمّي تهديدًا" [٥].

وقد أجمع النّحويون على أنّ (لا) " تخلص الفعل المضارع للاستقبال؛ لأنّها نقيضة لـ (تفعل) المخلصة للحال" [٦]، وهي تختصّ بالدّخول على الفعل المضارع فتجزمه، قال سيبويه في (باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها): " وذلك: لم، ولمّا، واللّام الّتي في الأمر ...، ولا في النّهي،

(١) : ١٥/ ٣٤٣.
(٢) الكتاب: ١/ ١٣٦.
(٣) شرح المفصل: ٥/ ٣٣.
(٤) شروح التلخيص، القزويني بهاء الدين السبكي: ٢/ ٣٢٤.
(٥) مفتاح العلوم: ١/ ٣٢٠.
(٦) رصف المباني: ٢٦٨.

وذلك قولك لا تفعل ؛ فإنّما هما بمنزلة (لم) ...، واعلم أنّ حروف الجزم لا تجزم إلّا الأفعال، ولا يكون الجزم إلّا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء، كما أنّ الجرّ لا يكون إلّا في الأسماء" [١].

وتدخل على فعل المخاطب والغائب، قال المبرّد: " فأما حرف النّهي فهو (لا)، وهو يقع على فعل الشّاهد والغائب وذلك قولك: لا يقمْ زيد، ولا تقمْ يا رجل، ولا تقومي يا امرأة، فالفعل بعده مجزوم به" [٢] ، وقلّ ما تدخل على فعل المتكلّم (أفعلُ) أو (نفعلُ). [٣]

و" قد تخرج صيغة النّهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السّياق و قرائن الأحوال" [٤]، كالدّعاء، والالتماس، والإرشاد، والتيئيس، والتّمنّي، والتّهديد، والكراهة، والتّوبيخ، والاستئناس، والتّحقير. [٥]

وقد ورد نفي الشّرك بأسلوب النّهي في (٣٠ موضعًا) [٦] بحسب استقرائي.

وقد جاء استعمالها في القرآن الكريم في نهي المخاطب عن الشّرك بالله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٢]

وذكر الزّمخشريّ أنّه سبحانه قدم ذكر ما يوجب شكره على نعمه" ؛ ليكون لهم ذلك معتبرًا، ومتسلقًا إلى النّظر الموصل إلى التّوحيد والاعتراف، ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشّكر،...

(١) الكتاب: ٣/ ٨.
(٢) المقتضب: ٢/ ١٣٤.
(٣) ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك: ٣/ ١٥٦٨.
(٤) البلاغة الواضحة، علي الجارم – مصطفى أمين: ١٨٧.
(٥) ينظر: مفتاح العلوم: ١/ ٣٢٠، وشروح التلخيص: ٣٢٦، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٧٦، ٧٧.
(٦) ينظر: البقرة: ٢٢، والنساء: ٣٦، والأنعام: ١٤، ١٥١، والأعراف: ٣، ويونس: ١٠٥، ١٠٦، وهود: ٢، ٢٦، ويوسف: ويوسف: ٤٠، والنحل: ٥١، والإسراء: ٢، ٢٢، ٢٣، ٣٩، ومريم: ٤٤، والحج: ٢٦، والشعراء: ٢١٣، والقصص: ٨٧، ٨٨، والعنكبوت: ٨، والروم: ٣١، ولقمان: ١٣، ١٥، ويس: ٦٠، وفصلت: ١٤، والأحقاف: ٢١، والممتحنة: ١٢، والذاريات: ٥١، والجن: ١٨.

فيتيقنوا عند ذلك أنّ لا بدّ لها من خالق ليس كمثلها، حتّى لا يجعلوا المخلوقات له أندادًا وهم يعلمون أنّها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر" [١].

وجاء قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون) معطوفًا بالفاء " على الأمر بالعبادة ...، والمراد هنا تسبّبه الخاص وهو حصوله عن دليل يوجبه وهو أنّ الّذي أمركم بعبادته هو المستحقّ للإفراد بها فهو أخصّ من مطلق ضدّ العبادة؛ لأنّ ضدّ العبادة عدم العبادة. ولكن لمّا كان الإشراك للمعبود في العبادة يشبه ترك العبادة جعل ترك الإشراك مساويًا لنقيض العبادة؛ لأنّ الإشراك ما هو إلّا ترك لعبادة الله في أوقات تعظيم شركائهم" [٢].

وأورد الرّازيّ في الآية سؤالًا، مفاده ؛ بماذا يتعلق قول: (فلا تجعلوا لله أندادًا) وأجاب عن ذلك بـ " ثلاثة أوجه: أحدها: أن يتعلّق بالأمر، أي: اعبدوا فلا تجعلوا لله أندادًا، فإنّ أصل العبادة وأساسها التّوحيد. وثانيها: بـ (لعل)، والمعنى خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تثبتوا له ندًّا فإنّه من أعظم موجبات العقاب. وثالثها: بقوله: الّذي جعل لكم الأرض فراشا أي: هو الّذي خلق لكم هذه الدّلائل الباهرة فلا تتّخذوا له شركاء" [٣]، ومآل هذه الأوجه الثلاثة هو النهي عن اتخاذ الأنداد لله تعالى.

ومعنى قوله تعالى: (وأنتم تعلمون) " أنّكم لكمال عقولكم تعلمون أنّ هذه الأشياء لا يصحّ جعلها أندادًا لله تعالى، فلا تقولوا ذلك، فإنّ القول القبيح ممّن عَلِم قبحه يكون أقبح... اعلمْ أنّه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكًا يساويه في الوجود والقدرة والعلم والحكمة، وهذا ممّا لم يوجد إلى الآن، لكنّ الثّنويّة يثبتون إلهين: أحدهما: حليم يفعل الخير، والثّاني: سفيه يفعل الشّرّ، وأمّا اتّخاذ معبود سوى الله تعالى ففي الذّاهبين إلى ذلك كثرة" [٤].

(١) الكشاف: ١/ ٩٣.
(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٣٣٤.
(٣) مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٤٤.
(٤) مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٤٤.

وخلاصة القول أنّ الله تعالى" هو الّذي خصّكم بهذه الآيات العظيمة والدّلائل النّيّرة الشّاهدة بالوحدانيّة، فلا تتّخذوا له شركاء" [١].

وقد بدا جليًا أثر أسلوب النهي في نفي الشّرك بالله جلّ وعلا، ولاسيَّما أنّ النهي بوصفه أسلوبًا طلبيًّا له دلالة واضحة على تنبيه المخاطب بالكفّ عن المنهي عنه، وهذا يستلزم ضمنًا نفي ما نهي عنه، وهو أن يشرك بالله تعالى ويجعل له أندادًا.

وقد يرد النّهي عن الكون على صفة الشّرك، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام: ١٤] [٢]، فقد نهى عن الكون بصفة الشّرك، ولم ينه عن الفعل نفسه .

وذلك أبلغ من النّهي عن الصّفة نفسها؛ لأنّ" النّهي عن كونه منهم أبلغ من النّهي عن نفس الفعل. فقولك: لا تكن ظالمًا، أبلغ من قولك: لا تظلم؛ لأنّ لا تظلم نهي عن الالتباس بالظّلم. وقولك: لا تكن ظالمًا نهي عن الكون بهذه الصّفة. والنّهي عن الكون على صفة، أبلغ من النّهي عن تلك الصّفة، إذ النّهي عن الكون على صفة يدلّ بالوضع على عموم الأكوان المستقبلة على تلك الصّفة، ويلزم من ذلك عموم تلك الصّفة. والنّهي عن الصّفة يدلّ بالوضع على عموم تلك الصّفة. وفرق بين ما يدلّ على عموم، ويستلزم عمومًا، وبين ما يدلّ على عموم فقط، فلذلك كان أبلغ؛ ولذلك كثر النّهي عن الكون. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [٣] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [٤]، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ ﴾ [٥]. والكينونة في الحقيقة ليست متعلّق النّهي" [٦]، وهذا النهي المؤكَّد يقتضي نفي ما نهي عنه، وهو الشّرك بالله تعالى، فالمعنى: " أُمِرتُ

(١) الكشاف: ١/ ٩٥.
(٢) ينظر: الأنعام: ١٤، و يونس: ١٠٥، و القصص: ٨٧.
(٣) الأنعام: من الآية ٣٥.
(٤) يونس: من الآية ٩٥.
(٥) هود: من الآية ١٧.
(٦) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ٣٥.

بالإسلام ونُهِيتُ عن الشّرك." [١]، والمتحصَّلُ نفي جميع أنواع الشّرك بالله تعالى، ونفي عبادة الاصنام، فإن طريق التّوحيد واضحة بيّنة، ومن ساروا عليها فهم على صراط مستقيم !. [٢]

ويأتي تأكيد الفعل المنهيّ عنه بنون التّوكيد الثقيلة؛ للمبالغة في النّهي عنه اعتناء بالتّبرّؤ من الشّرك بالله عزّ وجلّ [٣].

وقد يكون ظاهرُ النّهي عن الشّرك بالله تعالى للمخاطب، والمقصود منه النّهي العامّ للنّاس جميعًا نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[٤]، والمعنى " لا تليق العبادة إلّا له، ولا تنبغي الإلهيّة إلّا لعظمته" [٥] .

قال أبو حيّان:" وهذه المناهي كلّها ظاهرها أنّها للرّسول، وهي في الحقيقة لأتباعه" [٦]، والمقصود بها " إبطال الشّرك وإظهار ضلال أهله؛ إذ يزعمون أنّهم معترفون بإلهيّة الله تعالى وأنّهم إنّما اتّخذوا له شركاء وشفعاء، فبيّن لهم أنّ الله لا إله غيره" [٧].

وغاية هذا الخطاب الإلماح إلى عظمة المنهي عنه، فالنهي عن الشّرك بالله تعالى وإن كان عامًا، غير أنّه تعالى خاطب به النبي (ﷺ) " خصوصًا؛ لأجل التّعظيم، فإن قيل: الرّسول كان معلومًا منه أن لا يفعل شيئًا من ذلك ألبتّة، فما فائدة هذا النّهي؟ قلنا لعلّ الخطاب معه ولكنّ المراد غيره، ويجوز أن يكون المعنى لا تعتمد على غير الله ولا تتّخذ غيره وكيلا في أمورك، فإنّ من وثق بغير الله تعالى فكأنّه لم يكمل طريقه في التّوحيد" [٨].

---

(١) الكشاف: ٢/ ١٠، و مفاتيح الغيب: ١٢/ ٤٩٢.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ٣١٧.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ٣٠٤.
(٤) ينظر: الشعراء: من الآية ٢١٣، و القصص: من الآية ٨٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٦/ ٢٣٥.
(٦) البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٣٣٢.
(٧) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٩٦.
(٨) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٢٠.

ويرى أبو السّعود أنّ الغرض من هذا الأسلوب هو التّهييج والإلهاب وتأكيد أنّ المنهيّ عنه في القبح والشرّ، بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدروه عنه أصلا وهو سيد الموحدين وخاتم النبيين (ﷺ) .[١]

أو قد يكون الغرض من هذا الأسلوب التّثبيت على ما كان عليه من أنّه لا يدعو إلّا الله، أو النّهي عمّا نهي عنه من أن يدعو مع الله إلهًا آخرًا [٢].

وإذا كان النهي عن الشّرك بالله تعالى على هذا النحو من التعبير المؤكد المُعتنى به، فإنّه بلا ريب يستلزم نفيًا ضمنيًّا له، وتأكيدًا على أنّه مما لا يمكن إثباته، وإنّما أوثر الأسلوب الطلبي فيه؛ لزيادة التنبيه والتأكيد على شناعته وقبحه وضرورة تجنبه.

رابعاً : دلالة النفي الضمني بأسلوب الشرط:

الشّرط في اللغة" إلزام الشّيء والتزامه" [٣]، واصطلاحًا هو" تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجًا عن ماهيته، ولا يكون مؤثرًا في وجوده، وقيل: الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه " [٤].

والشرط النحوي" ما دخله شيء من الأدوات المخصوصة الدّالّة على سببيّة الأول للثّاني" [٥] ، فهو" ترتيب أمر على أمر آخر بأداة، وأدوات الشّرط الألفاظ الّتي تستعمل في هذا التّرتيب مثل: إن، ومن، ومهما ." [٦]

وذهب معظم النحويين إلى أنّ الجمل تنقسم على قسمين: اسميّة وفعليّة. [٧]، ومنهم من جعلها على أربعة أضرب فزاد عليها الجملة الشرطية والظرفية، فقال الزمخشري:" والجملة على أربعة

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٧/ ٢٨، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٦/ ١٤٤.
(٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ٥٦٢.
(٣) المحكم والمحيط الأعظم: ٨/ ١٣، وتاج العروس من جواهر القاموس:١٩/ ٤٠٤.
(٤) التعريفات: ١٢٥.
(٥) الكليات: ٥٣١.
(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية :١/ ٤٧٩.
(٧) ينظر: أسرار العربية، أبو البركات الانباري: ٧٥، وشرح جمل الزجاجى، لابن عصفور: ١/ ٤١٧، وشرح الدماميني على مغني اللبيب، بدر الدين الدماميني: ٢/ ٢٨٠، وحاشية الدسوقي، محمد بن عرفة الدسوقي:٢/ ١٣٨.

أضرب فعلية، واسمية، وشرطية، وظرفية. وذلك: زيد ذهب أخوه، وعمرو أبوه منطلق، وبكر إن تعطه يشكرك، وخالد في الدار" [١].

وخالفه في ذلك ابن يعيش فقال: " وهي في الحقيقة ضربان: فعليّة واسميّة؛ لأنّ الشرطيّة في التحقيق مركّبة من جملتين فعليّتين: الشرط فعل وفاعل، والجزاء فعل وفاعل" [٢]، وذهب ابن هشام إلى أن الجملة الشرطية من قبيل الجملة الفعلية [٣].

أمّا تركيب الجملة الشرطية من جزأين وأداة شرط، فقد أشار إليه ابن السراج (ت: ٣١٦هـ) بقوله:" وأما ربطه جملة بجملة، فنحو قولك: إن يقم زيد يقعد عمرو، وكان أصل الكلام، يقوم زيد يقعد عمرو، فيقوم زيد ليس متصلًا بـ (يقعد عمرو)، ولا منه في شيء، فلما دخلت (إن) جعلت إحدى الجملتين شرطًا والأخرى جوابًا" [٤].

فالجملتان بدخول أداة الشرط التي تربط بينهما صارتا كالجملة الواحدة، مثل المبتدأ والخبر فكما أنّ المبتدأ لا يكتمل معناه إلّا بذكر الخبر، فالشرط كذلك لا يستقل معناه إلّا بذكر الجزاء. [٥]

ولأسلوب الشرط أدوات كثيرة تؤدي معناه، منها ما هو جازم كـ : إنْ، و مَن، ومهما، ومنها ما هو غير جازم كـ : لو، ولولا، وإذا. [٦]

ولم أجد في القرآن الكريم أسلوب الشرط يخرج من معناه الحقيقي إلى معنى نفي الشّرك بالله تعالى إلّا مع الأداة (لو) إذ ورد ذلك في (٨ مواضع) [٧] بحسب استقرائي.

---

(١) المفصل في صنعة الإعراب: ٤٤.
(٢) شرح المفصل: ١/ ٢٢٩.
(٣) ينظر: مغني اللبيب : ٥/ ١٤.
(٤) الأصول في النحو: ١/ ٤٣.
(٥) ينظر: شرح المفصل : ١/ ٢٣٠.
(٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٦، وشرح المفصل: ٤/ ٢٦٤، وهمع الهوامع: ٢/ ٥٤٥، والنظام الاشتقاقي في الجملة العربية، أمين لقمان محمد أمين الحبار: ١٦٩.
(٧) ينظر: الأنعام: ٨٨، ١٠٧، ١٤٨، والنحل: ٣٥، والاسراء: ٤٢، والأنبياء: ٢٢، ٩٩، والزمر: ٤٤.

- **لو:**

هي حرف امتناع لامتناع، قال سيبويه" وأما (لو) فلما كان سيقع لوقوع غيره" [١]

وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) :" (لو) تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، تقول: لو حضر زيد لحضرت، فامتنع هذا لامتناع هذا" [٢].

أما بخصوص أنواعها، فقد ذهب ابن هشام إلى أنّها ترد على خمسة أوجه، وما يخص بحثنا هو الوجه الأول، إذ قال:

" أحدها (لو) المستعملة في نحو: لو جاءني لأكرمته وهذه تفيد ثلاثة أمور:

أحدها: الشّرطيّة أعني عقد السّببيّة والمسببية بين الجملتين بعدها.

والثّاني: تقييد الشّرطيّة بالزمن الماضي، وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت (إن)، فإن تلك لعقد السّببيّة، والمسببية في المستقبل ولهذا قالوا: الشّرط بـ (إن) سابق على الشّرط بـ (لو) وذلك؛ لأن الزّمن المستقبل سابق على الزّمن الماضي... ألا ترى أنّك تقول إن جئتني غدًا أكرمتك، فإذا انقضى الغد ولم يجيء قلت لو جئتني أمس أكرمتك.

الثّالث: الامتناع، وقد اختلف النّحاة في إفادتها له وكيفيّة إفادتها إيّاه " [٣].

وعلى أيّة حال اتفق النحويين على أنّ" (لو) تدل على انتفاء الشرط والجزاء معًا في الزمن الماضي دلالة حقيقية، ولكن الخلاف هل انتفاء الجزاء هو الذي دل على إنتفاء الشرط أم بالعكس"[٤].

وذكر عباس حسن أنّ " إفادتها امتناع المعنى الشرطي في الزمن الماضي تقتضي أن شرطها لم يقع فيما مضى، أي: لم يتحقق معناه في الزمن السابق على الكلام، فهي تفيد القطع بأنّ معناه لم يحصل، فكأنّها معه بمنزلة حرف نفي، ينفي معنى الجملة التي يدخل عليها. مع أنّها ليست

(١) الكتاب: ٤/ ٢٢٤.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية: ١١٩.
(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣/ ٣٦٧، ٣٦٨.
(٤) النحو العربي النواحي الوظيفية والدلالية، زين الدين المعبري المليباري الهندي : ٢٧٥.

حرف نفي، ولا يصح إعرابها حرف نفي، بالرغم من أنها في هذا الموضع تؤدي حرف النفي من سلب المعنى في الزمن الماضي" [١].

ومن جملة الآيات التي وردت فيها (لو) للدلالة على نفي الشّرك ضمنًا قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٢]

أقام سبحانه وتعالى البرهان والدليل العقلي على توحيده، وبطلان تعدد الآلهة، ونفى أن يكون هنالك آلهة غيره جلَّ وعلا [٢]، فقال: (لو كان فيهما) " أي: في السماء والأرض، آلهة معبودون يستحقون العبادة، (إلّا الله) معناه: غير الله، وهو صفة للآلهة، على معنى آلهة هم غير الله، كما يزعم المشركون" [٣].

فـ (إلّا) هنا ليست للاستثناء وإنّما" تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها، ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه، والمراد ملازمته لكونها مطلقًا، أو معه حملًا لها على غير كما استثنى بغير حملًا عليها، ولا يجوز الرفع على البدل؛ لأنّه متفرع على الاستثناء، ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب" [٤] هذا من الناحية النحوية. ومن ناحية الدلالة يمتنع الاستثناء هنا " ؛ لأنه لو أثبت الاستثناء لأثبت تعدد الآلهة وهذا يتنافى مع جلال الله تعالى " [٥].

و تدل الآية على أمرين:" أحدهما: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلّا واحدًا. الثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلّا إياه وحده، لقوله: إلّا الله. فإن قلت: لم وجب الأمران؟ قلت: لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف " [٦].

وقد بانت دلالة الشرط الضمنية في الآية الكريمة على نفي الآلهة التي زعم المشركون أنّها تشارك الله تعالى في السموات والأرض.

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن : ٤/ ٤٩١، والهامش رقم (٢) من الصفحة نفسها.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي: ٣/ ٢٣٣، وفتح القدير : ٣/ ٤٧٥، وتفسير المراغي : ١٧/ ١٩، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٩/ ١٩٧.

(٣) التفسير الوسيط للواحدي : ٣/ ٢٣٣، ٢٣٤، وينظر: فتح القدير : ٣/ ٤٧٥.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٤٨.

(٥) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم : ٧/ ٢٧٧.

(٦) التفسير الوسيط لطنطاوي: ٩/ ١٩٨.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾[الإسراء: ٤٢]

فالآية الكريمة " عود إلى إبطال تعدّد الآلهة زيادة في استئصال عقائد المشركين من عروقها، فالجملة استئناف ابتدائيّ بعد جملة ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩] . والمخاطب بالأمر بالقول هو النبي (ﷺ) ؛ لدمغهم بالحجّة المقنعة بفساد قولهم. وللاهتمام بها افتتحت بـ (قلْ) تخصيصًا لهذا بالتّبليغ وإن كان جميع القرآن مأمورًا بتبليغه" [(١)].

فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه (ﷺ) فيقول: قل لهم بشأن الاستدلال العقلي على إبطال تعدد الآلهة الذي يدعونه لإثبات وحدانيته تعالى: (لو كان معه آلهة كما يقولون) [(٢)].

ومعنى الآية " قل يا محمّد لهؤلاء المشركين الزّاعمين أنّ لله شريكًا من خلقه، العابدين معه غيره، ليقرّبهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما يقولون، وأنّ معه آلهة تعبد لتقرّب إليه وتشفّع لديه، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقرّبون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون وساطة بينكم وبينه، فإنّه لا يحبّ ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه، وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه" [(٣)] .

والمراد بقوله: (إذًا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا) الاستدلال على بطلان إلهية كل من اتخذوهم آلهة، فهو يحتمل معنيين، الأول ما ذكره الزمخشري أنّ" (إذا) دالة على أن ما بعدها وهو (لابتغوا) جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ (لو). ومعنى: (لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا) لطلبوا إلى من له الملك، والربوبية سبيلًا بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض" [(٤)] ، ويرى أبو

(١) التحرير والتنوير: ١٥/ ١١٠.
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٥/ ١٧٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن : ٧/ ٣٩٥، و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٥٨، و التحرير والتنوير:١٥ / ١١١، و التفسير الوسيط لطنطاوي : ٨/ ٣٥٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٧٢.
(٤) الكشاف : ٢/ ٦٦٩.

السعود ان هذا المعنى" هو الأظهر الأنسب" [١]. والمعنى الآخر: " أن يكون المراد بالسّبيل سبيل الوصول إلى ذي العرش، وهو الله تعالى، وصول الخضوع والاستعطاف والتّقرّب، أي: لطلبوا ما يوصّلهم إلى مرضاته كقوله: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[الإسراء: ٥٧] " [٢].

فلو كان هناك آلهة غير الله لحدث نزاع و صراع بين الآلهة، ولكن ذلك لم يحدث. فكلمة (لا إله إلّا الله) هي العليا وهي صدق في ذاتها حتى عند من أنكرها من المعاندين والمشركين، والدليل فيها عدم وجود منازع لهذه الدعوى، وبما أنه لم يوجد منازع، فقد ثبت أنه سبحانه وتعالى لا إله إلّا هو وحده لا شريك له [٣].

ويبدو أنّ القرآن الكريم قد وظف أسلوب الشرط بدلالته الضمنية على النفي؛ ليدل على وحدانية الله تعالى، ونفي الشّرك عنه عن طريق الاستدلال العقلي، وإلقاء الحجة الدامغة على زيف دعواهم، وبطلان معتقدهم فهو بهذا الأسلوب يخاطب العقول عسى أن تعي وتعقل أنّه لا إله إلّا إله واحد أحد فرد صمد لا شريك له هو الله سبحانه وتعالى، لما في أسلوب الشرط من قوة في الحجاج الإقناعي والاستدلالي.

خامساً: دلالة النفي الضمني بأسلوب القصر:

القصر لغة " الحبس؛ قال الله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾[٤] " [٥] أو بمعنى " منعت، ومنه: ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾[٦] " [٧].

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٥/ ١٧٤.
(٢) التحرير والتنوير: ١٥/ ١١١.
(٣) ينظر: تفسير الشعراوي: ٢/ ١٠٨٨.
(٤) الرحمن: ٧٢.
(٥) لسان العرب: ٥/ ٩٩.
(٦) الصافات: من الآية: ٤٨.
(٧) الكليات: ٧١٦.

أمّا في الاصطلاح فهو" تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول: مقصورًا، والثاني: مقصورًا عليه، كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: إنما زيد قائم وبين الفعل والفاعل، نحو: ما ضربت إلّا زيدًا" (١)، أو هو" إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه" (٢)، وبعبارة أخرى، القصر" نفي غير المذكور وإثبات المذكور" (٣).

والغاية من القصر لا تخلو من ثلاث: فهو إما لتمكين الكلام وتقريره في الذهن، أو للمبالغة، أو للتعريض. (٤)

ويقسم القصر باعتبار طرفيه على قسمين:

١- **قصر الصفة على الموصوف:** وهو إمّا حقيقي نحو قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [الصافات: من الآية: ٣٥]، إذ قصرت صفة الألوهية على الله سبحانه وتعالى، أو مجازي نحو قولنا: ما شاعر إلّا المتنبي.

٢- **قصر الموصوف على الصفة:** وهو أيضًا إمّا حقيقي نحو: ما زيد إلّا كاتب، إذا شئت عدم اتصافه بصفة أخرى، أو مجازي نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[آل عمران: من الآية: ١٤٤] ، أي: إنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي هو من شأن الإله (٥).

(٥).

ويُقسم القصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد: يخاطب به من يعتقد الشّركة نحو: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الأنعام: من الآية: ١٩] خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهيّة، وقصر قلب: يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلّم له نحو: ﴿ رَبِّيَ

(١) التعريفات: ١٧٥.
(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٦٦.
(٣) الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ١٧٥.
(٤) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٧٠.
(٥) ينظر: مفتاح العلوم: ١/ ٢٨٨، والإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٦٦، والمفصل في علوم البلاغة: ٢٤٧، والبلاغة الواضحة ٢١٧.

﴿ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: من الآية: ٢٥٨] خوطب به نمرود الّذي اعتقد أنّه هو المحيي المميت دون الله، وقصر تعيين: يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصّفة لواحد بعينه ولا لواحد بإحدى الصّفتين بعينها [١].

وللقصر طرائق متعددة أوصلها السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) إلى أربع عشرة طريقة [٢]. ولكن أشهرها في الاستعمال أربع، هي :

أولًا: القصر (بالنفي والاستثناء)، نحو: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [الصافات: ٣٥]، فالمقصور عليه هو المذكور بعد أداة الاستثناء.

ثانيًا: القصر بـ (إنّما) – نحو: ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [الكهف: ١١٠]، والمقصور عليه هو المذكور بعد إنّما ويؤخر وجوبًا. والسبب في إفادتها معنى القصر هو تضمُّنها معنى (ما، وإلا)، كما أنّ للقصر بـ (إنّما) مزيّة على العطف؛ لأنّها تفيد الإثبات للشيء والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنّه يُفهم منه الإثبات أوّلًا، ثم النفي ثانيًا، أو عكسه.

ثالثًا: القصر بالعطف بـ (لا، وبل، ولكن) – نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، والمقصور عليه هو المذكور قبل لا العاطفة والمقابل لما بعدها. ويشترط إفراد معطوفها، وأن تسبق بإثبات، وألّا يكون ما بعدها داخلًا في عموم ما قبلها.

وكقول الشاعر: ما نالَ في دُنياهُ وإنْ بُغيةً لكنْ أخو حزمٍ يَجدُّ ويَعمَل [٣].

ونحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، والمقصور عليه هو المذكور بعد لكن، أو بل العاطفتين . ويشترط أن يسبقهما نفي، أو نهي، وأن يكون المعطوف بهما مفردًا، وألّا تقترن (لكن) بالواو*.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٦٧، وينظر: جواهر البلاغة: ١٧٣، والمفصل في علوم البلاغة: ٢٤٨.

(٢) ينظر: ٣/ ١٦٩- ١٧٤.

(٣) البيت لم يُعرف قائله وهو بلا نسبة في: جواهر البلاغة: ١/ ١٦٨.

* و من العلماء من لا يشترط ذلك، ويرى أنّها قد اقترنت بالواو في بعض التراكيب المعتبرة، وأفادت القصر، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأَحْزَاب : ٤٠]
ينظر: من لطائف ونكات (علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع)، مجموعة من العلماء: ٣٧١.

رابعًا: القصر (بتقديم ما حقُّه التأخير) نحو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] – (أي: نخصُّك بالعبادة والاستعانة) والمقصور عليه: هو المتقدّم. (١)

وقد ورد نفي الشّرك ضمنًا بأسلوب القصر (بالنفي والاستثناء) في (٤٢ موضعًا) (٢) بحسب استقرائي. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥]

فقوله: (وما من إله إلّا الله) " قصر قلب للموصوف على الصفة، وأفرد قاصرًا للصفة في قوله: (وما)، واستغرق في النفي بقوله: (من إله)، أي: معبود بحق لكونه محيطًا بصفات الكمال. ولما كان السياق للتوحيد الذي هو أصل الدين، لفت القول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه وأبين فقال: (إلّا الله) ، وللإحاطة عبر بالاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى ولو شاركه شيء لم يكن محيطًا " (٣).

وأشار الرازي إلى أن في هذه الكلمة، أي: – ما من إله إلّا الله – " إشارةً إلى الدّليل الدّال على كونه مُنزّها عن الشّريك والنّظير، وبيانه أنّ الّذي يجعل شريكًا له في الإلهيّة، إمّا أن يكون موجودًا قادرًا على الإطلاق على التّصرّف في العالم أو لا يكون كذلك، بل يكون جمادًا عاجزًا" (٤).

أي: أنّ المختصّ بالإلهيّة هو الله وحده لا شريك له، وفيه ردّ على القائلين بالثّنويّة والتثليث، وكلّ من يدّعي غير الله إلهًا (٥).

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم : ١/ ٢٨٨– ٢٩٢، وجواهر البلاغة: ١٦٨، ١٦٩، والبلاغة الواضحة: ٢١٧.

(٢) ينظر: البقرة: ١٦٣،٢٥٥، وآل عمران: ٢،٦،١٨، ٦٢، والنساء: ٨٧، والمائدة: ٧٣، والأنعام: ٢٣، ١٠٢، ١٠٦، والأعراف: ١٥٨، والتوبة: ٣١، ١٢٩، و يونس: ٩٠، وهود: ١٤، ويوسف: ١٠٦، والرعد: ٣٠، والنحل: ٢، و الكهف: ١٦، وطه: ٨، ١٤، ٩٨، والأنبياء: ٢٥، ٨٧، والمؤمنون: ١١٦، والنمل: ٢٦، والقصص: ٧٠، ٨٨، و فاطر: ٣، والصافات: ٣٥، و ص: ٦٥، والزمر: ٦، وغافر: ٣، ٦٢، ٦٥، والدخان: ٨، ومحمد: ١٩، والحشر: ٢٢، ٢٣، والتغابن: ١٣، والمزمل: ١٩.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦/ ٤١٣.

(٤) مفاتيح الغيب : ٢٦/ ٤٠٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٣/ ١٩٢.

وفي " ذكر صفة الواحد تأكيد لمدلول (ما من إله إلّا الله) إيماءً إلى ردّ إنكارهم. وذكر صفة القهّار تعريض بتهديد المشركين بأنّ الله قادر على قهرهم، أي: غلبهم." [١]

ومن هنا يتضح معنى أن يكون القصر هنا نفيًا ضمنيًّا؛ لأنّ الجملة تريد إثبات الألوهية لله تعالى وقصرها عليه، وهذا يستلزم بطبيعة الحال نفي الشريك عنه سبحانه وتعالى، ومن ثمّ كان نفيًا ضمنيًّا لا صريحًا.

وورد نفي الشّرك ضمنًا بالقصر بـ (إنّما) في (١١موضعًا) [٢] بحسب استقرائي. ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠]

إذ من المعلوم" أنّ لفظة (إنّما) من صيغ الحصر، فكأنّ جميع ما أوحي إليه منحصر في معنى (لا إله إلّا الله) ... ؛ لأنّ شرائع الأنبياء كلّهم داخلة في ضمن معنى (لا إله إلّا الله) ؛ لأنّ معناها خلع جميع المعبودات غير الله جلّ وعلا في جميع أنواع العبادات، وإفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنّواهي القوليّة، والفعليّة، والاعتقاديّة." [٣]

وذكر ابن عاشور أنّ القصر المستفاد من (إنّما) في الآية هو " قصر إضافيّ للقلب. والمعنى: يوحي الله إليّ توحيد الإله وانحصار وصفه في صفة الوحدانيّة دون المشاركة" [٤].

وقال في موضع آخر " وإذ قد أتليت (أنّما) المفتوحة بالاسم الجامع لحقيقة الإله، وأخبر عنه بأنّه إله واحد، فقد أفادت أنّ صاحب هذه الحقيقة مستأثر بالوحدانيّة، فلا يكون في هذه الحقيقة تعدّد أفراد، فأفادت قصرًا ثانيًا وهو قصر موصوف على صفة. والقصر الأوّل إضافيّ، أي: ما يوحى إليّ في شأن الإله إلّا أنّ الإله إله واحد. والقصر الثّاني أيضًا إضافيّ، أي: في شأن الإله من حيث

(١) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٩٥.
(٢) ينظر: النساء: ١٧١، والأنعام: ١٩، والرعد: ٣٦، و إبراهيم: ٥٢، والنحل: ٥١، والكهف: ١١٠، و طه: ٩٨، والأنبياء: ١٠٨، والعنكبوت: ١٧، وفصلت: ٦، والجن: ٢٠.
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢/ ١٦٩.
(٤) التحرير والتنوير: ١٦/ ٥٤.

الوحدانيّة. ولمّا كان القصر الإضافيّ من شأنه ردّ اعتقاد المخاطب بجملة القصر لزم اعتبار ردّ اعتقاد المشركين بالقصرين...، ثمّ إنّ كلا القصرين كان كلمة جامعة لدعوة الإسلام تقريبًا لشقّة الخلاف والتّشعيب." (١)

وهذا يعني أنّ القصر بـ (أنّما) قد تضمن نفيًا ضمنيًّا قام مقام جملتين، فهو أولًا نفي للإلوهية عن غير الله تعالى ثم إثباتها له عز وجل ثانيًا.

أمّا القصر بالعطف بـ (بل)، وتقديم ماحقه التأخير، فمنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦]

فقوله: (بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين) " كلام معطوف على مقدر دل عليه السياق، أي: فلا تشرك" (٢).

والمراد بذلك ما أمروه به من عبادة آلهتهم، كأنّه قال لهم: إنّكم تأمرونني بأن أعبد غير الله؛ لأنّ قوله: (قل أفغير الله تأمرونّي أعبد) يفيد أنّهم عيّنوا عليه عبادة غير الله، فقال الله تعالى: إنّهم بئسما قالوا ولكن أنت على الضّدّ ممّا قالوا، فلا تعبد إلّا الله، وذلك؛ لأنّ قوله: (بل الله فاعبدْ) يفيد الحصر (٣) ، فـ" لولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك" (٤).

وذكر البقاعي أنّه " لمّا كان التقدير قطعًا: فلا تشرك، بنى عليه قوله: (بل الله)، أي: المتصف بجميع صفات الكمال وحده بسبب هذا النهي العظيم والتهديد الفظيع مهما وقعت منك عبادة ما (فاعبدْ)، أي: مخلصًا له العبادة، فحذف الشرط، عوض عنه بتقديم المفعول " (٥).

(١) التحرير والتنوير: ١٧/ ١٧١– ١٧٢.
(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٨/ ٤٤٣.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢٧/ ٤٧٢.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥/ ٤٨.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦/ ٤٦٩.

وفي هذا القول ردّ على المشركين حيث أمروه بعبادة آلهتهم ، ووجه الرّدّ ما يفيده التّقديم من القصر [١].

وذكر ابن عاشور دلالتين لـ (بل) فقال: " و(بل) لإبطال مضمون جملة (لئن أشركت)، أي: بل لا تشرك، أو لإبطال مضمون جملة (أفغير الله تأمرونّي أعبد) " [٢].

وهنا يتجلى النفي الضمني المستفاد من القصر بالتقديم والتأخير واستعمال (بل) في العطف ؛ ليكشف عن إنكار الإشراك بالله تعالى وإثبات عبادة الله الواحد الأحد.

ويظهر مما سبق بيانه أن القرآن الكريم استعمل أسلوب القصر بطرائقه المتنوعة لنفي الشّرك ضمنًا في المواقف التي تحتاج تأكيدًا ومبالغةً؛ لِما يتضمنه من ثنائية النفي والإثبات التي تجلت كثيرًا في التعبير عن نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم.

سادساً : دلالة النفي الضمني بأسلوب الإضراب:

الإضراب في اللغة " مصدر أضْرَبَ" [٣]، و" أضْرَبَ عنه: أعرضَ" [٤]، و " أضْرَبَ عنه: صرفَه" [٥].

وفي الاصطلاح " هو الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه، نحو: ضربت زيدًا بل عمرًا" [٦] ، أي: " العدول عن الكلام السابق والالتفات إلى ما بعده " [٧].

وبعبارة أخرى هو" أن يجعل المتبوع في حكم المسكوت عنه يحتمل أن يلابسه الحكم وأن لا يلابسه فنحو: (جاءني زيد بل عمرو) يحتمل مجيء زيد وعدم مجيئه. وفي كلام ابن الحاجب-

(١) ينظر: فتح القدير: ٤/ ٥٤٤، و فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٢/ ١٤٢.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٥٩، ٦٠.
(٣) المعجم الوسيط: ١/ ٥٣٧.
(٤) مختار الصحاح: ١٨٣.
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس: ٣/ ٢٤١.
(٦) التعريفات: ٢٩، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ١٥٠.
(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر: ١/ ١١٦.

رحمه الله – أنّ (بل) يقتضي عدم المجيء قطعًا عن المتبوع مع صرف الحكم إلى التّابع وإثباته له." [١]

وللإضراب معنيان عند النّحويين **أحدها**: " إبطال الحكم الأول والرّجوع عنه إمّا لغلط أو لنسيان [٢]، كقولك: (قام زيد بل عمرو) و (ما قام زيد بل عمرو).

والثّاني: إبطال الأول لانتهاء مدّة ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ ﴾[٣]، ثمّ قال: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [٤]، كأنّه انتهت مدّة القصّة الأولى فأخذ في قصّة أخرى؛ ولم يرد أن الأولى لم تكن والإضراب يبطل به الحكم السّابق " [٥].

ويسمي سيبويه النفي والإضراب الانقطاع [٦] ؛ لأنّ الجزء الثاني من الجملة ينقطع فيخالف الجزء الأول.

وفي الإضراب نفي ضمني" ؛ لأن الجزء الأول من الجملة يخالف الجزء الثاني من حيث الإثبات" [٧]، ويقسم إلى نوعين:

١- **الإضراب الإبطالي**: هو العدول عن حكم إلى آخر مع إلغاء الحكم الأول، وإثباته للثاني [٨].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٦]

---

(١) دستور العلماء، القاضي الأحمد نكري : ١/ ٩٣.

(٢) نلاحظ ارتباط هذا النوع من الإضراب ببدل الغلط أو النسيان، فبدل الغلط :هو أن يكون المبدل منه غير مقصود وسبق إليه اللسان فيأتي المتكلم بالبدل سريعا ليصحح الغلط، وهو متعلق باللسان، وأما بدل النسيان: فهو أن يكون المبدل منه مقصودًا ثم يتبين فساد قصده بعد ذكره فيأتي المتكلم بالصواب، وهو متعلق بالقلب، وهو ما لا يمكن وقوعه في القرآن الكريم. ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٣/ ٤، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/ ٣٦٧.

(٣) الشعراء: من الآية: ١٦٥.

(٤) الشعراء: من الآية: ١٦٦.

(٥) الكليات: ١٣٧.

(٦) ينظر: الكتاب: ٣/١٧٣، ١٨٨.

(٧) النفي الضمني في الجملة العربية– أساليبه وأدواته، د. مها محمد عبده (رسالة ماجستير): ١٦٥.

(٨) ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس: ٣٢.

والمعنى:" الملائكة ليس كما قالوا بل هم عباد أكرمهم الله بعبادته" [١] وقد" أعقب حرف الإضراب عن قولهم بالإخبار بأنّهم عباد دون ذكر المبتدأ للعلم به. والتّقدير: بل الملائكة عباد مكرمون" [٢]، فقد ألغى الحكم الأول ونفاه، وأثبت الحكم الثاني، وهو يتضمّن نفي الشّرك بالله تعالى باتخاذ الولد.

٢- **الإضراب الانتقالي:** هو الانتقال من حكم إلى آخر دون إلغاء الحكم الأول [٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام: ٤٠، ٤١]، ومعنى الإضراب في هذه الآية" الانتقال من شيء إلى شيء من غير إبطال لما تضمّنه الكلام السّابق من معنى النّفي؛ لأنّ معنى الجملة السّابقة النّفي، وتقديرها: ما تدعون أصنامكم لكشف العذاب، وهذا كلام حقّ لا يمكن فيه الإضراب يعني الإبطال" [٤].

وللإضراب أدوات تدل عليه، وقد ورد منها في سياق نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم بحسب ما وقفت عليه من آيات (بل) و (أم) على النحو الآتي:

١- **بل:** وهي " لترك شيء من الكلام وأخذ في غيره " [٥]، و" معناها الإضراب عن الأول، والإثبات والإثبات للثاني نحو قولك: ضربت زيدًا بل عمرًا" [٦].

وترد على وجهين بحسب ما تدخل عليه، فإن تلتها جملة كان معنى الإضراب، إمّا الإبطال كقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٦]، وإمّا الانتقال من غرض إلى غرض آخر كقوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[الأعلى: ١٥، ١٦]، وإن

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/ ٦٢٤.
(٢) التحرير والتنوير: ١٧/ ٥٠.
(٣) ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٣٢.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٥١٢.
(٥) الكتاب: ٤/ ٢٢٣، وينظر: معاني الحروف، الرماني: ٧١.
(٦) المقتضب: ١/ ١٢، وينظر: الأصول في النحو: ٢/ ٥٧، واللمع في العربية: ٩٣، وشرح المفصل: ٥/ ٢٦.

تلاها مفرد فهي عاطفة، و إن تقدّمها أمر أو إيجاب، كـ (اضرب زيدًا بل عمرًا)، أو (قام زيد بل عمرو، فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، وإن تقدّمها نفي أو نهي، فهي لتقرير ما قبلها على حاله، وجعل ضدّه لما بعدها . (١)

وذهب الزبيدي إلى أنّ " جميع ما في القرآن من لفظ (بل) لا يخرج من أحد هذين الوجهين، وإن دقّ الكلام في بعضه " (٢) .

وقد تأتي بصيغة (كلا بل) أحيانًا " وتسمى (الإضرابية الإبطالية)، وهي أشد في توكيد الإضراب " (٣)، ومما ورد من ذلك في نفي الشّرك بالله عزّ وجل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[سبأ: ٢٧]

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: (أروني) وكان يراهم ويعرفهم؟ والجواب: أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشّركاء بالله تعالى، وأن يقايس على أعينهم بينه تعالى وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه عزّ جلّ والإشراك به. و(كلّا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة (٤) . أي:" ارتدعوا عن دعوى المشاركة، بل المنفرد بالإلهيّة، هو الله العزيز بالقهر والغلبة، الحكيم بالحكمة الباهرة" (٥) .

وذكر ابن عاشور أنّه قد أعقب طلب تحصيل الإراءة " بإثبات أثرها وهو الرّدع عن اعتقاد إلهيّتها، وإبطالها عنهم بإثباتها لله تعالى وحده، فلذلك جمع بين حرفي الرّدع والإبطال، ثمّ الانتقال إلى تعيين الإله الحقّ على طريقة قوله: ﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴾[الفجر: ١٧] " (٦) .

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٣٦، ومغني اللبيب: ١/ ١٥١، ١٥٢، والقاموس المحيط: ٩٦٩، والكليات: ٢٣٤، و جامع الدروس العربية: ٣/ ٢٤٨، ومعجم متن اللغة، أحمد رضا : ١/ ٣٣١.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٨/ ١٢٠.

(٣) النفي الضمني في اللغة العربية، خولة درويش الشرعة: ٧٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣/ ٥٨٢.

(٥) فتح القدير: ٤/ ٣٧٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٩٧.

وقد ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بأداة الإضراب (بل) في (١٤ موضعًا) [١] بحسب ما وجدته من آيات نفي الشّرك.

فمن إفادتها معنى الإضراب الإبطالي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء: ٥٥، ٥٦]

قال الرازي:" اعلم أنّ القوم لمّا أوهموا أنّه يمازح بما خاطبهم به في أصنامهم أظهر عليه السّلام ما يعلمون به أنّه مجدّ في إظهار الحقّ الّذي هو التّوحيد " [٢].

فـ " (بل) تضرب عما قبلها، وتثبت الحكم لما بعدها" [٣] أي: "قال مضربًا عما بنوا عليه مقالتهم من التقليد. (بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)" [٤] .

وقيل: " أضرَبَ عنهم مخبرًا بأنه جاد فيما قال غير لاعب مثبتًا لربوبية الملك العلام وحدوث الأصنام بقوله: (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ)، أي: التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين) " [٥] .

فأجابهم (عليه السلام) بالإضراب عن قولهم: (أم أنت) من اللّاعبين؛ لإبطال أن يكون من اللّاعبين، وإثبات أنّ ربّهم هو الرّبّ الّذي خلق السّماوات والأرض، أي: وليست تلك الأصنام أربابًا إذ لا نزاع في أنّها لم تخلق السّماوات والأرض بل هي مصنوعة منحوتة من الحجارة، فكان جوابه (عليه السلام) إبطالًا لقولهم: (أم أنت من اللّاعبين) مع مستند الإبطال بإقامة الدّليل على أنّه

(١) ينظر: البقرة: ١١٦، ١٣٥، وآل عمران: ١٥٠، والأنعام: ٤١، والأنبياء: ٢٤، ٢٦، ٥٦، والمؤمنون: ٩٠، والنمل: ٦٠،٦١، والعنكبوت: ٦٣، ولقمان: ٢٥، وسبأ: ٢٧، والزمر: ٦٦.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٥٣.

(٣) تفسير الشعراوي : ١٥/ ٩٥٧٧.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن : ٨/ ٣٤٠.

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢/ ٤٠٨، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٥٤.

جاءهم بالحقّ [١] . فجاء الإضراب الابطالي بـ (بل) للدلالة على ابطال ما هم عليه من الشّرك ، ولتأكيد نفي الشّرك بالله تعالى ضمنًا بإثبات وحدانيته جلّ وعلا.

ومن إفادتها معنى الإضراب الانتقالي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]

والمعنى: " أي: نزّله وأحيا به الأرض الله، يعترفون بذلك لا يجدون إلى إنكاره سبيلًا. ثمّ لمّا اعترفوا هذا الاعتراف في هذه الآيات. وهو يقتضي بطلان ما هم عليه من الشّرك، وعدم إفراد الله سبحانه بالعبادة، أمر رسوله (ﷺ) أن يحمد الله على إقرارهم، وعدم جحودهم مع تصلّبهم في العناد، وتشدّدهم في ردّ كلّ ما جاء به رسول الله من التّوحيد فقال: (قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) " [٢]، أي: " أحمد الله تعالى على إقرارهم؛ لأنَّ ذلك يلزمهم الحجة، ويوجب عليهم التوحيد" [٣].

وقوله تعالى: (بل أكثرهم لا يعقلون) " إضراب انتقال من حمد الله على وضوح الحجج إلى ذمّ المشركين بأنّ أكثرهم لا يتفطّنون لنهوض تلك الحجج الواضحة فكأنّهم لا عقل لهم ؛ لأنّ وضوح الحجج يقتضي أن يفطن لنتائجها كلّ ذي مسكة من عقل فنزّلوا منزلة من لا عقول لهم" [٤] .

فجاء الإضراب الانتقالي بـ (بل) للدلالة على الانتقال إلى ما هو أهم يقينًا، ولتأكيد وتقرير نفي الشّرك بالله تعالى ضمنًا.

٢- **أم:** و" هي من الحروف الهوامل؛ لأنها تدل على الاسم والفعل" [٥]، وهي بمعنى الإضراب وتسمى (أم) المنقطعة. [٦] يقول ابن هشام: " والمنقطعة هي الخالية من ذلك، ولا يفارقها معنى

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧/ ٩٦.
(٢) فتح القدير: ٤/ ٢٤٣، ٢٤٤، وينظر: تفسير المراغي: ٢١/ ١٨.
(٣) التفسير الوسيط للواحدي: ٣/ ٤٢٥.
(٤) التحرير والتنوير: ٢١/ ٣٠.
(٥) معاني الحروف: ٤٥.
(٦) ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٣٤.

الإضراب" [١]، وبقوله الخالية من ذلك " يريد أنها هي التي لا تتقدم عليها همزة التسوية، ولا الهمزة التي يطلب بها وبأم التعيين" [٢] " ولا يفارقها معنى الإضراب إلا أن ما بعدها مظنون وما بعد بل تعيين" [٣] .

وإنما سميت بالمنقطعة " ؛ لأنّها انقطعت مما قبلها خبرًا كان أو استفهامًا، إذ كانت مقدرة بـ (بل) والهمزة على معنى (بل أكذا) " [٤] .

وذكر ابن الشجري أنّها " تكون مقدّرة بـ (بل) مع همزة الاستفهام...، ومن شرائطها أن يقع بعدها الجملة دون المفرد، وأن تأتي بعد الاستفهام بـ (هل) وبعدها الخبر، وقد تأتى بعد الهمزة" [٥] .

.

واختلف النحويون في معناها، فالكوفيون" يحكمون على (أم) المنقطعة بأنّها تكون بمعنى (بل) مجرّدة من الاستفهام، والبصريّون مجمعون على أنّها لا تكون بمعنى (بل) إلاّ بتقدير همزة الاستفهام معها" [٦] .

وترد (أم) لمعانٍ عديدة ذكرها النحويون. [٧]، وأمّا " معنى النفي الضمني بـ (أم): فهناك صلة بين (الهمزة) و (أم) سواء كانت (أم) في الأصل همزة أو لم تكن، كذلك فإننا نرى (أم) المنقطعة بمعنى (بل)، و (بل) تفيد الإضراب والنفي ضمنًا" [٨] .

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٣/ ٣٣٧، وينظر: شرح التصريح على التوضيح : ٢/ ١٧١.
(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/ ٣٣٧، الهامش رقم (٢)
(٣) معجم متن اللغة: ١/ ٢٠٧.
(٤) شرح المفصل: ٥/ ١٧.
(٥) أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٠٧.
(٦) أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٠٨، وينظر: ارتشاف الضرب : ٢/ ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ١٧٢، و الكليات: ١٨٣، ١٨٤.
(٧) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٣٦١، ٣٦٢، وشرح الكافية الشافية: ٣/ ١٢١٩، ومعاني النحو: ٤/ ٢٥٣، ٢٥٤.
(٨) النفي الضمني في اللغة العربية : ١٧٧.

وقد ورد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم ضمنًا بأداة الإضراب (أم) في (٢١ موضعًا) [١] بحسب ما وقفت عليه من استقراءٍ.

وكلها وقعت مقتضية إضرابًا، واستفهامًا، أي: بمعنى (بل)، و(الهمزة) كقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾[الأنبياء: ٢١، ٢٢]

قال الزمخشري:" هذه (أم) المنقطعة الكائنة بمعنى (بل) و(الهمزة)، قد آذنت بالإضراب عما قبلها، والإنكار لما بعدها، والمنكر: هو اتخاذهم آلهة من الأرض هم ينشرون الموتى، ولعمري أنّ من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات" [٢].

وقال الرازي : "وأمّا هذه الآيات فإنّها في بيان التّوحيد ونفي الأضداد والأنداد" [٣]، فلمّا ذكر الله تعالى الدّلائل على وحدانيّته وأنّ من في السموات والأرض كلّهم ملك له، عاد إلى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمّهم وتسفيه أحلامهم، فقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٢١] [٤] .

ثم قال تعالى في السياق نفسه: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٤]

قال ابن عاشور: " أكّد ذلك الإضراب الانتقاليّ بمثله؛ استعظامًا لفظاعته وليبني عليه استدلال آخر كما بُني على نظيره السّابق، فإنّ الأوّل بُنِيّ عليه دليل استحالة من طريق العقل، وهذا بُنِيّ عليه دليل بطلان بشهادة الشّرائع سابقها ولاحقها، فلقّن الله رسوله (ﷺ) أن يقول: هاتوا برهانكم،

(١) ينظر: يوسف: ٣٩، والرعد: ١٦، والأنبياء: ٢١، ٢٤، ٤٣، والروم: ٣٥، وفاطر: ٤٠، والزمر: ٤٣، والشورى: ٩، ٢١، والزخرف: ١٦، والأحقاف: ٤، والطور: ٤٣، والقلم: ٤١، ويونس: ٣١، ٣٥، والنمل: ٦٠، ٦١،٦٢، ٦٣،٦٤.
(٢) الكشاف: ٣/ ١٠٨.
(٣) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٢٦.
(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير:٧/ ٤١٧، ٤١٨.

أي: هاتوا دليلًا على أنّ لله شركاء من شواهد الشّرائع والرّسل." [١]، فإنّ الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر دليل التّوحيد أوّلًا، ثمّ قرّر الأصل الّذي عليه تخرج شبهات القائلين بالتّثنية والتثليث ثانيًا، أخذ يطالبهم بذكر شبهتهم ثالثًا. [٢]

والمعنى: " بل اتّخذوا، وفيه إضراب وانتقال من إظهار بطلان كونها آلهة بالبرهان السّابق إلى إظهار بطلان اتّخاذها آلهة مع توبيخهم بطلب البرهان منهم، ولهذا قال: قل هاتوا برهانكم على دعوى أنّها آلهة، أو على جواز اتّخاذ آلهة سوى الله، ولا سبيل لهم إلى شيء من ذلك، لا من عقل ولا نقل " [٣] .

ومن استعمال (أم) في الإضراب قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦]

قال ابن عاشور: " (أم) للإضراب الانتقالي في الاستفهام مقابل قوله: (أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)، فالكلام بعد (أم) استفهام حذفت أداته لدلالة (أم) عليها" [٤]

والتقدير:" بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، والاستفهام لإنكار الوقوع...، أي: ليس الأمر على هذا حتّى يشتبه الأمر عليهم، بل إذا فكّروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق، وسائر الشّركاء لا يخلقون شيئًا " [٥] .

(١) التحرير والتنوير: ١٧/ ٤٦، ٤٧.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٣٣.
(٣) فتح القدير: ٣/ ٤٧٥، ٤٧٦.
(٤) التحرير والتنوير: ١٣/ ١١٥.
(٥) فتح القدير: ٣/ ٨٩.

وفي الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة؛ إعراضًا عنهم، وتنبيهًا على توبيخهم في جعل شركاء لله، وتعجيبًا منهم، وإنكارًا عليهم. وتضمّن هذا الاستفهام التّهكّم بهم؛ لأنّه معلوم أنّ هذه الأصنام التي اتّخذوها من دون الله أولياء وجعلوها شركاء له تعالى لا تقدر على خلق ذرّة، ولا إيجاد شيء البتّة [1] .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾[النمل: ٥٩، ٦٠]

وردت هذه الآيات وما بعدها في مقام إقرار وحدانية الله تعالى، والرد على المشركين و" بيان أنّه سبحانه وتعالى هو الخالق لأصول النّعم وفروعها، فكيف تحسن عبادة ما لا منفعة منه البتّة" [2]

قال ابن عاشور: " (أم) منقطعة بمعنى (بل) للإضراب الانتقاليّ من غرض إلى غرض مع مراعاة وجود معنى الاستفهام أو لفظه بعدها؛ لأنّ (أم) لا تفارق معنى الاستفهام. انتقل بهذا الإضراب من الاستفهام الحقيقيّ التّهكّميّ إلى الاستفهام التّقريريّ، ومن المقدّمة الإجماليّة وهي قوله: ﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[النمل: ٥٩] إلى الغرض المقصود وهو الاستدلال. عدّد الله الخيرات والمنافع من آثار رحمته ومن آثار قدرته. فهو استدلال مشوب بامتنان؛ لأنّه ذكرهم بخلق السّموات والأرض فشمل ذلك كلّ الخلائق الّتي تحتوي عليها الأرض من النّاس والعجماوات...، وهو استفهام تقريريّ على أنّ الله إله واحد لا شريك له، ولا تقدير في الكلام" [3].

ثم قال سبحانه وتعالى موبّخًا ومقرّعًا لهم: (أإله مع الله)، والمعنى: هل معبود مع الله الذي تقدّم ذكر بعض أفعاله حتى يقرن به، ويجعل شريكًا له تعالى في العبادة، ثمّ أضرب عن تقريعهم وتوبيخهم بما تقدّم، وانتقل إلى بيان سوء حالهم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، فقال: (بل هم

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٣٧١.
(٢) مفاتيح الغيب: ٢٤/ ٥٦٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٠، ١١.

قوم يعدلون)، أي: يعدلون بالله غيره، أو يعدلون عن الحقّ إلى الباطل. [١]، واتضح من ذلك أن المراد من الإضراب بـ (أم) تأكيد وتقرير نفي الشّرك بالله عزّ وجل وإثبات وحدانيته تعالى.

وتبين مما سبق ذكره جمالية التعبير القرآني في توظيف أسلوب الإضراب لنفي الشّرك بالله تعالى ضمنًا بأسلوب بياني بديع يبهر العقول بحسنه وبلاغته، فسبحان الله من مزايا كتاب الله وخفاياه.

سابعاً : دلالة النفي الضمني بأسلوب الاستدراك:

الاستدراك في أصل اللغة هو " طلب تدارك السامع" [٢] ، وفي الاصطلاح هو" رفع وهم عن كلام سابق" [٣] ، بمعنى أنّه " تعقيب الكلام بنفي يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه " [٤]، وذلك" لحفظ الحكم السّابق نفيًا كان أو إثباتًا عن أن يدخل فيه ما بعد لكن، وهو يقتضي مغايرة الكلامين نفيًا وإثباتًا" [٥] .

ومن أدواته (لكنَّ) و" للعرب في لكنّ لغتان: بتشديد النّون مفتوحة، وإسكانها خفيفة" [٦] .

ومعناها الاستدراك وهي" تتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فيستدرك بها النفي بإيجاب، والإيجاب بالنفي. والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ عند الزمخشري، والزركشي والشاهد قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ [الأنفال: ٤٣]، فأكدا أنّ الآية على معنى النفي وتضمن (ما أراكهم كثيرًا)" [٧] .

---

(١) ينظر: فتح القدير: ٤/ ١٦٨.
(٢) التعريفات: ٢١، وينظر: دستور العلماء : ١/ ٧٧.
(٣) التعريفات: ٢١، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٦/ ١٢٦.
(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ٣١٤، الهامش رقم (١)
(٥) دستور العلماء : ١/ ٧٧.
(٦) لسان العرب : ١٣/ ٣٩٠.
(٧) حروف المعاني: ١٩٢، وينظر: شرح المفصل: ٤/ ٥٦١.

وهذا يعني أنّ (لكنَّ) تتضمن نفيًا ضمنيًّا يفهم من سياق الكلام. وقد وردت الأداة في القرآن الكريم تحمل دلالة نفي الشّرك ضمنيًا في (١٣ موضعا) [١] بحسب ما وقفت عليه من استقراءٍ.

فمن استعمالها مثقلة قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٧، ٣٨]

ومعلوم أنّ" (لكنّا هو الله ربّي) أصله (لكن أنا)، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت النونان فكان الإدغام" [٢].

والتقدير: " لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية، ولا أشرك بربّي أحدا، أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له " [٣].

وهذا الاستدراك إنّما جاء على ما قبله وهو الاستفهام الإنكاري، قال أبو حيان: " لم يكن الاستفهام استفهام استعلام وإنّما هو استفهام إنكار وتوبيخ، فهو في الحقيقة تقرير على كفره، وإخبار عنه به؛ لأنّ معناه قد كفرت بالّذي استدرك هو مخبرًا عن نفسه، فقال: (لكنّا هو الله ربّي) إقرار بتوحيد الله وأنّه لا يشرك به غيره" [٤].

ومدار الاستدراك قوله تعالى: (أكفرت)، كأنّه قال لصاحبه: أنت كافر لكني مؤمن موحّد، وقوله: (ولا أشرك بربّى أحدًا) فيه إيذان بأنَّ كفرَه كان بطريق الإشراك [٥].

---

(١) ينظر: المائدة: ٨١، والأنعام: ٣٣، ويونس: ٥٥، ١٠٤، وهود: ١٧، ويوسف: ٣٨،٤٠، والرعد: ١، وإبراهيم: ١١، والنحل: ١٠٦، والكهف: ٣٨، والفرقان: ١٨، والروم: ٣٠.

(٢) الكشاف : ٢/ ٧٢٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٤٣، وينظر: تفسير المراغي : ١٥/ ١٥١، ومحاسن التأويل : ٧/ ٣٤.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ١٧٧، ١٧٨، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٨/ ٥٢.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٥/ ٢٢٢.

فـ" المراد بالكفر هنا الإشراك الّذي من جملة معتقداته إنكار البعث، ولذلك عرف بطريق الموصوليّة؛ لأنّ مضمون الصّلة من شأنه أن يصرف من يدركه عن الإشراك به" [١]، وهذا يدل على أنّ الاستدراك هنا حمل معنى التصريح بنفي الشريك وإثبات الوحدانية .

ومن استعمالها مخففة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤]

الآية الكريمة " خطاب لأهل مكّة، يقول: إنْ كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبيّنه لكم" [٢] .

فالاستدراك الوارد في النص يفيد بأنّ النبي محمد (ﷺ) لا يمكن أن يعبد الشّركاء؛ لأنّه لن يعبد إلّا الله ﴿ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ﴾[يونس: ١٠٤] [٣] .

فالنبي (ﷺ) بدأ بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيهًا لآرائهم أولًا، ثمّ أثبت من الّذي يعبده وهو الله الّذي يتوفّاهم ثانيًا. وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدّالّ على التّوفّي. دلالة على البدء وهو الخلق، وعلى الإعادة، وكان التّصريح بهذا الوصف لما فيه من التّذكير بالموت وإرهاب النّفوس به وصيرورتهم إلى الله بعده، فهو الجدير بأن يُتّقى ويُعبد لا الحجارة الّتي يعبدونها [٤] .

وذكر ابن عاشور أنّ" الجمع بين نفي أن يعبد الأصنام، وبين إثبات أنّه يعبد الله يقوم مقام صيغة القصر لو قال: فلا أعبد إلّا الله، فوجه العدول عن صيغة القصر: أنّ شأنها أن يطوى فيها الطّرف المنفيّ للاستغناء عنه بالطرف المثبت؛ لأنّه المقصود. وذلك حين يكون الغرض الأصليّ

(١) التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢٢.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ١١١.
(٣) ينظر: تفسير الشعراوي :١٠/ ٦٢٤٦.
(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ١١١.

هو طرف الإثبات، فأمّا إذا كان طرف النّفي هو الأهمّ كما هنا وهو إبطال عبادة الأصنام أوّلًا عدل على صيغة القصر إلى ذكر صيغتي نفي وإثبات. فهو إطناب اقتضاء المقام" [1] .

وقد دلّ الاستدراك المفهوم من (لكنَّ) على توكيد نفي الشّرك الذي سبق استعمال (لكنَّ)؛ لأنّ ما بعدها كان إثباتًا لنقيض ما هو منفي قبلها، فالنبي (ﷺ) لا يعبد الذين يعبدون من دون الله تعالى، وإنّما يعبد الله الواحد الأحد.

(١) التحرير والتنوير: ١١/ ٣٠١، ٣٠٢.

توطئة

بعد أن استقرينا النفيَ الصريحَ في الفصل الأول، والنفيَ الضمنيَّ في الفصل الثاني، ووقفنا على دلالتهما، تبيَّن لنا أنّ ثمّةَ ظواهرَ نحويةً في الآيات التي نفت الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم، لا بدّ من استجلاء دلالاتها في التعبير، وتلمُّس جمالياتها البلاغيّة والإبلاغيّة في الخطاب، ومنها: التوكيد، والتقديم والتأخير، والإظهار في مقام الإضمار، والإضمار والتفسير، وتلاحق الأساليب.

فالقرآن الكريم كلامٌ فنيٌّ مقصود، وُضِع وضعًا دقيقًا ونُسج نسجًا مُحْكمًا فريدًا، لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث، ولا يمكن استبدالُ كلمةٍ من كلماته بأخرى، ولا تقديم ما أُخِّرَ أو تأخير ما قُدِّمَ، أو توكيد ما نُزِعَ منه التوكيد، أو عدم توكيدِ ما أُكِّدَ، أو إظهار ما أضمر، أو إضمار ما أظهر[1]، وسنحاول في هذا الفصل أن نتعرَّف بلاغة التعبير الفني الرفيع في ضوء دراسة هذه الظواهر، ونكشف عن دلالاتها في نفي الشّرك بالله تعالى، وإثبات وحدانيّته.

(١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٨، ٩.

أولًا : دلالة التّوكيد:

التّوكيد في اللغة : مصدر من (وَكَّدَ) و"(التّأكيد) لغةٌ في التّوكيد وقد (أكَّدَ) الشّيء ووكَّدَهُ والواو أفصح" [١] يقال:" أَكَّدْتَه تأكيدًا فتأكَّدَ، ويقال على البدل وكّدْتَه، ومعناه التّقوية " [٢] ، وجاء في القرآن الكريم بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: من الآية ٩١].

وذكر ابن يعيش أنّهما لغتان حيث قال معللًا:" اعلم أنه يقال: تأكيدٌ وتوكيدٌ بالهمزة والواو الخالصة، وهما لغتان، وليس أحد الحرفين بدلًا من الآخر، لأنّهما يتصرّفان تصرّفًا واحدًا، ألا تراك تقول: (أكّدَ يؤكِدُ تأكيدًا)، و(وكّدَ يوَكِدُ توكيدًا)، ولم يكن أحد الاستعمالين أغلب، فيجعل أصلًا، فلذلك قلنا: إنّهما لغتان" [٣].

أمّا في الاصطلاح، فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أنّ " حدّ (التأكيد) أن تحقّق باللفظ معنًى قد فهم من لفظٍ آخر قد سبق منك. أفلا ترى: أنه إنما كان (كلّهم) في قولك: (جاءني القوم كلّهم) تأكيداً من حيث كان الذي فهم منه، وهو الشّمول، قد فهم بدءًا من ظاهر لفظ (القوم)، ولو أنّه لم يكن فهم الشمول من لفظ (القوم)، ولا كان هو من موجبه، لم يكن (كلّ) تأكيدًا، ولكان المشمول مستفادًا من (كلّ) ابتداء" [٤].

أمّا الكفوي، فقد عرفه قائلًا:" هو أن يكون اللّفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته" [٥].

وعُرِفَ نحويًّا بأنَّه" تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول " [٦] .

(١) مختار الصحاح: ١٩، وينظر: لسان العرب: ٣/ ٧٤.
(٢) المصباح المنير: ا/ ١٧، و ينظر: مجمع البحرين، فخر الدين الطريحيّ: ٣/ ٨.
(٣) شرح المفصل:٢/ ٢١٩.
(٤) دلائل الإعجاز: ٢٣٠.
(٥) الكليات: ٢٦٧.
(٦) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب: ٣٠، والتعريفات: ٥٠.

والتوكيد نوعان:" إما توكيد بتكرير الاسم، وإما أن يؤكد بما يحيط به" [١] أي: هو إمّا توكيد لفظي أو توكيد معنوي.

" فاللفظيّ يكون بتكرير اللفظ، وذلك نحو قولك: (ضربت زيدًا زيدًا)، فهذا تأكيدٌ لـ (زيد) وحده بإعادة لفظه، و(ضربت زيدًا ضربت زيدًا)، فهذا تأكيد الجملة بأسّرها، كما أكدت المفرد...، وأمّا التأكيد المعنويّ، فيكون بتكرير المعنى دون لفظه، نحو قولك: (رأيت زيدًا نفسه)، و(رأيتكم أنفسكم)، و(مررت بكم كلّكم)" [٢].

والتوكيد اللفظي جارٍ في كل شيء و" ليس عليه بابٌ يحصره؛ لأنّه يكون في الأسماء، والأفعال، والحروف، والجمل، وكلّ كلام تريد تأكيده. تقول في الاسم: (رأيت زيدًا زيدًا)، و(هذا زيدٌ زيدٌ)، و(مررت بزيدٍ زيدٍ)، وفي الفعل (قامَ قامَ)، و(قمْ قمْ) ... وتقول: (ضربت زيدًا، ضربت زيدًا)... و(الله أكبر، الله أكبر)، فتؤكّد الجملة من الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر. وكذلك كلّ كلام تريد تأكيده" [٣].

أمّا التوكيد المعنوي فيأتي على نوعين: الأول: توكيد تخصيص، أي: تخصيص المؤكّد ويتم بلفظين (نفس، وعين) ويضافان دائمًا إلى ضمير يعود على المؤكّد، والغاية منه رفع توهم السامع إذا حذف المتكلم مضافًا، أو أقام المضاف إليه مقامه، والثاني: توكيد عموم أو شمول ويتم بالألفاظ (كل، وجميع، وعامة، وقاطبة، وكافة، وكلا، وكلتا)، والغاية منه رفع توهم السامع أن المتكلم وضع العام موضع الخاص [٤].

وذكر الزمخشري فائدة التوكيد قائلًا:" وجدوى التأكيد أنك إذا كرّرت، فقد قررت المؤكَّد، وما علق به في نفس السامع، ومكّنته في قلبه، وأمطتَ شبهةً، ربّما خالجته، أو توهمت غفلة وذهابًا عمّا أنت بصدده، فأزلته. وكذلك إذا جئت بـ (النّفس) و (العين)، فإنّ لظانّ أن يظنّ حين قلت: (فعل

(١) الأصول في النحو: ٢/ ١٩.
(٢) شرح المفصل: ٢/ ٢١٩، ٢٢٠، وينظر: الكافية في علم النحو: ٣١.
(٣) شرح المفصل: ٢/ ٢٢٢.
(٤) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٢٨٩، والأساليب النحوية عرض وتطبيق، د. محسن علي عطية: ٢٤٢.

زيدٌ) أن إسناد الفعل إليه تجوّزٌ، أو سهوٌ، أو نسيانٌ. و(كلٌّ) (أجمعون) يجديان الشمول والإحاطة" [١] ، فالتوكيد يزيل ظنّ المخاطب من إرادة المجاز، ويؤمن غفلته [٢] .

وقد جرى أسلوب التوكيد في مواضع متعددة من القرآن الكريم بحسب ما يقتضيه المقام وقرائن الأحوال، فمن المعلوم " أنّه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها، فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام. وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد، فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة " [٣].

ومن أمثلة التوكيد اللفظي بتكرار الجملة الاسمية الواردة في سياق نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ١٨]

قد نفى الله عز وجل في الآية الكريمة " ما أضافته إليه النصارى الذين حاجوا النبي عليه السلام – في عيسى – وغيرهم، أنه إله فأخبرهم أنه (لا إله إلاّ هو)، وأن ذلك شهد به هو، وملائكته وأهل العلم من خلقه" [٤].

وقد كرر كلمة التوحيد (لا اله الا الله) مرتين" فإن قيل: ما وجه تكرير (لا إله إلّا هو) في الآية؟

قيل: لما كان منتهى إدراك الإنسان للبارئ تعالى أن يعرف الموجودات. فيعلم أنه ليس إياها ولا مشبّهًا بشيء منها، صار صفات التنزيه له أشرف من صفات التمجيد له، إذ كان عامة صفات التمجيد في ألفاظها مشاركة، يصح وصف العباد بها، ولأجل ذلك عظم ما ورد من صفاته على لفظ النفي،... ثم أبلغ ما يوصف به من التنزيه: (لا إله إلّا هو) فتكريره هاهنا؛ لأمرين: أحدهما: لكون

(١) المفصل في صنعة الإعراب: ١٤٦.
(٢) ينظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٢١.
(٣) التعبير القرآني: ١٢٥.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٢/ ٩٧٤، ٩٧٥.

الثاني قطعًا للحكم، كقولك: أشهد أن زيدًا خارج وهو خارج. والثاني: لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه، إذ قد يوصف بهما المخلوق" (١).

فبيّن تعالى بقوله: (لا إله إلّا هو) في بداية الآية الكريمة" وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها. والملائكة بالإقرار. وأولوا العلم بالإيمان بها والاحتجاج عليها، شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد" (٢).

ثم كرّر التهليل بقوله: (لا إله إلّا هو العزيز الحكيم)" للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة، و ليبني عليه قوله تعالى: (العزيز)، أي: في ملكه (الحكيم) أي: في صنعه فيعلم أنه الموصوف بهما، وقدم العزيز؛ لأنّ العزة تلائم الوحدانية والحكمة تلائم القيام بالقسط فأتى بهما لتقرير الأمرين على ترتيب ذكرهما" (٣).

ونقل لنا مجموعة من المفسرين قول الامام جعفر الصادق (عليه السلام) في تفسير الآية الكريمة، قال (عليه السلام) :" الأولى: وصفٌ وتوحيدٌ، والثّانية: رسمٌ وتعليمٌ. والمعنى: قولوا لا إله إلا هو العزيز الحكيم" (٤).

وفي هذا التكرير" إشارة إلى مزيد الاعتناء بمعرفة أدلته؛ لأن تثبيت المدعي إنما يكون بالدليل، والاعتناء به يقتضي الاعتناء بأدلته" (٥).

فاتضح أن دلالة التكرار اللفظي في الآية الكريمة لتأكيد وحدانية الله تعالى، والعناية بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة، فأكد بأسلوب التوكيد بالتكرار اللفظي، فضلًا عن التأكيد بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء الوارد في كلمة التوحيد .

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ٤٦٦، ٤٦٧.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ٩، وينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ١/ ٣٣٣.
(٣) السراج المنير، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي: ١/ ٢٠٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٤٣، وينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ١/ ٣٣٤، وفتح القدير: ١/ ٣٧٤.
(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي: ٢/ ٥٦.

ومن طرائق التوكيد استعمال نون التوكيد، وهي قسمان: ثقيلة مشددة، وخفيفة ساكنة. وقد جمعها قوله تعالى: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا ﴾ [يوسف: ٣٢] ، وكلاهما مختص بالفعل، ويؤكد فعل الأمر بالنون مطلقاً. وأما المضارع فيؤكد بها وجوبًا، إذا كان مثبتًا دالًا على المستقبل، واقعًا جواب قسم وغير مفصول عن لام القسم بفاصل، وغير مقترن بحرف تنفيس، أو (قد)، وألا يكون مقدم المعمول. وجوازًا في أربع حالات منها: إن وقع بعد ما يفهم الطلب، كـ (لام) الأمر، و(لا) الناهية، وأدوات التحضيض، والعرض، والتمني، والاستفهام. [١]، و" فائدتهما المعنوية الدلالة على تأكيد المعنى وتقويته " [٢].

ومن أمثلة التوكيد بنون التوكيد الثقيلة في سياق نفي الشّرك بالله قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: ١٠٥]

إذ" أكّد الأمر المتقدّم للنّهي عن ضدّه فقال: (ولا تكوننّ من المشركين) وهو معطوفٌ على أقم، وهو من باب التعريض لغيره (ﷺ) " [٣].

وذكر ابن عاشور أنّ " هذا النهي موجه إلى النبي (ﷺ) في الظاهر، والمقصود به إبطال الشّرك وإظهار ضلال أهله، إذ يزعمون أنهم معترفون بألوهية الله تعالى، وأنهم إنما اتخذوا له شركاء وشفعاء" [٤].

فقوله تعالى: (ولا تكوننّ من المشركين) " نهيٌ مؤكّدٌ لمعنى الأمر الّذي قبله تصريحًا بمعنى حنيفًا. وتأكيد الفعل المنهيّ عنه بنون التّوكيد للمبالغة في النّهي عنه؛ اعتناءً بالتّبرّؤ من الشّرك" [٥].

[٥].

(١) ينظر: الكافية في علم النحو: ٥٦، والجنى الداني في حروف المعاني: ١٤١.
(٢) جماليات التوكيد في القرآن الكريم مقاربة تطبيقيّة لسورة يوسف أنموذجا (رسالة ماجستير)، طهراوي المايسة: ٢٤.
(٣) فتح القدير: ٢/ ٥٤٢، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٦/ ١٣٠، و التفسير الوسيط لطنطاوي: ٧/ ١٤٠.
(٤) التحرير والتنوير: ١٩٦/٢٠
(٥) التحرير والتنوير: ١١/ ٣٠٤.

وممن خاض في بيان دلالة الانتقال من أسلوب الأمر إلى أسلوب النهي والتوكيد سيد قطب، إذ قال:" وهنا يتحول السياق من الحكاية إلى الأمر المباشر، كأن الرسول (ﷺ) يتلقاه في مشهد حاضر للجميع. وهذا أقوى وأعمق تأثيرًا. (أقم وجهك للدّين حنيفًا) متوجهًا إليه خالصًا له، موقوفًا عليه (ولا تكوننّ من المشركين) زيادة في توكيد معنى الاستقامة للدين، ولمعنى أن يكون من المؤمنين، عن طريق النهي المباشر عن الشّرك بعد الأمر المباشر بالإيمان" (١).

فتبيّن مما سبق أن دلالة أسلوب التوكيد في الآية الكريمة للمبالغة والاعتناء بالتبرؤ من الشّرك بالله تعالى. ووظف لهذا الغرض نون التوكيد الثقيلة؛ لأنها أبلغ في التوكيد فتكرار النون بمنزلة تكرار التوكيد (٢).

وقد يرد التوكيد بأكثر من مؤكد بحسب ما يقتضيه المقام، وقد كثُر ذلك في سياق نفي الشّرك بالله تعالى؛ لمزيد العناية في إثبات التوحيد ونفي الشريك. ومما ورد منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [الزخرف: ٦٤]، أي: " إن الذي يستوجب الإفراد بالعبادة هو الله" (٣) ، فقد جاء بمؤكدين (إنّ، وضمير الفصل (هو)) ؛ لتوكيد التوحيد ونفي الشّرك بالله تعالى.

وزيادة ضمير الفصل في سورة الزخرف له أثره في المعنى، إذ يحرز بمفهومه معنًى ضروريًا دعا إليه ما تقدم في الآية قبله؛ ليؤكد معنى التوحيد ونفي الشّرك في الآية (٤).

وذكر ابن عاشور أنّ " ضمير الفصل أفاد القصر، أي: الله ربّي لا غيره. وهذا إعلانٌ بالوحدانيّة وإن كان القوم الّذين أرسل إليهم عيسى موحّدين، لكن قد ظهرت بدعةٌ في بعض فرقهم

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ١٨٢٥.
(٢) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ١٦٣، و همع الهوامع: ٢/ ٦١١.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٠/ ٦٦٩٣.
(٤) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفيّ: ١/ ٨٦، ٨٧.

الّذين قالوا: عزيرٌ ابن الله. وتأكيد الجملة بـ (إنّ) ؛ لمزيد الاهتمام بالخبر، فإنّ المخاطبين غير منكرين ذلك " [١].

فالآية الكريمة نفت الشريك عن الله عز وجل صراحة؛ لأنّ عيسى (عليه السلام) " جهر بكلمة التوحيد خالصة لا مواربة فيها ولا لبس ولا غموض: (إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه) ، ولم يقل: إنه إله، ولم يقل: إنه ابن الله. ولم يشر من قريب أو بعيد إلى صلة له بربه غير صلة العبودية من جانبه والربوبية من جانب الله رب الجميع" [٢].

فإن قيل: قد جيء نظير هذا القول في سورة مريم من دون ضمير فصل حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[مريم:٣٦] ، فما الفرق بين التعبيرين ؟

والجواب: أنّ السياق مختلف في السورتين، ففي سورة مريم جاءت الآية بعد ولادة سيدنا عيسى (عليه السلام) وهو لايزال طفلًا في المهد، وليست في مقام اتخاذه إلهًا. أمّا المقام في سورة الزخرف فكان مقام اتخاذ عيسى (عليه السلام) إلهاً؛ لذلك نفى الله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام) ذلك بزيادة ضمير الفصل فقال حصراً: (إنّ الله هو ربّي وربّكم) [٣].

فتبيّن أنّه أكد الآية بمؤكدين؛ لأنّ الكلام كان عن عبادة عيسى (عليه السلام) واتخاذه شريكًا لله تعالى، لذا وجب أن يكون في التعبير القرآني مزيد من القوة والتأكيد لنفي الشريك وإثبات وحدانية الله تعالى .

ومن استعمال أكثر من مؤكد في نفي الشّرك بالله عزّ وجل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢]

(١) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٢٤٨.

(٢) في ظلال القرآن: ٥/ ٣١٩٩، ٣٢٠٠.

(٣) ينظر: التعبير القرآني: ١٤٧.

وردت هذه الآية في سياق الرد على النصارى وإبطال عقيدة التثليث، لذا ناسب أن يرد فيها أكثر من مؤكد. الأول (ضمير الفصل) وفائدته" الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره" [١].

والمؤكد الثاني هو دخول اللام على ضمير الفصل؛ " لزيادة التّقوية الّتي أفادها ضمير الفصل؛ لأنّ اللّام وحدها مفيدة تقوية الخبر، وضمير الفصل يفيد القصر، أي: هذا القصص لا ما تقصّه كتب النّصارى وعقائدهم"[٢].

والمؤكد الثالث هو حرف الجر الزائد (مِنْ)* إذ دخل على كلمة التوحيد؛ لتوكيد الوحدانية ونفي الشّرك، فحرف الجر (مِنْ) أفاد " معنى الاستغراق، والمراد الردّ على النصارى في تثليثهم" [٣].

فإدخال (مِنْ) الاستغراقية على كلمة التوحيد أفاد" تأكيد النّفي، لأنّك لو قلت: عندي من النّاس أحدٌ، أفاد أنّ عندك بعض النّاس، فإذا قلت: ما عندي من النّاس من أحدٍ، أفاد أنّه ليس عندك بعضهم، وإذا لم يكن عندك بعضهم، فبأن لا يكون عندك كلّهم أولى فثبت أنّ قوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) مبالغةٌ في أنّه لا إله إلّا الله الواحد الحقّ سبحانه وتعالى" [٤].

ويرى ابن عاشور أنّ قوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) فيه تأكيدان، أحدهما تأكيد أحقيّة هذا القصص، والثاني تأكيد وحدانيته تعالى، إذ قال: " وقوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) تأكيدٌ لأحقيّة هذا القصص. ودخلت (مِنْ) الزّائدة بعد حرف نفي؛ تنصيصًا على قصد نفي الجنس لتدلّ الجملة على

---

(١) الكشاف: ١/ ٤٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٦٧، وينظر: تفسير الميزان: ٣/ ٢٦٢.

* هذه التسمية (حرف جر زائد) شاعت في الدرس النحوي على سبيل التجوز؛ لأنهم اعتنوا بالجانب الشكلي وأهملوا الجانب الوظيفي ، ولا يجوز استعمالها في التعبير القرآني؛ لأنه كلام الله وهو منزه عن العبث، ولأن لكل حرف أثرًا وظيفيًا لا يكون بدونه ، لذا فإن الاكثرين ينكرون إطلاق هذه التسمية في كتاب الله عز وجل ويسمونه التأكيد، أو الصلة، أو المقحم. (ينظر: البرهان : ٢/ ٧١، و النفي في النحو العربي (رسالة ماجستير)، توفيق جمعات: ٩٤). وخير دليل على عدم زيادتها أنّها زادت على الآية الكريمة معنى التوكيد.

(٣) الكشاف: ١/ ٣٧٠، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن : ٢/ ٢٥٨.

(٤) مفاتيح الغيب: ٨/ ٢٥٠، ٢٥١.

التّوحيد، ونفي الشّريك بالصّراحة، ودلالة المطابقة، وأن ليس المراد نفي الوحدة عن غير الله، فيوهم أنّه قد يكون إلهان أو أكثر في شقٍّ آخر، وإن كان هذا يؤول إلى نفي الشّريك لكن بدلالة الالتزام"[١].

وزاد أنّ ضمير الفصل – أي: المؤكد الثالث – في قوله (وإنّ الله لهو العزيز الحكيم) دخلت عليه لام الابتداء" فأفاد تقوية الخبر عن الله تعالى بالعزّة والحكم، والمقصود إبطال إلهيّة المسيح على حسب اعتقاد المخاطبين من النّصارى، فإنّهم زعموا أنّه قتله اليهود وذلك ذلّةٌ وعجزٌ لا يلتئمان مع الإلهيّة فكيف يكون إلهٌ وهو غير عزيزٍ وهو محكومٌ عليه، وهو أيضًا إبطالٌ لإلهيّته على اعتقادنا؛ لأنّه كان محتاجًا لإنقاذه من أيدي الظّالمين" [٢].

نخلص مما سبق أنه لما كانت الآية للردّ على النصارى وإبطال عقيدتهم جاء التأكيد بأكثر من مؤكد؛ ليدحض به شركهم، ويثبت وحدانيته تعالى، وينفي عنه أي شريك صراحةً " وقد علم من هذا السياق أنهم لما علموا تفرده تركوا المباهلة رهبة منه سبحانه وتعالى؛ علمًا منهم بأنهم له عاصون ولحقّه مضيعون وأن ما يدعون إلهيته لا شيء في يده من الدفع عنهم ولا من النفع لهم، فلا برهان أقطع من هذا" [٣].

ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]

فلما كان النداء لموسى (عليه السلام) بالوحي الإلهي؛ ليخبره برسالته السماوية وعلى رأسها التوحيد، ووجوب عبادته وحده لا شريك له، استعمل أسلوب التأكيد؛ لأن الموقف وخبر الوحي يوقع الشك في نفس السامع للوهلة الأولى، خاصّة وإن موسى (عليه السلام) كان خالي الذهن من الوحي والرسالة ومضمونها، لذا توجب أن يكون التأكيد بأكثر من مؤكد ليرفع الشك عنه ويطمئن قلبه .

(١) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٦٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٦٧.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤/ ٤٤٥.

فأوحى إليه الله تعالى: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) " أي: إني أنا المعبود، لا معبود غيري يستحق العبادة فاعبدني" (١)، وقوله تعالى "بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل" (٢).

وممن ذكر دلالة التوكيد في الآية الكريمة ابن عاشور إذ قال: " وتأكيد الجملة بحرف التّأكيد لدفع الشّكّ عن موسى نزل منزلة الشّاكّ؛ لأنّ غرابة الخبر تعرّض السّامع للشّكّ فيه. وتوسيط ضمير الفصل بقوله: (إنّني أنا الله)؛ لزيادة تقوية الخبر، وليس بمفيدٍ للقصر، إذ لا مقتضى له هنا؛ لأنّ المقصود الإخبار بأنّ المتكلّم هو المسمّى الله...، وجملة لا إله إلّا أنا خبرٌ ثانٍ عن اسم (إنّ)، والمقصود منه حصول العلم لموسى بوحدانيّة الله تعالى" (٣).

فسياق الآية الكريمة محل البحث وما بعدها " يلخص ما يوحى في ثلاثة أمور مترابطة: الاعتقاد بالوحدانية، والتوجه بالعبادة، والإيمان بالساعة، وهي أسس رسالة الله الواحدة ... فأما الألوهية الواحدة فهي قوام العقيدة. والله في ندائه لموسى (عليه السلام) يؤكدها بكل المؤكدات: بالإثبات المؤكد. (إنّني أنا الله)، وبالقصر المستفاد من النفي والاستثناء: (لا إله إلّا أنا) الأولى؛ لإثبات الألوهية لله، والثانية لنفيها عن سواه " (٤).

ومن بديع أسلوب التعبير القرآني أنّه " حين يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن شهادة التوحيد يقول (إنني أنا الله) ولا يقول: إنما نحن الله؛ لأنّه ﷻ. يريد توحيدًا. ففي موقع التوحيد يأتي بضمير الإفراد واحد أحد" (٥) ليتوافق الأسلوب مع عقيدة التوحيد لفظًا ومعنًى.

واتضح من ذلك كيف تضافرت عدة مؤكدات لإثبات وحدانية الله تعالى في معرض الوحي وتبليغ الرسالة الخالدة. وهي من أول القضايا التي نزلت الرسالات السماوية لتبليغها.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٧/ ٤٦٢١.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٢٤.
(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٠٠.
(٤) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٣١.
(٥) تفسير الشعراوي: ١/ ٢٦١، ٢٦٢.

و للدكتور فاضل السامرائي قول في بلاغة التعبير القرآني بأسلوب التوكيد يحسن تثبيته هنا ، إذ قال " إنّ التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطناً آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد، السبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له.... كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في كل القرآن، فجاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن . وليس فيها إلا العجيب . ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشاً مقراً بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه فضلاً الإتيان بمثله " (١).

ويتبيّن مما سبق ذكره أن أسلوب التوكيد قد ورد بتراكيب عدة في أغلب الآيات الواردة في سياق نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم؛ لأنّ نفي الشّرك بالله تعالى وإيجاب عبادته وحده لا شريك له هو أصل الدين الإسلامي الذي تتفرع عنه باقي الأصول والعبادات؛ لذا وجب العناية والاهتمام به وتأكيده بأكثر من مؤكد ولاسيَّما أنَّ أغلب الخطاب كان موجهًا إلى المشركين والمعاندين في سياق الرد عليهم وإبطال معتقداتهم.

ولم يكن للتوكيد المعنوي نصيب في الآيات الواردة في سياق نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم، ويبدو أن سبب ذلك هو أنَّ ألفاظ التوكيد المعنوي (نفسه، عينه، أجمع، أجمعون، جمعاء، جمع، كلهم، كلاهما، و كلتاهما) تحمل معنى النظير، والمثل، والتعددية ، وهذه المعاني لا تتناسب مع إثبات الوحدانية ونفي الشّرك عنه سبحانه وتعالى.

ثانياً : دلالة التقديم والتأخير:

(١) التعبير القرآني: ١٢٥.

يقال "تَقدّمَهُ وتَقدَّمَ عليه، ومنه: قادمة الرّحل: نقيض آخرته" [١]، و" في أسماء الله تعالى المقدّم: هو الّذي يقدّم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن اسْتحقّ التّقديم قدّمه" [٢]، والتأخر خلاف التّقدّم [٣].

ويبدو أنّ التقديم والتأخير في أصل اللغة متناقضان؛ " إذ يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه، وبالمعنى نفسه انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، إذ اعتاد العرب تقديم ماحقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته" [٤]، وذلك يجعل" اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها؛ لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة " [٥] .

وفي الاصطلاح عُرِف التقديم بأنّه " تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة، حقه أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد" [٦]، وهذا ما يؤدي إلى تغيير في بنية التراكيب الاصلية فيكسبها حريةً، ولكنها حرية غير مطلقة.

وقد تحدّث النحويون عن التقديم والتأخير، وأوّل من ذكر الغرض من التقديم سيبويه، فقال بعد أن ذكر الفاعل والمفعول " كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمّانهم ويعْنيانهم" [٧]، فجعل الغرض من التقديم العناية والاهتمام.

وأدرك عبد القاهر الجرجاني الوظيفة التي يؤديها التقديم والتأخير في الكلام فقال فيه: " هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيدُ الغاية، لا يزال يفْترُّ لك عن بديعه، ويفْضي

(١) أساس البلاغة: ٢/ ٥٨.
(٢) لسان العرب: ١٢/ ٤٦٥.
(٣) ينظر: لسان العرب: ٤/ ١٢.
(٤) التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب (أطروحة دكتوراه)، زينة غني عبد الحسين الخفاجي، ٩.
(٥) الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي البغدادي:١٨٩.
(٦) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د. عز الدين علي السيد: ١٣٤.
(٧) الكتاب: ١/ ٣٤.

بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسْمعه، ويلْطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك، أن قُدِّمَ فيه شيء، وحُوِّلَ اللفظ عن مكانٍ إلى مكان" [١] .

وللتقديم والتأخير في أسلوب النفي دلالات بلاغية عميقة، تحمل في طياتها فروقًا دقيقةً في خطاب المتلقي [٢] .

ويمكن تقسيم التقديم والتأخير على قسمين:

الأول: تقديم اللفظ على عامله كتقديم المفعول به أو الحال على الفعل ، وغير ذلك.

والآخر: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل والمعمول كتقديم (التوحيد) على (التسبيح)، وتأخير (التوحيد) عن (الربوبية)، وغير ذلك [٣].

ودراستنا هذه تعنى بالقسم الأول دون الثاني؛ لأنها في ضوء الدلالة النحوية.

ويُظهِر استقراء التقديم والتأخير الذي جاء في سياق نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم أنّه ورد بأنحاءٍ ثلاثة هي:

١- **تقديم المفعول به:** ومما جاء من هذا التقديم في سياق نفي الشّرك بالله تعالى قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي** ﴾[الزمر: ١٤] وقوله تعالى: ﴿ **بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٦]

فقدم المفعول به وهو لفظ الجلالة (الله) على فعل العبادة (أعبد)، وقد جعل ابن الأثير الغرض البلاغي من هذا التقديم (الاختصاص)، " فإنَّه إنَّما قيل: (بل الله فاعبد)، ولم يقل (بل اعبد

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦.
(٢) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٢٤، والتقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب: ١٢٢.
(٣) ينظر: التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي : ٤٩، ٥١ .

الله) ؛ لأنّه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال: (بل اعبد) لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء" [١]

والمقصود بالاختصاص: " اختصاص المفعول بالفعل المتعقب له" [٢].

وذهب ابن عاشور إلى أنه لإفادة القصر" وتقديم المعمول على فاعبدْ؛ لإفادة القصْر....، أي: أعبدْ الله لا غيره، وهذا في مقام الرّدّ على المشركين" [٣].

وفي السياق نفسه ورد قوله تعالى: ﴿ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٤]، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥] ، أي: تخصونه بالعبادة، وهذا مما يفيده تقديم المفعول به على الفعل [٥].

وقد ذكر أبو حيان أنّ الغرض البلاغي للتقديم هنا هو الاهتمام والتعظيم" و(إيّا) هنا مفعولٌ مقدّمٌ، وقدّم لكوْن العامل فيه وقع رأس آيةٍ، وللاهتمام به والتّعظيم لشأنه، لأنّه عائدٌ على الله تعالى... ، وهذا من المواضع الّتي يجب فيها انْفصال الضّمير، وهو إذا تقدّم على العامل أو تأخّر، لمْ ينفصل إلّا في ضرورةٍ" [٦]

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ تقديم المفعول في قوله تعالى: (الله فاعبدْ) وفي قوله: (إيّاه تعبدون) للاختصاص " فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك؛ لأن العبادة مختصة بالله تعالى" [٧]

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٣٦، وينظر: علم المعاني: ١٤٢.
(٢) الإكسير في علم التفسير: ١٩٠.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٦٠.
(٤) البقرة: من الآية: ١٧٢، والنحل: من الآية: ١١٤، وفصلت: من الآية: ٣٧.
(٥) ينظر: الكشاف: ١/ ٢١٤، و مفاتيح الغيب: ٥/ ١٩١، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/ ١١٩، و فتح القدير: ١/ ١٩٥.
(٦) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ١١٠.
(٧) التعبير القرآني: ٤٩.

فاتضح بذلك أنّ دلالة تقديم المفعول به؛ لاختصاص العبادة بالله تعالى دون غيره، ولو لم يتقدم المفعول به لجاز إيقاع فعل العبادة على أي مفعول شاء.

ومما ورد فيه التقديم والتأخير في النفي الضمني بأسلوب الاستفهام، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾[الأنعام: ١٤]، و ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[الأنعام: من الاية٤٠]، و﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[الزمر ٦٤]

وقد قدم المفعول (غير الله) على الفعل (أتخذ، وتدعون، وأعبد) في الآيات الثلاث فكان الإنكار مسلطًا على اتخاذ (غير الله وليًا، ودعوة غير الله ، وعبادة غير الله). وقد ذهب الجرجاني إلى أنّ تقديم المفعول " يقتضي أنْ يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع مِنْ أن يكون، بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل... ، ومن أجْل ذلك قدّم (غير) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ [الأنعام: ١٤] وقوله عزّ وجل: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٠]، وكان له من الحسن والمزيّة والفخامة، ما تعلم أنه لا يكون لو أخّر فقيل: (قلْ أأتخذ غير الله وليًا). و (أتدعون غير الله؟)، وذلك؛ لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليًا؟ و أيرْضى عاقلٌ مِنْ نفسه أنْ يفعل ذلك؟ و أيكون جهلٌ أجهل وعمى أعمى من ذلك؟ ، ولا يكون شيءٌ من ذلك إذا قيل: (أأتّخذ غير الله وليًا). وذلك؛ لأنّه حينئذٍ يتناول الفعل أن يكون فقط، ولا يزيد على ذلك" [(١)]، وتبيّن من ذلك أنّ دلالة تقديم المفعول هنا؛ لتسليط الإنكار على عبادة غير الله، أو اتخاذ غيره تعالى وليًّا ، ولمزيد من العناية بنفي الشّرك بالله تعالى.

٢- **تقديم متعلق الفعل:** ومما ورد من هذا التقديم والتأخير في سياق نفي الشّرك بالله عزّ وجل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٩]

والغرض البلاغي من هذا التقديم هو تقوية الحكم وتقريره فإنه تعالى بقوله: (وهم بربهم لا يشركون) لا يريد أن غيرهم يشركون، ولا التعريض بأناس آخرين لا يؤمنون بالله وحده، ولكنه يريد أن يقرر في ذهن السامع ويحقق أنهم لا يشركون بالله، فتقديم شبه الجملة (بربهم) على ما يتعلق به

(١) دلائل الإعجاز: ١٢٢، وينظر: من بلاغة القرآن، أحمد البدويّ: ٩١.

وهو الفعل (يشركون) أدى إلى تقوية الحكم وتقريره. وبهذا يتضح أن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) أبلغ في تأكيد نفي الإشراك مما لو قيل: (والذين هم لا يشركون بربهم) [(١)].

٣- **تقديم الخبر**: ومن بلاغة تقديم الخبر في سياق نفي الشّرك بالله جلّ وعلا قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ** ﴾ [الإخلاص:٤]

إذ قدّم خبر الفعل الناقص على اسمه، وقدم شبه الجملة على متعلّقها " وتقديم خبر (كان) على اسمها للرّعاية على الفاصلة وللاهتمام بذكر الكفؤ عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلى السّمع. وتقديم المجرور بقوله: (له) على متعلّقه وهو (كفواً)؛ للاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحدٍ له، فكان هذا الاهتمام مرجحًا تقديم المجرور على متعلّقه وإن كان الأصل تأخير المتعلّق إذا كان ظرفًا لغوًا" [(٢)].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ﴾ [الشورى: من الآية ١١] حيث تقدم خبر ليس (مثله) على اسمها (شيء) [(٣)]، وفي هذه الآية عدة أوجه" أحدها – وهو المشهور عند المعربين– أنّ الكاف زائدةٌ في خبر ليس، و(شيءٌ) اسمها. والتقدير: ليس شيءٌ مثله...، ولولا ادّعاء زيادتها للزم أنْ يكون له مثْل. وهو محالٌ " [(٤)].

وللراغب في مفرداته كلام لطيف يحسن إثباته هنا، إذ قال: " هو أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ النّدَّ يُقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشّبه يقال فيما يشارك في الكيفيّة فقط، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمّيّة فقط، والشّكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط، والمثْل عام في جميع ذلك، ولهذا لمّا أراد الله تعالى نفي التّشبيه من كلّ وجه خصّه بالذّكر فقال:

---

(١) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٣٨، وعلم المعاني: ١٣٨، ١٣٩.

(٢) التحرير والتنوير:٣٠/ ٦٢٠.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسيّ :٢/ ٦٤٥، والتبيان في إعراب القرآن، العكبري:٢/ ١١٣١ ، وإعراب القرآن وبيانه : ٩/ ١٥.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: ٩/ ٥٤٤.

(ليس كمثْله شيْءٌ) [الشورى: ١١] وأما الجمع بين الكاف والمثل، فقد قيل: ذلك لتأكيد النّفي؛ تنبيهًا على أنّه لا يصحّ استعمال المثل ولا الكاف، فنفى بـ (ليس) الأمرين جميعًا" [١].

وأشار الشوكاني إلى أنّ "المراد بذكر المثل هنا: المبالغة في النّفي بطريق الكناية، فإنّه إذا نفي عمن يماثله كان نفيه عنه أولى. كقولهم: مثْلك لا يبخل، وغيرك لا يجود" [٢].

وذكر ناصر مكارم الشيرازي " أنّ هذا الجزء من الآية يتضمّن حقيقة أساسية في معرفة صفات الله الأخرى، وبدونها لا يمكن التوصّل إلى أي صفة من صفات الله، لأنّ أكبر منزلق يواجه السائرين في طريق معرفة الله يتمثل في (التشبيه) حيث يشبهون الخالق جلّ وعلا بصفات مخلوقاته، وهو أمر يؤدي للسقوط في وادي الشّرك! " [٣].

وذهب أحد المحدثين إلى أن العرب آثرت تقديم (مثل) و (غير) إذا استعملا في إثبات الحكم على سبيل الكناية لا على سبيل التعريض بأحد، وأنَّ الغاية التي يحققها تقديمهما هي أنَّ التقديم للتقوية ملائم للكناية من حيث إنها هي أيضًا تفيد تقوية الحكم وتثبيته، إذ هي تفيد إثبات الحكم بالانتقال من الملزوم إلى اللازم فإثبات الحكم فيها كإثبات الدعوى بالدليل والبرهان، فالتقديم والكناية هنا يتضامنان في إثبات الحكم بالطريق الأبلغ وهو طريق التقرير والتثبيت [٤].

وقد تبيّن مما سبق أن الأغراض البلاغية التي خرج إليها التقديم والتأخير في هذا القسم هي الاختصاص والعناية والاهتمام والتأكيد، فقد ذكر الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ) " أنَّ العرب مهما اعتنت بشيء أو قصدت به قصد زيادة من تأكيد أو تشريف قدمته، أو قدمت ضميره، وليس من كلامهم إجراء هذه الاغراض مجرى غيرها، فلكل مقام مقال ألا ترى قول قائلهم: إياك أعني وقول مجاوبه: وعنك أعرض." [٥]، فالتعبير القرآني تعبير مقصود، وضع كلّ لفظٍ فيه وضعًا فنيًّا مقصودًا، ولم

(١) المفردات في غريب القرآن: ٧٥٩.
(٢) فتح القدير: ٤/ ٦٠٥.
(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٥/ ٤٧٦.
(٤) ينظر: أساليب بلاغية ، د. أحمد مطلوب: ١٧٠، والتقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب: ١٤٠.
(٥) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل :١/ ٥٧.

يتقدم فيه لفظ أو يتأخر عن رتبته إلا لغرض يقتضيه المقام. وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كله، ونظر إليه نظرة واحدة شاملة. (١)

ثالثاً : دلالة الإظهار في مقام الإضمار:

الإظهار في أصل اللغة من " (ظَهَرَ) الظّاء والهاء والرّاء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلّ على قوّةٍ وبروزٍ " (٢) ، والظاهر" خلاف الباطن؛ ظهر يظهر ظهوراً، فهو ظاهرٌ وظهير...، والظاهر: من أسماء الله عزّ وجلّ؛ وفي التّنزيل العزيز: ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ ﴾(٣) " (٤).

وفي الاصطلاح : هو إظهار اللفظ في الموضع الذي يغني فيه الضمير عنه؛ لنكتة يبتغيها المتكلم (٥).

والإضمار في أصل اللغة من " (ضَمَرَ) الضّاد والميم والرّاء أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على دقّةٍ في الشّيء، والآخر يدلّ على غيبةٍ وتستّرٍ " (٦)، ويُقال: " أضمرت الشّيء: أخفيته" (٧).

و الإضمار في الاصطلاح: يراد به إسقاط الشيء لفظًا لا معنى، وبمعنى آخر ترك الشيء مع بقاء أثره (٨).

---

(١) ينظر: التعبير القرآني: ٧٤.
(٢) مقاييس اللغة : ٣/ ٤٧١.
(٣) الحديد: من الآية ٣.
(٤) لسان العرب: ٤/ ٥٢٣.
(٥) ينظر: مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت: ١١، والإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (رسالة ماجستير)، إدريس محمد أبكر محمد: ٩٩.
(٦) مقاييس اللغة : ٣/ ٣٧١.
(٧) لسان العرب : ٤/ ٤٩٢.
(٨) ينظر: التعريفات: ٢٩، و الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: ١٠٢.

وقد جرى هذا الأسلوب في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، حيث يريد تربية المهابة في نفوس المؤمنين.

ولهذا يرجع عبد القاهر الجرجاني السر في الإظهار في موضع الإضمار إلى أن للتصريح فضلاً على الكناية والتعريض؛ لأنهما لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف، ثم يذكر أن الإظهار لا يخفى على من له ذوق حسن، فضلًا عمّا له من موقع في النفس وباعثٍ للأرحبية لا يكون مع الإضمار(١) .

ويرى الزركشي أنّ الظاهر يوضع في مقام المُضمر" ؛ لزيادة التّقرير، والعجب أنّ البيانيّين لم يذكروه في أقسام الإطناب" (٢).

وقال في موضع آخر " واعلم أنّ الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرةً وأصل المحدّث عنه كذلك والأصل أنّه إذا ذكر ثانيًا أن يذكر مضمرًا للاستغناء عنه بالظّاهر السّابق" (٣) .

والإظهار في مقام الإضمار هو على خلاف مقتضى الظاهر" كما إذا أظهر والمقام مقام الإضمار،... عند وجود أمرين أحدهما: كونه حاضرًا أو في شرف الحضور في ذهن السّامع؛ لكونه مذكورًا لفظًا أو معنى، أو في حكم المذكور لأمر خطابي كما في الإضمار قبل الذّكر، على خلاف مقتضى الظّاهر، بل لقيام قرينة حالية أو مقالية، وثانيهما: أن يقصد الإشارة إليه من حيث أنَّه حاضر فيه، فإذا لم يقصد الإشارة من هذه الحيثيّة يكون حقه الإظهار" (٤).

ويجوز وضع المُظهر موضع المُضمر قياسًا إن كان في موضع التفخيم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾[الكهف: ٣٠] ، أي: لا نضيع أجرهم (٥).

(١) ينظر: دلائل الاعجاز: ٥٥٧.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٨٢.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٨٤.
(٤) الكليات: ١٣٦.
(٥) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ٢٢٠.

ولإقامة الظاهر مقام المُضمر أغراض يدركها المتأمل في كتاب الله –عز وجل– لما فيه من دقائق لغوية تكفل الله تعالى بحفظها، وأعجز الأنام بفيضها ورونق نظمها، وعدها الزركشي سبعة عشر مقصدًا [١].

وأحد هذه الاغراض مما يدخل في سياق نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم قصد التّعظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ [الكهف: ٣٨] " فأعاد ذكر الرّبّ لما فيه من التّعظيم " [٢] .

ويرى السيد الطباطبائي أنّ غرض الإظهار في مقام الإضمار في الآية الكريمة هو التنبيه على علة الحكم، إذ قال:" وقد كرر في الآية لفظ (ربي)، والثاني من وضع الظاهر موضع المُضمر، وحق السياق (و لا أشرك به أحدًا) ، وذلك للإشارة إلى علة الحكم بتعليقه بالوصف كأنه قال: ولا أشرك به أحدًا؛ لأنه ربي ولا يجوز الإشراك به لربوبيته" [٣]، فأظهر (ربي) مع إمكان الإتيان به مضمرًا لبيان علة عدم الإشراك.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[التغابن: ١٣] وفي الآية الكريمة إظهار للفظ الجلالة (الله) مع إمكان الإتيان به مضمرًا في موضعين الأول: قوله: (الله لا إله إلاّ هو)، قال الرازي: " وقوله: الله لا إله إلّا هو يحتمل أن يكون هذا من جملة ما تقدّم من الأوصاف الحميدة لحضرة الله تعالى من قوله: (له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ) [التّغابن: ١]، فإنّ من كان موصوفًا بهذه الصّفات ونحوها: فهو الّذي لا إله إلّا هو " [٤].

وقد ذكر ابن عاشور دلالة الإظهار في مقام الإضمار قائلًا: " وافتتاح الجملة باسم الجلالة إظهارٌ في مقام الإضمار إذ لم يقل (هو لا إله إلّا هو) ؛ لاستحضار عظمة الله تعالى بما يحويه

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٨٥، ٤٩٨، و الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: ١١٧.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٨٥.
(٣) تفسير الميزان: ١٣/ ٣١٠، ٣١١.
(٤) مفاتيح الغيب :٣٠/ ٥٥٥.

اسم الجلالة من معاني الكمال، ولتكون الجملة مستقلّةً بنفسها فتكون جاريةً مجرى الأمثال والكلم الجوامع" [١].

وهذا التعظيم الذي يدل عليه الإظهار في موضع الإضمار يربي المهابة في نفوس المتلقين من أن يشركوا بالله تعالى وهو يستلزم نفي الشّرك عنه سبحانه.

أما دلالة الإظهار في الموضع الثاني من الآية الكريمة في قوله تعالى: (وعلى الله فليتوكّل المؤمنون)، فقد قال فيه: " والإتيان باسم الجلالة في قوله: وعلى الله فليتوكّل المؤمنون إظهارٌ في مقام الإضمار؛ لتكون الجملة مستقلّةً فتسير مسرى المثل، ولذلك كان إظهار لفظ المؤمنون ولم يقل: وعلى الله فليتوكّلوا، ولما في المؤمنون من العموم الشّامل للمخاطبين وغيرهم ليكون معنى التّمثيل"[٢]

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يس : ٧٤]، فأظهر لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار فقال: (واتخذوا من دون الله) ، ولم يقل (واتخذوا من دونه) .

والآية "عطفٌ على جملة (أَوَلَم يَرَوا أَنَّا خَلَقنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَت أَيدِينَا أَنعَامًا فَهُم لَهَا مَالِكُونَ) [يس: ٧١]، أي: ألم يروا دلائل الوحدانيّة ولم يتأمّلوا جلائل النّعمة، واتّخذوا آلهةً من دون الله المنعم والمنفرد بالخلق...، والإتيان باسم الجلالة العلم دون ضمير، إظهارٍ في مقام الإضمار لما يشعر به اسمه العلم من عظمة الإلهيّة إيماءً إلى أنّ اتّخاذهم آلهةً من دونه جراءةٌ عظيمةٌ ليكون ذلك توطئةً لقوله بعده ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾ [يس: ٧٦] ، أي: فإنّهم قالوا ما هو أشدّ نكرًا" [٣].

فإن قيل: قد جاء لفظ الجلالة مضمرًا في قوله: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [الفرقان: من الآية ٣] فما الفرق بين الآيتين ؟

والجواب: " أن آية الفرقان تقدم قبلها اسمه سبحانه مكنياً عنه جل وتعالى في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٨٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٨٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٧٠.

﴿وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ١ – ٢)، فورد اسمه سبحانه مكنيًا عنه ثماني مرات... جرى بعد ذلك في قوله: (واتّخذوا من دونه) مضمرًا على حكم ما تقدم، ولو ورد مظهرًا لم يكن ليناسب، وأما الوارد في سورة يس فتقدم قبل الآية قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[يس: ٦٠]، فلم يكن ورود اسم الله تعالى هنا مضمراً ليناسبه لو قيل: (واتخذوا من دونه) لمّا تقدم قبله ذكر الشيطان وتحذيرهم من عبادته، فجاء كل من الآيتين على ما يجب ويناسب" [(١)].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[الجن: ٢، ٣]

فقال تعالى: (وأنّه تعالى جدّ ربّنا) بإظهار (ربنا) ، والقياس أن يضمر فيقول: (وأنّه تعالى جدّه)؛ للتصريح على الربوبية. إذ " وضع المُظهر موضع المُضمر على تقدير كون الضمير عائدًا إلى تقديره (انه تعالى جده) فوضع المُظهر موضع الضمير؛ للتصريح على الربوبية، فإنّ الربوبية تقتضي أن يكون عظمته وشأنه أعلى وأرفع عن شأن المربوبين، ومعنى جدّ ربنا جلاله وعظمته"[(٢)].

فأظهر (ربنا) مع إمكان الإتيان به مضمرًا لبيان عظمة الربوبية، فمن كان هذا شأنه لا يمكن أن يشرك به غيره .

ومن أغراض الإظهار في موضع الإضمار الأخرى قصد تربية المهابة في ضمير السامع بذكر لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار[(٣)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[البقرة: ١٦٥]

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٢/ ٣٧٤، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/ ٧٠.
(٢) التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري: ١٠/ ٨٣.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٩٠.

فقوله تعالى: (والذين أمنوا أشد حبًا لله) هو من مواضع الإظهار في مقام الإضمار، إذ أظهر لفظ الجلالة (الله) وكان مقتضى الحال إضماره، أي:(أشد حبًا له) إلا أنه أظهره، تفخيمًا لمقام الباري ﷻ [(١)].

وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار؛ لتربية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه. وهو أيضًا؛ لتفخيم الحب والإشعار بعلّته [(٢)].

وفي سياق الآية الكريمة موضع ثانٍ من مواضع الإظهار في مقام الإضمار في قوله: (الذين ظلموا) ، فهُمْ ذاتهم الذين اتخذوا من دون الله أندادًا.

فقد ذكر الزمخشري أنّ " (الّذين ظلموا) إشارة إلى متخذي الأنداد، أي: لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أنّ القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدّة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم" [(٣)] .

وأشار ابن عاشور إلى دلالة الإظهار في مقام الإضمار هنا قائلًا: "والذين ظلموا هم الذين اتخذوا من دون الله أندادًا فهو من الإظهار في مقام الإضمار؛ ليكون شاملًا لهؤلاء المشركين وغيرهم، وجعل اتخاذهم الأنداد ظلمًا " [(٤)].

ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة:٧٢]

(١) ينظر: الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: ١٦٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ١٨٦.

(٣) الكشاف: ١/ ٢١١، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ١٤٨، والبحر المحيط: ٢/ ٨٩.

(٤) التحرير والتنوير:٢/ ٩٣، ٩٤.

فقوله تعالى: (فقد حرّم الله عليه الجنّة) هو من مواضع الإظهار في مقام الإضمار، حيث أظهر لفظ الجلالة (الله) فقال : (حرم الله الجنة) وكان مقتضى الحال إضماره فيكون القول: (حرم الجنة) فيكتفي بالضمير المستتر، وذلك لتقدم ذكر لفظ الجلالة عليه في قوله: (يشرك بالله) .

وعلة ذلك أنّ " إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتهويل الأمر وتربية المهابة" [١]

ومعنى قوله: (إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ)، فقد ذكر الرازي أن" الظّاهر أنه كلام المسيح، فهو داخلٌ تحت القول. وفيه أعظم ردعٍ منه عن عبادته، إذ أخبر أنّه من عبد غير الله منعه الله دار من أفرده بالعبادة، وجعل مأواه النّار. إنّ الله لا يغفر أن يشرك به [٢]. وقيل: هو من كلام الله تعالى مستأنفٌ، أخبر بذلك على سبيل الوعيد والتّهديد" [٣] وهذا " كلام مبتدأ يتضمن بيان أن الشّرك يوجب تحريم دخول الجنة إذا مات صاحبه على شركه" [٤] .

فالمقام مقام تهديد ووعيد، لذا اقتضى إظهار لفظ الجلالة وعدم الإضمار؛ لتربية المهابة في نفوسهم لإقدامهم على الشّرك بالله تعالى.

وللغرض نفسه أظهر لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، فأظهر لفظ الجلالة (الله) في قوله: (فسبحان الله) ولم يقل: (سبحانه) أي: " تنزّه عزّ وجلّ عمّا لا يليق به من ثبوت الشّريك له، وفيه إرشادٌ للعباد أن ينزّهوا الرّبّ سبحانه عمّا لا يليق به" [٥] .

وذكر ابن عاشور دلالة إظهار لفظ الجلالة (الله) مع إمكان الإتيان به مضمرًا قائلًا: " وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار؛ لتربية المهابة" [٦]، فالمقام مقام إرشاد وتأكيد على تنزيهه

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٣/ ٦٦.
(٢) النساء: ٤/ ٤٨.
(٣) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٣٢٩.
(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن :٤/ ٢٥.
(٥) فتح القدير: ٣/ ٤٧٥.
(٦) التحرير والتنوير: ١٧/ ٤٤.

تعالى مما لا يليق به من الصفات بعد أن قدم الدليل على وحدانيته وهو (دليل التمانع)؛ لذا كان الإظهار أبلغ من الإضمار في هذا الموضع .

ومما ورد فيه الإظهار مقام الإضمار لقصد زيادة التقرير[١] ، قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فقال: (لا يشرك بعبادة ربه أحدًا) بعد قوله: (فمن كان يرجو لقاء ربّه) فأظهر في موضع الإضمار، ولم يقل: (لا يشرك بعبادته أحدًا) ، وقد أشار أبو السعود الى دلالة الإظهار موضع الإضمار في الآية الكريمة قائلًا:" وإيثار وضع المُظهر موضع المُضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية؛ لزيادة التقرير، وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتثال فعلًا وتركًا، روي أن جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله (ﷺ) إني لأعمل العمل لله تعالى فإذا اطّلع عليه سرني فقال (ﷺ) : إن الله لا يقبل ما شورك فيه" [٢].

ومن أغراض الإظهار في مقام الإضمار قصد التّنبيه على علّة الحكم [٣] ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٢]

فقال تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادًا) بإظهار لفظ الجلالة (الله) ولم يقل: (فلا تجعلوا له) فأظهر لفظ الجلالة (الله) لتعيين المعبود بالذات" وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير؛ لتعيين المعبود بالذات إثر تعيينه بالصفات، وتعليل الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدانية واستحالة الشّركة والإيذان باستتباعها لسائر الصفات" [٤].

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٨٨.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٢٥١، وينظر: محاسن التأويل: ٧/ ٨٢.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٩٢.
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ٦٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[الرعد: ٣٣]

حيث أظهر لفظ الجلالة فقال: (وجعلوا لله شركاء) وكان الأصل أن يضمر فيقول: (وجعلوا له شركاء)

قال أبو الطيب القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ) في علة ذلك:" (وجعلوا لله شركاء) وفيه وضع المُظهر موضع المُضمر؛ للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه"(١).

ومن المحدثين من يرى أنّ دلالة إظهار لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار" تنصيص على وحدانية الله ذاتًا واسمًا وتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما في هذا الأسلوب من البيان بعد الإيهام " (٢).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فقال تعالى: (واشكروا لله) بإظهار لفظ الجلالة، وكان الظاهر أن يضمر فيقول: (واشكروا لنا) للتنبيه على علة الأمر بتوحيده تعالى.

وقد ذهب أبو حيان إلى أن قوله تعالى: " (واشكروا لله): هذا من الالتفات، إذ خرج من ضمير المتكلم إلى اسم الغائب، وحكمة ذلك ظاهرة؛ لأن هذا الاسم الظاهر متضمن لجميع

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: ٧/ ٦٢، و ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٧/ ٤٨٨، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله العلوي: ١٤/ ٣١٤.

(٢) النظم القرآني في سورة الرعد، د. محمد بن سعد الدبل: ٩٩.

الأوصاف التي منها وصف الأنعام والرزق والشكر، ليس على هذا الإذن الخاص، بل يشكر على سائر الانعامات والامتنانات التي منها هذا الامتنان الخاص" [١].

وذكر ابن عاشور دلالة الإظهار في مقام الإضمار في الآية الكريمة قائلًا: " والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر؛ لأن في الاسم الظاهر إشعارًا بالإلهية فكأنه يومئ إلى ألا تشكر الأصنام؛ لأنها لم تخلق شيئًا مما على الأرض باعتراف المشركين أنفسهم فلا تستحق شكرًا. وهذا من جعل اللقب ذا مفهوم بالقرينة، إذ الضمير لا يصلح لذلك إلا في مواضع. ولذلك جاء بالشرط فقال: إن كنتم إياه تعبدون، أي: اشكروه على ما رزقكم إن كنتم ممن يتصف بأنه لا يعبد إلا الله، أي: إن كنتم هذا الفريق وهذه سجيتكم" [٢].

وذكر السيد الطباطبائي في بيان دلالة إظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى: (واشكروا لله) أنّه" لم يقل: (واشكروا لنا) بل (اشكروا لله) ؛ ليكون أدل على الأمر بالتوحيد " [٣].

فإن قيل: قد جاء لفظ الجلالة مضمرًا في قوله: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي ﴾[البقرة : من الآية ١٥٢] ، و ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾[العنكبوت : من الآية١٧] ، و[سبأ: من الآية : ١٥] فما الفرق بين التعبيرين ؟

والجواب: هو أن المراد من الشكر في الآية الكريمة هو التوحيد، وهذا ما تبيّن من كلام السيد الطباطبائي السابق ذكره، وكنا قد بوبنا غرض الإظهار في موضع الإضمار في الآية الكريمة ضمن قصد التنبيه على علة الحكم، فاتضح من ذلك كله" أنّ إظهار لفظ الجلالة في سياق هذه الآية لبيان أنّ علة الأمر بتوحيده جلّ وعلا هي أنه الله ، فإنّ الألوهية مناط لجميع صفات كماله

(١) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ١٠٩، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢/ ٢٣٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ١٩٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٢/ ١١٤.

(٣) تفسير الميزان: ١/ ٤٢٦.

والتي من جملتها توحيده عزّ وجل عن الشريك ولعل توحيده تعالى أصل هذه الصفات لأنّه جلّ اسمه ﴿ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء: من الآية ٤٨]" [١].

وقد أوضحنا فيما تقدم أغراض الإظهار في مقام الإضمار في الآية الواحدة ، وذكر الزركشي أنّ " وضع الظّاهر موضع المضمر حقّه أن يكون في الجملة الواحدة ... فأمّا إذا وقع في جملتين فأمره سهلٌ، وهو أفصح من وقوعه في الجملة الواحدة؛ لأنّ الكلام جملتان فحسن فيهما ما مالا يحسن في الجملة الواحدة" [٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[الإخلاص: ١، ٢] فقال: (الله الصمد) بعد قوله: (الله أحد)، وفيه غرضان: فمن رجع إلى أسباب نزول هذه السورة جعل الغرض من إظهار لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار قصد زيادة التّقدير، قال الزركشي: " ويدلّ على إرادة التّقدير سبب نزولها وهو ما نقل عن ابن عبّاسٍ أنّ قريشًا قالت: يا محمّد صف لنا ربّك الّذي تدعوننا إليه فنزل: (الله أحد) معناه: أنّ الّذي سألتموني وصفه هو الله ثمّ لمّا أريد تقدير كونه الله أعيد بلفظ الظّاهر دون ضميره" [٣].

والغرض الثاني قصد تربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المؤمنين بذكر لفظ الجلالة (الله) المقتضي لذلك [٤] ، فأظهر لفظ الجلالة (الله) في قوله (الله الصمد) ، و" لم يقل: (هو الصمد) – وإن كان ظاهر الحال يقتضي الإضمار؛ لتقدم المرجع, ولكنه قال: (الله الصمد) فوضع المُظهر

(١) تحليل النص القرآني في سياق الحمد والتسبيح – دراسة في مستويات اللغة، الدكتور حسن عبيد المعموري: ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٥٠١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٨٨.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٩٠.

موضع المُضمر؛ لأن المقام يقتضي الاعتناء بتمكين لفظ الجلالة من النفوس، وعلى هذا الأسلوب جرى القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه، حيث تريد تربية المهابة في نفوس المؤمنين" (١).

وتبيّن مما سبق ذكره بلاغة الإظهار في مقام الإضمار في سياق نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم، وأثره في دلالة الآية التي يرد فيها، وما له من الحسن، وأثره في النفوس لا يتحقق مع الإضمار، فسبحان من تكلّم بهذا القرآن فأحسنه وبيّنه وأدهش العقول بإعجازه وعظمته.

رابعاً : دلالة الإضمار والتّفسير:

الإضمار يعني" الإسقاط، والإخفاء، وهو عند النّحويين: أسهل من التّضمين؛ لأن التّضمين زيادة بتغيير الوضع، والإضمار زيادة من دون تغيير" (٢).

والجملة التّفسيرية هي الجملة" الكاشفة لحقيقة ما تليه، ممّا يفتقر إلى ذلك" (٣)، أو بعبارة أخرى هي " الجملة التي تفسّر ما يسبقها وتكشف عن حقيقته " (٤).

والإضمار والتّفسير: هو أن يتقدم ضمير الغائب، ثم يؤتى بما يفسره، كضمير الشأن أو الضمير المجهول كما يسمّيه الكوفيون، نحو: قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ **[الإخلاص: ١]**، و ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ** ﴾ [المائدة: ٧٢]. وهو من الظواهر الدلالية التعبيرية التي وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم وتفيد التفخيم والتعظيم (٥).

(١) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل الجناجي:١٣١، والنظم البلاغي بين النظرية والتطبيق ، حسن بن إسماعيل الجناجي: ٣١٢.

(٢) الكليات: ١٣٥.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك: ١١٣.

(٤) التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي: ٣٦٣.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦، والجملة العربية والمعنى، د. فاضل السامرائي: ٢٤١، ومعاني النحو:١/ ٦٢.

قال ابن الحاجب (ت: ٦٤٦ هـ) :" ويتقدم قبل الجملة ضمير غائب يسمى ضمير الشأن، يفسر بما بعده ويكون منفصلًا، ومتصلًا بارزًا ومستترًا على حسب العوامل، نحو: هو زيد قائم، وكان زيد قائم، وإنه زيد قائم، وحذفه منصوبًا ضعيف، إلا مع (أن) إذا خففت فإنه لازم" (١).

وقال الرضي: " إنّما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسّر عليه؛ لأنه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسّره بقي مبهمًا مُنْكرًا لا يعرف المراد به حتى يأتي مفسّره بعده، وتنكيره خلاف وضعه" (٢).

فتقدم الضمير على مفسره خلاف مقتضى الظاهر، والغرض من مخالفة مقتضى وضعه هو التفخيم والتعظيم، وقد جاء في دلائل الاعجاز" أنّ الشيء إذا أضمر ثمّ فسّر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار. ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورةً في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾ [الحج: ٤٦] فخامةً وشرفاً وروعةً، لا نجد منها شيئاً في قولنا: (فإن الأبصار لا تعمى)، وكذلك السبيل أبداً في كلّ كلامٍ كان فيه ضمير قصة" (٣).

وذهب العلوي إلى أن " ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولًا، وتفسيره ثانيًا؛ لأن الشيء إذا كان مبهمًا فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه، فلأجل هذا حصلت فيه البلاغة، ولأجل ما فيه من الاختصاص بالإبهام لا يكاد يرد إلا في المواضع البليغة المختصة بالفخامة" (٤).

(١) شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٤٦٤.
(٢) شرح الرضي على الكافية : ٢/ ٤٠٦.
(٣) : ١٣٢.
(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :٢/ ٧٦، وينظر: الكليات: ١٣٦.

وضمير الشأن لا يكون إلّا ضمير غيبة، ولا يفسر إلّا بجملة " ولا يكون ضمير الشأن الحاضر، وإنما يكون ضمير غيبة مفسرًا بجملة بعده خبرية مصرح بجزأيها، فإن كان بلفظ التذكير سمي ضمير الشأن، وإن كان بلفظ التأنيث سمي قصة، وقد يسمى بِهُما" (١).

ويمتاز ضمير الشأن بخاصية دخوله على الأحرف المشبهة بالفعل مما يمكنها من الدخول على الجملة الفعلية، وقد عدّها المستشرق الألماني برجشتراسر من خصائص العربية إذ قال: " ومن خصائص العربية أنّ مبتدأ الجملة الاسمية المركبة ربما كان ضميرًا للغائب لا علاقة له بالجملة الخبرية، ولا راجع إليه فيها وهذا ما سماه النحويون ضمير الشأن نحو: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (٢) ، وأكثر ذلك بعد (إنّ) كما هو في هذا المثال أو بعد (أنّ). وفائدة هذا التركيب أنّه يمكن الناطق من إدخال (إنّ) أو (أنّ) على الجمل الفعلية ... فهذا مما يشهد بمزية العربية شهادة مبينة، فغيرها من اللغات السامية قد يقدم أمثال (إنّ) على الجملة الفعلية، وإن كان موضعها أول الجملة الاسمية فقط. والعربية أعدمت الشواذ وأقصت قاعدة إلحاق إن وأخواتها بالجملة الاسمية فقط، وهي مع ذلك اخترعت وسيلة لقلب الجملة الفعلية اسمية بغير تغيير تركيبها، لكي يمكن إلحاق إنّ وأخواتها بالجمل الفعلية بواسطةٍ لا مباشرةٍ" (٣).

ومما جاء من هذا القبيل في سياق نفي الشّرك بالله تعالى في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢].

فلمّا كان الشّرك أمراً عظيماً عند الله – عز وجل – عبر عنه في الآية الكريمة بأسلوب الإضمار والتفسير، حيث تقدم ضمير الشأن على الجملة المفسرة له المؤلفة من فعل الشرط وجوابه للعناية بالخبر الوارد بعده بقصد تفخيم وتعظيم مضمونها بما يتناسب مع حقيقة ما هم عليه؛ لأن

(١) شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٢٠١.
(٢) الأنعام: من الآية: ٢١
(٣) التطور النحوي: ١٣٩. ومعنى (بواسطة لا مباشرة)، أي: غير مباشرة.

الشّرك كما وصفه الله تعالى ظلم عظيم، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: ١٣] (١) ، والمعنى أنّ الشأن " (من يشرك بالله) أي شيءٍ في عبادته، أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله، فقد حرّم الله عليه الجنّة التي هي دار الموحدين " (٢).

فإنّك ترى في دخول ضمير الشأن على (إنّ) في قوله: (إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ) من الحسن واللطف والفخامة والروعة ما لا تراه لو قيل: (إنّ من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة) (٣).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]

وردت الآية الكريمة في سياق إنذار المشركين الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر وهو أمر عظيم؛ لذا جاء التعبير القرآني بضمير الشأن الداخل على (أنّ) متقدمًا على الجملة الاسمية المفسرة له ليتناسب مع عظمته.

والإنذار بمعنى: " الإعلام... أي: أعلموا الناس (أنّه لا إله إلاّ أنا)، فالضمير للشأن، ومدار وضعه موضعه ادّعاء شهرته المغنية عن التصريح به، وفائدة تصدير الجملة به الإيذان من أول الأمر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريرٍ له في الذهن، فإنّ الضمير لا يفهم منه ابتداءً إلا شأنٌ مبهمٌ له خطرٌ، فيبقى الذهن مترقّباً لما يعقبه، فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن، كأنه قيل: أنذروا أنّ الشأن الخطير هذا وإنباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته، بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضادّه من الإشراك، وذلك كافٍ في كون إعلامه إنذاراً " (٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/ ٢٨١، والجملة التفسيرية في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية (أطروحة دكتوراه)، كريم ذنون الحريثي: ٨١.

(٢) الكشاف : ١/ ٦٦٣، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٣/ ٦٥.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣١٧.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٥/ ٩٦.

والغاية من إيراد الخبر بهذا الأسلوب أنّه " لمّا كان هذا الخبر مسوقًا للّذين اتّخذوا مع الله آلهةً أخرى وكان ذلك ضلالًا يستحقّون عليه العقاب جعل إخبارهم بضدّ اعتقادهم وتحذيرهم ممّا هم فيه إنذارًا" (١).

والمعنى : "أي أنه الحال والشأن (لا إله إلّا أنا) ، وقد ذكر ضمير المتكلم لتربية المهابة، ولفيض جلاله سبحانه وتعالى، والجملة دالة على القصر، فالألوهية مقصورة على الذات العلية" (٢).

ومن المواضع الأخرى التي ورد فيها ضمير الشأن وتفسيره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾[الكهف: ٣٨]

وقد ورد هذا القول على لسان الصاحب المؤمن، وهو يقر لله تعالى بالربوبية والوحدانية وعدم الإشراك به في الألوهية، ولعظم هذا الأمر وشرفه وعظم الموقف والسياق الذي قيل فيه؛ جاء التعبير عنه في الآية الكريمة بضمير الشأن (هو) وأتبعه بالجملة الاسمية المفسرة له (٣) لتفخيم وتعظيم مضمونها بما يتناسب مع عظمة وفخامة وشرف الإقرار بالربوبية والتوحيد لله سبحانه وتعالى.

فتقدم ضمير الغائب (هو) الذي يسمى" ضمير القصّة والشّأن والأمر" (٤) على الجملة الاسمية (الله ربي) المفسرة له.

والمعنى: " لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية، ولا أشرك بربّي أحداً" (٥)، أي: " شأني هو الله ربّي. والخبر في قوله: (هو الله ربّي) مستعملٌ في الإقرار، أي: أعترف بأنّه

(١) التحرير والتنوير: ١٤/ ١٠٠.
(٢) زهرة التفاسير، ابي زهرة: ٨/ ٤١٣٠.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٦٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/ ٣٠١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٤٠٥.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٤٣، وينظر: تفسير المراغي:١٥/ ١٥١.

ربّي خلافًا لك" [١] فقوله: (هو الله ربّي) " تفويض مطلق لذي الجلال والإكرام؛ لأنه ربه الذي خلقه وقام عليه حتى بلغ ما بلغ بين الأحياء؛ لأنه الحي القيوم" [٢].

وأجمل ما وقعت عليه عيني من قولٍ يُشعر بعظمة وفخامة هذا التعبير القرآني قول سيد قطب في بيان دلالتها:" وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالي المال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب. وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأنّ ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله. وأن نقمة الله جبارة وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين" [٣]، فسبحان الله العظيم الجبار.

ومن موارد الإضمار والتفسير أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[سبأ: ٢٧]

بيّن الله سبحانه وتعالى في الآيات المتقدمة على الآية الكريمة أن" المعبود قد يعبده قومٌ لدفع الضّرر، وجمعٌ لتوقّع المنفعة، وقليلٌ من الأشراف الأعزّة يعبدونه؛ لأنّه يستحقّ العبادة لذاته، فلمّا بيّن أنّه لا يعبد غير الله لدفع الضّرر إذ لا دافع للضّرر غيره بقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [٤]، وبيّن أنّه لا يعبد غير الله لتوقّع المنفعة بقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾[٥]، بيّن هاهنا أنّه لا يُعبد أحدٌ لاستحقاقه العبادة غير الله فقال: قل أروني الّذين ألحقتم به شركاء كلّا بل هو الله العزيز الحكيم" [٦].

(١) التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢٣.
(٢) زهرة التفاسير: ٩/ ٤٥٣٢.
(٣) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٢٧١.
(٤) سبأ: من الآية ٢٢.
(٥) سبأ: من الآية ٢٤.
(٦) مفاتيح الغيب : ٢٥/ ٢٠٦.

وإنّما أراد سبحانه وتعالى بذلك" أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشّركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم، ليطلعهم على حالة القياس إليه والإشراك به. وكلّا: ردعٌ لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بإبطال المقايسة...، وقد نبّه على تفاحش غلطهم، وأن يقدّروا الله حقّ قدره بقوله: هو الله العزيز الحكيم، كأنّه قال: أي الّذين ألحقتم به شركاء من هذه الصّفات " (١).

ولمّا كان النزاع في الوحدانية، وأراد الله تعالى أن يريهم عظم خطأهم باتخاذهم شركاء له سبحانه وتعالى عبر عنه بضمير الشأن (هو) (٢) المتقدم على الجملة الاسمية المفسرة له (الله العزيز الحكيم) بقصد تفخيم ذلك الأمر وتعظيمه ليتناسب مع عظمة وحدانيته تعالى ونفي الشّركاء عنه، إذ لا يستحق العبادة غيره سبحانه.

والمعنى:" بل الوحدانية لله وحده؛ لأن الكلام إنما وقع في الشّركة، ولا نزاع في إثبات الله ووجوده، وإنما النزاع في الوحدانية. أي: بل هو الله وحده العزيز الحكيم" (٣)، أي: هو" الذي عزّ فحكم، فلا يشاركه أحد في ملكه، ولا يدخل معه أحد في تدبيره.. هذا هو الإله الذي يجب أن يعبد.. أما من لا يستقلّ بسلطان هذا الوجود، ولا بالقيام عليه، فلا يصح أن يكون إلهًا" (٤).

والضمير (هو) في قوله (هو الله) " ضمير الشّأن. والجملة بعده تفسيرٌ لمعنى الشّأن والعزيز الحكيم خبر(إنّ)، أي: بل الشّأن المهم الله العزيز الحكيم لا آلهتكم ففي الجملة قصر العزّة والحكم على الله تعالى كنايةً عن قصر الإلهيّة عليه تعالى قصر إفرادٍ" (٥).

فجيء بضمير الشأن للدلالة على التعظيم والتفخيم ثم جيء بعده باسميه الكريمين (العزيز الحكيم) زيادة في التعظيم. " ويعني بقوله: (العزيز)، العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره،

(١) البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٥٤٨.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٢٤٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/ ٦٣، والبحر المحيط في التفسير: ٨/ ٥٤٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٧/ ١٣٣.
(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٤/ ٤٩٤.
(٤) التفسير القرآني للقرآن:١١/ ٨١١.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٩٧.

وادعى معه إلهًا غيره، أو عبد ربًّا سواه ، (الحكيم) في تدبيره، لا يدخل ما دبره وهنٌ، ولا يلحقه خللٌ" [١]، فسبحان الله العزيز الحكيم، وتعالى عمّا يشركون علوًّا كثيرًا.

وممّا جاء من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص: ١]، فقد تناولت الآية الكريمة على الرغم من قصرها أعظم قضية في الدين الإسلامي وهي قضية التوحيد، إذ "جاءت هذه السّورة مصرّحةً بالتّوحيد، رادّةً على عبّاد الأوثان والقائلين بالثّنويّة وبالتّثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتّوحيد" [٢]، وقد جاء التعبير القرآني فيها بضمير الشأن (هو) المتقدم على الجملة المفسرة له (الله أحد) المؤلفة من المبتدأ والخبر [٣] ؛ بقصد تفخيم وتعظيم مضمونها بما يتناسب مع عظمة وفخامة إثبات التوحيد ونفي الشّرك عنه جلّ وعلا .

وقد افتتِحَت السورة بالأمر بفعل القول، وفيه فائدتان، إحداهما : إظهار العناية والاهتمام بما بعده، والأخرى: إنها نزلت بسبب قول المشركين للنبي (ﷺ) : انسب لنا ربك فكان الجواب عن سؤالهم الأمر بالقول: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [٤]، وجملة مقول القول تصدرت بـ (هو) " ضمير الشأن؛ لأنه موضع تعظيمٍ" [٥].

والغرض من وضعه متقدمًا مع عدم ذكر ما يدل عليه قبله هو" الإيذان بأنّه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كلّ أحدٍ، وإليه يشير كلّ مشيرٍ، وإليه يعود كلّ ضميرٍ... ومحله الرفع على الابتداء، خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الربط؛ لأنّها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير، والسرُّ في تصدير الجملة به؛ التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ٦/ ٤٧٦.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٥٧٠.
(٣) ينظر اعراب القرآن وبيانه: ٣/ ٣٣٦.
(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٥٧١، و التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦١٢، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ١٥/ ٥٤٠.
(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١١/ ١٤٩، وينظر: فتح القدير: ٥/ ٦٣٣.

من زيادة تحقيقٍ وتقريرٍ، فإنّ الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأنٌ مبهمٌ له خطرٌ جليلٌ، فيبقى الذهن مترقّباً لما أمامه مما يفسره، ويزيل إبهامه، فيتمكن عند وروده له فضل تمكنٍ" (١).

والمعنى أنَّ الشأن" أنَّ الله واحدٌ لا ثاني له" (٢) ، أي: هو" الخبر الحق المؤيد بالبرهان الذي لا يرتاب فيه" (٣).

فتبيّن مما سبق ذكره حسن وروعة هذه الظاهرة النحوية ودلالتها في سياق نفي الشّرك بالله تعالى، وما أضفته على الآيات الكريمة من التعظيم والتفخيم بما يتناسب مع عظمة وفخامة قضية نفي الشّرك وإثبات الإلوهية لله سبحانه وتعالى .

خامساً : دلالة تلاحق الأساليب:

التلاحق في أصل اللغة من " لَحِقَهُ ولَحِقَ به لَحاقاً بالفتح، أي: أدركه، وأَلحَقَهُ به غيره.

وأَلَحَقَهُ أيضاً، بمعنى لَحِقَهُ" (٤)، و" يُقَالُ: لَحِقتُه وأَلحَقتُه بِمَعنًى، كَتَبِعتُه وأتبَعتُه." (٥) ويُقَالُ: " تلاحَقَت الأخبار: تتابعت وأدرك بعضها بعضًا" (٦) .

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٩/ ٢١٢.
(٢) الكشاف: ٤/ ٨١٧.
(٣) محاسن التأويل : ٩/ ٥٦٧.
(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ٤/ ١٥٤٩، وينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٢٣٨، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١١، ومختار الصحاح: ٢٨٠، و لسان العرب:١٠/ ٣٢٧.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٣٨، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٦/ ٣٥٠.
(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة : ٣/ ١٩٩٩، وينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٨١٨.

أما في الاصطلاح فهو " عبارة عن تتابع شيئين أو أكثر، مهما كان تكوينه، سواء كان لغويًّا أو أدبيًّا أو ماديًّا أو معنويًّا، يعطي أمرًا ما لافتًا للنظر، وجاذبًا للأذهان، إذ يترك أثرًا جوهريًا في نفس المتلقي" (١).

ويقسم التلاحق إلى قسمين: تلاحق الأساليب المتشابهة، و تلاحق الأساليب المختلفة.

١- **تلاحق الأساليب المتشابهة** : ويقصد بالتشابه:" الدّلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى" (٢)، ويقوم على" نظرية استجابة القارئ وخصوصًا ما يقول منها بتفاعل القارئ مع النص، حيث يقدح النص زناد الإدراك والتأويل والترجمة في قارئ مشروط بعوامل بيولوجية ودينية ونفسية واجتماعية وثقافية" (٣)، ومجيء هذا التلاحق له غايات ودلالات مقصودة يمكن استجلاؤها عن طريق النص اللغوي والسياق وقرائن الأحوال؛ للوقوف على الغاية من ورودها على هذا النحو.

فتلاحق الأساليب المتشابهة هو" عبارة عن تكرار وتتابع للأسلوب الواحد في الجملة الواحدة ، أو الفقرة الواحدة، فيؤدي مفهومًا عامًا جديدًا، يسهم في بناء النص وانسجامه، ويكون على نوعين: الأول: تشابه الأساليب لفظًا وأداةً...، الآخر: تشابه الأساليب لفظًا دون الأداة" (٤).

ومن تلاحق الأساليب المتشابهة لفظًا وأداةً في سياق نفي الشّرك بالله عزّ وجل قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[الإخلاص: ٣] ، فقد تلاحق أسلوب النفي بالأداة (لم) التي تفيد نفي الماضي مرتين في الآية نفسها.

فجملة (لم يلد) " خبرٌ ثانٍ عن اسم الجلالة من قوله: الله الصّمد، أو حالٌ من المبتدأ أو بدل اشتمالٍ من جملة الله الصّمد، ... وجملة (لم يولد) عطفٌ على جملة لم يلد، أي: ولم يلده غيره،

(١) تلاحق الأساليب الإنشائية في نهج البلاغة (دراسة دلالية) رسالة ماجستير، دعاء شاكر كاظم: ١٦.
(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح :٢٠/٢.
(٣) التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، د. محمد مفتاح:١٨٩.
(٤) تلاحق الأساليب الإنشائية في نهج البلاغة (دراسة دلالية): ١٨.

وهي بمنزلة الاحتراس؛ سدًّا لتجويز أن يكون له والدٌ، فأردف نفي الولد بنفي الوالد. وإنّما قدّم نفي الولد؛ لأنّه أهمّ، إذ قد نسب أهل الضّلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدًا" (١)

وقد جاءت (لم) الأولى لنفي أن يكون له ولد، وعطف عليها بـ (لم) الثانية؛ احتراسًا من أن يدعوا أن يكون الله مولودًا؛ لأنّ مَن جوّز الولادة لله سبحانه وتعالى وادعى أن يكون له ولدٌ، قد يجوّز أن يكون مولودًا، فجاء نفيها تتمّةً، وتأكيدًا للنّفي، وبذلك أدى التلاحق دلالة تأكيد النفي بتّنزيهه سبحانه وتعالى عما يدعون، وإثبات وحدانيته. (٢)

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]

فقد تلاحق أسلوب النفي بالأداة نفسها، وهي (لا النافية) الداخلة على الفعل المضارع ثلاث مرات " وهذه الأفعال الدّاخل عليها أداة النّفي متقاربةٌ في المعنى، يؤكّد بعضها بعضًا، إذ اختصاص الله بالعبادة يتضمّن نفي الاشتراك ونفي اتّخاذ الأرباب من دون الله، ولكن الموضع موضع تأكيدٍ وإسهابٍ ونشر كلامٍ؛ لأنّهم كانوا مبالغين في التّمسّك بعبادة غير الله، فناسب ذلك التّوكيد في انتفاء ذلك، والنّصارى جمعوا بين الأفعال الثّلاثة: عبدوا عيسى، وأشركوا بقولهم: ثالث ثلاثةٍ، واتّخذوا أحبارهم أربابًا في الطّاعة لهم في تحليلٍ وتحريمٍ وفي السّجود لهم" (٣)

فأدى تلاحق ثلاث جمل منفية بأداة واحدة إلى التأكيد والمبالغة في النفي؛ ليتناسب مع مبالغتهم وتمسكهم بعبادة غيره تعالى.

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦١٨، ٦١٩.
(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٩/ ١٥٤.
(٣) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ١٩٦.

ومثال النوع الآخر من الأساليب المتشابهة لفظاً دون الأداة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[طه: ٩٨] ، إذ تلاحق أسلوب القصر بطريقتين الأولى بـ (إنّما)، والثانية بـ (النفي والاستثناء).

ذكر البقاعي أنّ موسى (عليه السلام) " لما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان، أخبرهم بالحق على وجه الحصر، فقال: (إنّما إلهكم) جميعاً (الله)، أي: الجامع لصفات الكمال؛ ثم كشف المراد من ذلك وحققه بقوله: (الذي لا إله إلا هو)، أي: لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره؛ لأنّه (وسع كل شيء علماً) " [١].

ويقول أبو السعود: فقوله تعالى: (إنّما إلهكم الله)" استئناف مسوقٌ لتحقيق الحقّ إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب، وتوجيه إلى الكل، أي: إنما معبودكم المستحقّ للعبادة الله (الذى لا إله) في الوجود لشيءٍ من الأشياء (إلاّ هو) وحده من غير أن يشاركه شيءٌ من الأشياء بوجهٍ من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية" [٢].

فقوله: (الّذي لا إله إلّا هو) " تقرير لاختصاص الإلهية" [٣].

وهذه الآية من باب تناسب فواتح السور لخواتيمها إذ" بدأت قصة موسى بالتوحيد الخالص: إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني.. وختمت به: إنّما إلهكم الله " [٤] .

فتحصّل من تلاحق أسلوب القصر دلالة تُزاد على تضمنه معنى النفي، وهي تقرير اختصاصه سبحانه وتعالى بالإلهية، وهو ما يؤكد نفي الشريك عنه سبحانه.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢/ ٣٣٧، ٣٣٨.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٦/ ٤٠، وينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٩/ ١٤٨.
(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١٧/ ٤١١.
(٤) التفسير المنير: ١٦/ ٢٧٣.

ويبدو أنه قدم القصر بـ (إنّما)؛ لأنها تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بينما القصر بالنفي والاستثناء يفهم منه النفي أوّلًا، ثم الإثبات ثانياً، فكان هذا التعبير جار على طريقة التفصيل بعد الإجمال.

٢- **تلاحق الأساليب المختلفة:** ويُراد به ورود أكثر من أسلوب بلاغي، أو نحوي في العبارة الواحدة ، فتتضافر الأساليب بدلالاتها المختلفة للوصول إلى دلالة عامة أكثر عمقًا [١].

ولا بد من أن يكون لهذا التلاحق غايات ودلالات تساهم في اتساق النص، وإيصال المعنى المقصود إلى المتلقي على أكمل وجه.

وقد يرد التلاحق بأسلوبين مختلفين أو أكثر في الآية الواحدة من القرآن الكريم، فمثال تلاحق أسلوبين مختلفين في سياق نفي الشّرك بالله عزّ وجل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[يونس: ١٠٥]، ففي الآية الكريمة تلاحق بين أسلوبي الأمر، والنهي هما: (أقمْ، ولا تكونَنَّ).

فقد بدأت الآية الكريمة بأسلوب الأمر (وأن أقمْ) ، والواو في قوله: (وأن أقمْ) " واو عطف معناه وأمرت أن أقيم وجهي" [٢].

وذكر ابن عاشور أنّ" الواو عطفت فعلًا مقدّرًا يدلّ عليه فعل (أمرت). والتّقدير: وأوحي إليّ، وتكون (أن) مفسّرةً للفعل المقدّر؛ لأنّه فيه معنى القول دون حروفه، ...أنّ أسلوب نظم الآية على هذا الوجه لم يقع إلّا لمقتضًى بلاغيٍّ، فلا بدّ من أن يكون لصيغة أقم وجهك خصوصيّةٌ في هذا المقام...، والتّقدير: أمرت أن أقم وجهك فتكون (أن) تفسيرًا لما في الواو من تقدير لفظ فعل (أمرت)

(١) ينظر: تلاحق الأساليب الإنشائية في نهج البلاغة (دراسة دلالية): ١١٣.
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٢/ ٤٦٨.

لقصد حكاية اللّفظ الّذي أمره الله به بلفظه، وليتأتّى عطف (ولا تكوننّ من المشركين) عليه" [١]، وحاصل ذلك هو الإخلاص التام لله تعالى بتوحيده وعدم الالتفات إلى غيره [٢].

فقوله تعالى: (ولا تكونَنّ من المشركين) " أكّد الأمر المتقدّم للنّهي عن ضدّه فقال: (ولا تكوننّ من المشركين)، وهو معطوفٌ على أقمْ، وهو من باب التعريض لغيره (ﷺ)" [٣].

وأشار ابن عاشور إلى أنّه " نهيٌ مؤكّدٌ لمعنى الأمر الّذي قبله تصريحًا بمعنى حنيفًا. وتأكيد الفعل المنهيّ عنه بنون التّوكيد للمبالغة في النّهي عنه اعتناءً بالتّبرّؤ من الشّرك " [٤].

ويبدو أنه بدأ بأسلوب الأمر بصيغة (افعلْ) لما فيها من الإلزام والوجوب في قوة الخطاب وفاعليته، ولا تستعمل هذه الصيغة إلا للمخاطب [٥]؛ ولأنه يحمل دلالتين دلالة ظاهرة وهي الإيجاب ودلالة باطنة وهي النهي عن ضده. [٦]، ثم أعقبه بأسلوب النهي لتأكيد الأمر بالتوجه بالكلية لله سبحانه وتعالى والإعراض عمن سواه.

ومثال تلاحق ثلاثة أساليب مختلفة قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٠] ، إذ تلاحقت في الآية الكريمة ثلاثة أساليب مختلفة هي الأمر والقصر والنفي.

ومعنى الأمر من الله لنبيه، أي: قل: لهؤلاء الذين تظاهروا عليك لما دعوتهم إلى التوحيد: إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا " [٧].

(١) التحرير والتنوير:١١/ ٣٠٣.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٧/ ٣٠٩.
(٣) فتح القدير: ٢/ ٥٤٢.
(٤) التحرير والتنوير: ١١/ ٣٠٤.
(٥) ينظر: أساليب الطلب في ديوان الشريف الرضي (رسالة ماجستير)، صادق كاظم محمّد علي الصَّفَّار:٧١.
(٦) ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان: ٣/ ١٩٥.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية : ١٢/ ٧٧٧٧.

وذهب سيد قطب إلى أنّ هذا الخطاب يثير عطفًا مصحوبًا بالحب لشخص الرسول (ﷺ) في قلب المستمع، وهو يؤمر بإعلان تجرده من كل شيء في أمر الدعوة الإسلامية إلّا البلاغ، والرقابة الإلهية المضروبة حوله وهو يقوم بهذا البلاغ [١].

وذكر ابن عاشور أن قوله: (وإنّما أدعو ربّي) " يفيد قصرًا، أي: لا أدعو غيره، أي: لا أعبد غيره دونه، وعطف عليه (ولا أشرك به أحداً) ؛ تأكيدًا لمفهوم القصر، وأصله أن لا يعطف، فعطفه لمجرّد التّشريك للعناية باستقلاله بالإبلاغ." [٢]، فأدى التلاحق دلالة إضافية هي تأكيد مفهوم القصر وهو الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له، والعناية باستقلال النبي (ﷺ) بإبلاغ هذه الدعوة.

ومن تلاحق ثلاثة أساليب مختلفة أيضًا قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ، فقد تلاحق أسلوب الخبر والقصر والأمر.

وقد تقدم الآية الكريمة آياتٌ تتضمن مجموعة من الصفات الدالة على وحدانية الله تعالى، فأعقبها بقوله: (ذلكم) للإشارة إلى الموصوف بما تقدم من جلائل الصفات [٣].

ذهب أبو السعود إلى أنّ اسم الإشارة (ذلكم) وما فيه من معنى البعد " ؛ للإيذان بعلو شأن المشار إليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات، وهو مبتدأ وقوله تعالى: (الله ربّكم لا إله إلاّ هو خالق كلّ شيء) أخبارٌ أربعةٌ مترادفةٌ، أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحقّ للعبادة خاصةً، مالك أمركم لا شريك له أصلاً خالق كلّ شيءٍ مما كان ومما سيكون، فلا تكرار إذ المعتبر في عنوان الموضوع إنما هو خالقيته لما كان فقط" [٤]

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٧٢٠.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٤٣.
(٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ٥٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/ ١٧٦، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٥٢٧، و فتح فتح القدير: ٢/ ١٦٩.
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣/ ١٦٩.

وذكر ابن عاشور أنّ جملة (فاعبدوه) " مفرّعةٌ على قوله: ربّكم لا إله إلّا هو، وقد جعل الأمر بعبادته مفرّعًا على وصفه بالرّبوبيّة والوحدانيّة؛ لأنّ الرّبوبيّة مقتضية استحقاق العبادة، والانفراد بالرّبوبيّة يقتضي تخصيصه بالعبادة، وقد فهم هذا التّخصيص من التّفريع. ووجه أمرهم بعبادته أنّ المشركين كانوا معرضين عن عبادة الله تعالى بحيث لا يتوجّهون بأعمال البرّ في اعتقادهم إلّا إلى الأصنام ... ؛ فلذلك أمروا بها صريحًا، وأمروا بالاقتصار عليها بطريق الإيماء بالتّفريع." [١]

فنفى الشّرك عنه تعالى أولًا بأسلوب الخبر، وهو من باب نفي الشيء بإيجابه [٢] ، وتلاه بأسلوب القصر، فقصر الألوهية عليه، ثم أعقبه بأسلوب الأمر على وجه الوجوب والإلزام، فدلّ التلاحق للأساليب المختلفة على التوحيد المحض، فالوجه عبادة الله تعالى وحده، ولا وجه لعبادة غيره.

ومما سبق تبيّن أنّ تلاحق الأساليب أدى وظيفة دلالية تُزاد إلى دلالة الأساليب المتأصلة فيها، أغنت النص، وكشفت عن مغزاه، وقد ورد التلاحق في النص القرآني في المواقف المهمة التي تحتاج إلى التأكيد والمبالغة، ومنها نفي الشّرك بالله تعالى بأكثرَ من أسلوب؛ لمزيد من تأكيد وحدانية الله تعالى، والتشنيع على مَن يتخذ له شريكًا سبحانه عن ذلك وتعالى علوًّا كبيرًا.

(١) التحرير والتنوير: ٧/ ٤١٣.
(٢) ينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة: ٦٧٠.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولا: الكتب المطبوعة:

ـ أ ـ

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، (د.ت).
- الأدوات النحويّة في كتب التفسير، د. محمّد أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيّان الأندلسيّ (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. رجب عثمان محمّد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العِماديّ (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٤م .
- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، أحمد مطلوب الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٨.

- الأساليب النحوية عرض وتطبيق، د. محسن علي عطية، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- أسرار العربية، أبو البركات الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمّد بن السريّ المعروف بابن السراج (ت:٣١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتليّ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٩٥م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعيّة، دار اليمامة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ .
- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
- الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي (ت:٧١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- أمالي ابن الشجريّ، هبة الله بن عليّ بن محمّد الشجريّ (ت:٥٤٢ هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمود محمّد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) – قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ. ش .
- الأنموذج في النحو، جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، اعتنى به: سامي بن حمد المنصور، (د. ط)، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م.
- أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، ابن هشام الأنصاريّ (ت:٧٦١ هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، (د.ت).
- إيجاز البيان عن معاني القرآن، نجم الدين النيسابوريّ (ت: نحو٥٥٠ هـ)، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسميّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزوينيّ (ت:٧٣٩ هـ)، تحقيق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (د.ت) .

- ب -

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة الحسنيّ (ت:١٢٢٤ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزيّة (ت:٧٥١ هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشيّ (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م .

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمّد عليّ النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل الجناجي (ت: ١٤٢٩ هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة – مصر، ٢٠٠٦ م.
- البلاغة الواضحة، علي الجارم – مصطفى أمين، مؤسسة الصادق عليه السلام، شريعت، قم، ايران، الطبعة الخامسة، ١٤٢٩ هـ.
- بناء الجملة العربيّة، د. محمّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م .

ـ ت ـ

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الزبيديّ (ت:١٢٠٥ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت ، ١٩٩٥م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العُكبَريّ (ت:٦١٦ هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، دار الشام للتراث، بيروت، ١٩٧٦م .
- التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣ هـ)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ .
- تحليل النص القرآنيّ في سياق الحمد والتسبيح ـ دراسة في مستويات اللغة، د. حسن عبيد المعموريّ، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدين ابن مالك الطائي (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، (د. م)، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

- التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، الدار البيضاء– المغرب، (د.ت).
- التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.
- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، أخرجه وصححه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
- التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.
- التعريفات، عليّ بن محمّد بن عليّ المعروف بالشريف الجرجانيّ (ت:٨١٦ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م .
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- التفسير البياني لما في النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، دار الوضاح، الأردن – عمان، (د.ت).
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله العلوي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- تفسير الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت:٥٠٢ هـ)، الجزء الأول، تحقيق ودراسة: د. محمّد عبد العزيز بسيوني، كليّة الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٩م، الجزء الثاني والثالث، تحقيق ودراسة: د. عادل بن عليّ الشديّ، دار الوطن، الرياض، ٢٠٠٣م، الجزء الرابع والخامس، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمّد بن زاهد سردار، كليّة الدعوة وأصول الدين . جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .

- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م) .
- تفسير العثيمين: تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (ت:٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٦٩م.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
- التفسير المظهريّ، محمّد ثناء الله المظهريّ (ت:١٢٢٥ هـ)، تحقيق: غلام نبيّ التونسيّ، مكتبة الرشديّة، الباكستان، ١٤١٢هـ .
- تفسير المنار، محمّد رشيد رضا الحسينيّ (ت:١٣٥٤ هـ)، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، مصر،١٩٩٠م .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م- ١٩٩٨م.
- تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد الأزهريّ (ت:٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- التوحيد والشرك في القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، دار الأسوة – طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٦هـ. ش، ١٤١٨هـ. ق.

-ج-

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطبريّ (ت:٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرسالة، (د. م)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمّد بن أحمد القرطبيّ (ت:٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردونيّ، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م .
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت:١٣٧٦ هـ)، دار الرشيد – دمشق، مؤسّسة الإيمان– بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ .
- الجملة العربيّة والمعنى، د. فاضل صالح السامرائيّ، دار ابن حزم للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- الجنى الدانيّ في حروف المعاني، بدر الدين الحسن بن قاسم المراديّ (ت:٧٤٩ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

📖 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت)

-ح-

📖 حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ)، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت).

📖 حاشية الصبّان على شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك، محمّد بن عليّ الصبّان (ت:١٢٠٦ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

📖 الحدود في علم النحو، علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني (ت: ٣٨٤ هـ)، الطبعة الأولى، (د.ت).

📖 الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د. كمال عز الدين علي السيد، دار اقرأ، (د.م)، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

📖 حروف المعاني والصفات، أبو القاسم الزجاجيّ (ت:٣٣٧ هـ)، تحقيق: عليّ توفيق الحمد، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م .

-خ-

📖 الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت:٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمّد عليّ النجار، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م .

-د-

📖 دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمّد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م .

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيّ (ت:٧٥٦ هـ)، تحقيق: د. أحمد محمّد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ (ت:٩١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م .

- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبيّ بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، عرّب عباراته الفارسيّة، حسن هاني فحص، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ (ت:٤٧١ هـ)، تحقيق: محمود محمّد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م .

- الدلالة النحوية في كتاب المقتضب، د. سامي الماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

-ر-

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقيّ (ت:٧٠٢ هـ)، تحقيق: أحمد محمّد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٩٧٥م.

- روح البيان، إسماعيل حقيّ البروسويّ (ت:١١٣٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الحسينيّ الآلوسيّ (ت:١٢٧٠ هـ)، تحقيق: عليّ عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

- ز -

- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (د. م)، (د. ت).

- س -

- السراج المنير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
- السلب ومظاهره في العربية، دراسة تطبيقية على رواية شجرة البؤس، د. علاء إسماعيل الحمزاوي، (د. ط)، (د. م)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

- ش -

- شرح الأُشْمُونيّ على ألفيّة ابن مالك، عليّ بن محمّد بن عيسى الأُشْمُونيّ (ت:٩٠٠ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .
- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، جمال الدين بن مالك (ت:٦٧٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمّد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م .
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهريّ (ت:٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
- شرح جمل الزجّاجيّ (الشرح الكبير)، ابن عصفور الأشبيليّ (ت:٦٦٩ هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف العراقيّة، بغداد، ١٩٨٠م .
- شرح الدماميني على المغني اللبيب، بدر الدين الدماميني (ت: ٨٢٧ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزّو عناية، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.

- شرح الرضيّ على الكافية، رضيّ الدين الاستراباذيّ (ت:٦٨٨ هـ) تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، كليّة اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة، جامعة قار يونس، ١٩٧٨م.
- شرح الكافية الشافية، جمال الدين بن مالك (ت:٦٧٢ هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، (د.ت) .
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن عليّ بن يعيش (ت:٦٤٣ هـ)، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- شروح التلخيص، القزويني ابن يعقوب المغربي بهاء الدين السبكي (ت: ٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ت) .
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- ص -

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت:٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.
- الصحيفة السجادية الكاملة- من أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-ط-

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلويّ (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

-ع-

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
- العقائد الإسلاميّة على ضوء القرآن الكريم، الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: احمد حسين بكر، المركز الثقافي للدروس القرآنية، (د. م)، (د. ت).
- علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

-غ-

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوريّ (ت:٨٥٠ هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيرو ت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .

-ف-

- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- فتح القدير، محمّد بن عليّ الشوكانيّ (ت:١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير– دمشق، دار الكلم الطيّب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .

- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د. ت).
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢ هـ .

- ق -

- قاموس الأدوات النحوية، حسين سرحان، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا، د. سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨ م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.
- قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي ، الصدف، كراتشي– باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

- ك -

- الكافية في علم النحو، جمال الدين ابن الحاجب (ت: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال- بيروت، (د. ت) .
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون، محمّد بن عليّ التهانويّ (ت:١١٥٨ هـ)، تحقيق: د. عليّ دحروج، تقديم: د. عليّ العجم ، ترجمة: د. عبد الله الخالديّ، و د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
- الكفاءة القرآنية عند علماء التراث- دراسة دلالية – د. عرابي احمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- الكليات . معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، أبو البقاء الكفويّ (ت:١٠٩٤ هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمّد المصريّ، مطبعة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م .

ـ ل ـ

- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين عليّ بن محمّد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت:٧٤١ هـ)، تصحيح: محمّد عليّ شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبريّ (ت:٦١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م .
- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل بن صالح السامرائي، دار عمار، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- اللمع في العربيّة، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت:٣٩٢ هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافيّة، الكويت، (د.ت).

-م-

- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، (د. م)، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوي، طهران، إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٥ هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت:٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٥هـ– ١٩٩٥ م.
- محاسن التأويل، جمال الدين القاسميّ (ت:١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسيّ (ت:٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم، عليّ بن إسماعيل بن سيده (ت:٤٥٨ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم- دار ابن عفان، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حافظ الدين النسفيّ (ت:٧١٠ هـ)، حقّقه وخرج أحاديثه: يوسف عليّ بديوي، راجعه وقدّم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرين، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مشكل إعراب القرآن، مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت: ٤٣٧ هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ .
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، (د.ت).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمّد الحسين بن مسعود البغويّ (ت:٥١٠ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .

- معاني الحروف، ابي الحسن علي بن عيسى الرمانيّ (ت: ٣٨٤هـ)، حققه وخرج حديثه وعلق عليه: الشيخ عرفان بن سليم الدمشقيّ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (ت:٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

- المعجزة الكبرى القرآن ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (د. م)، (د.ت).

- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة- جدة، دار الرفاعي- الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م .

- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، (د. م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، دار الاعتصام، القاهرة، المغرب، الطبعة الأولى، (د.ت).

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، دار الدعوة، تركيا، (د.ت).

- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، [١٣٧٧ – ١٣٨٠ هـ].

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت:٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، دمشق،١٩٧٩م .

- معنى لا إله إلا الله، بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: علي محيي الدين علي القرة راغي، دار الاعتصام – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريّ (ت:٧٦١ هـ)، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازيّ (ت:٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ .
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكّاكيّ (ت:٦٢٦ هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب، جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المفصل في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع، أ. د. عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، الطبعة الثانية، (د.ت).
- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطيّ (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م.
- المقتضب، أبو العباس المبرّد (ت:٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٩٤م .

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- من أسرار التنزيل، فخر الدين الرازيّ (ت:٦٠٦ هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم، جمهورية مصر العربية، (د.ت).
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، دار مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضة مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.
- موجز البلاغة، محمد الطاهر عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، دار أضواء السلف، (د. م)، ٢٠٠٥م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت:١٤٠٢ هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م .

- ن -

- النحو العربي ـ النواحي الوظيفية والدلالية، زين الدين المعبري الهندي، (د. ط)، (د. م)، ١٤٣٤هـ.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشر، (د.ت).
- النحو والدلالة ـ مدخل لدراسة المعنى النحويّ الدلاليّ، د. محمّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م .

- النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي (ت: ١٤٢٩ هـ)، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعيّ (ت:٨٨٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م .

- النظم القرآني في سورة الرعد، النظم القرآني في سورة الرعد، د. محمد بن سعد الدبل، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

- نفحات القرآن– أسلوبٌ جديدٌ في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، سليمان زاده، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم– ايران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠٠٧هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية– بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- نهج البلاغة – المختار من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام)، جمعه: السيد الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف– العراق، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م.

- النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسيّ (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عمر الأسعد، دار الجيل– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت:٤٣٧ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، بإشراف: د. الشاهد البوشيخيّ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطيّ (ت:٩١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقيّة، مصر، (د.ت).

-و-

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ. د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، – ١٩٩٤ م.

ثانيـاً: الكتب غير المطبوعة:

- لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، د. فاضل السامرائي، ود. حسام النعيمي، ود. أحمد الكبيسي، المصدر: حلقات (لمسات بيانية) للدكتور فاضل السامرائي، والدكتور حسام النعيمي، والكلمة وأخواتها للدكتور أحمد الكبيسي. وبعض كتب الدكتور/ فاضل السامرائي، جمعه: سمر الأرناؤوط، ويسرا الأرناؤوط، مفرّغ في المكتبة الشاملة.
- من لطائف ونكات علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مناهج جامعة المدينة العالمية لمجموعة من العلماء، جمع وترتيب: عبد الرحمن القماش، مفرّغ في المكتبة الشاملة.

ثالثـاً: الرسائل الجامعيّة:

- أساليب الطلب في ديوان الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ) ، صادق كاظم محمد علي الصفار، رسالة ماجستير، باشراف: أ. د. علي ناصر غالب، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة بابل، ٢٠١١م.

- أساليب النفي في القرآن الكريم ـ دراسة نحوية بلاغية، عبد الرزاق موفاري، رسالة ماجستير، جامعة العقيد أكلي محند والحاج- البويرة – الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٢م.
- أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى، جمال محمد النحال، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، ، ٢٠٠٧م.
- أساليب النفي ودلالتها في شعر راشد حسين ـ دراسة أسلوبية وإحصائية، وفاء يعقوب، رسالة ماجستير، باشراف: د. عمر مسلم، ، جامعة بير زيت- فلسطين، كلية الآداب، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م .
- الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، إدريس محمد أبكر محمد، رسالة ماجستير، بإشراف: د. أحمد إمام عبد العزيز عبيد ، جامعة المدينة العالمية- ماليزيا، ٢٠١١م.
- التصور والتصديق في العربية، هناء إسماعيل إبراهيم هويدي العاني، رسالة ماجستير، بإشراف: أ.د. خديجة عبد الرزاق الحديثي، ، جامعة بغداد- كلية الآداب، ٢٠٠٥ م.
- التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب، زينة غني عبد الحسين الخفاجي، رسالة دكتوراه، بإشراف: أ. د. هناء جواد العيساوي، ، جامعة بابل-كلية التربية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- تلاحق الأساليب الإنشائية في نهج البلاغة ـ دراسة دلالية، دعاء شاكر كاظم، رسالة ماجستير، بإشراف: أ. م. د. عدوية عبد الجبار الشرع، ، جامعة بابل- كلية الدراسات القرآنية، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.
- جماليات التوكيد في القرآن الكريم ـ مقاربة تطبيقيّة لسورة يوسف أنموذجًا، طهراوي المايسة، رسالة ماجستير، بإشراف: الأستاذة قاني وهيبة، ، جامعة اكلي محند أولحاج، الجمهورية الجزائرية، كلية الآداب، ٢٠١٩م-٢٠٢٠م.

- الجملة التفسيرية في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية، ، كريم ذنون داود سليمان الحريثي، رسالة دكتوراه، بإشراف: طلال يحيى إبراهيم الطوبجي، ، جامعة الموصل– كلية الآداب، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- النظام الاشتقاقي في الجملة العربية ، أمين لقمان محمد أمين الحبار، رسالة دكتوراه، بإشراف: أ.م. د. هاني صبري علي اليونس، ، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤ م.
- النفي الضمني في اللغة العربية، خولة درويش الشرعة، رسالة ماجستير، بإشراف: أ. د. حسن خميس الملخ، ، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م– ٢٠١٧م.
- النفي في النحو العربي، توفيق جمعات، رسالة ماجستير، بإشراف: د. مشري بن خليفة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٦م.

رابعاً: البحوث المنشورة:

- أسلوب النفي أدواته ودلالاته، د. عز الدين علي مختار علي، مجلة آداب النيلين، المجلد الأول، العدد الثالث، ٢٠١١م.
- إعراب لا إله إلا الله، رسالة منسوبة إلى ابن هشام الأنصاري: (ت:٧٦١ هـ)، تحقيق: د.حسن موسى الشاعر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة الحادية والعشرون – العددان الواحد والثمانون والثاني والثمانون – المحرم – جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ.
- تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢، ١٤٢١هـ.
- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة، عماد بن زهير حافظ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.
- النفي الضمني في الجملة العربية ـ أساليبه وأدواته، د. مها محمد عبده، مجلة آداب النيلين، المجلد الثاني، العدد الأول. ٢٠١٤م.

📖 النفي في الجملة العربية وعلاقته بالمعنى، د. محمد حسين النقيب، مجلة الاندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثالث، المجلد الثامن، يونيو ٢٠١٤م.

خامساً: المواقع على شبكة المعلومات الالكترونية (الانترنت):

📖 حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، البريد الالكتروني: unecriv@net.sy E-mail: aru@net.sy موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت http://www.awu-dam.org، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠٠م.

📖 فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الطبيب أحمد حطيبة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

الخاتمة

تمثّلُ هذه الدراسةُ محاولةً للكشف عن دلالة التعبير القرآنيّ في واحدٍ من سياقاته المتعددة، وهو سياقُ نفي الشرك بالله تعالى في القرآن الكريم، وقد خرجت ـ بفضل الله سبحانه وتوفيقه ـ بجملة من النتائج، نوجزها بما يأتي:

- تبيّن أنّ اسم (لا) النافية للجنس الوارد في سياق نفي الشرك بالله تعالى جاء مفردًا فقط، إذ لم يرد مضافًا أو شبيهًا بالمضاف إطلاقًا؛ لأنه يدل على الذات الإلهيّة المنزهة عن الشريك.
- تميل الدراسة إلى أنه لا يجوز تقديرُ خبر (لا) النافية للجنس المحذوف في كلمة التوحيد بـ (موجود)؛ لأنّ ذلك لا يليق بهذه الكلمة العظيمة، فكم من آلهة غير الله موجودة، وكلها باطلة؟! والصواب أنّ التقدير (بحق)، أي: لا إله بحقّ إلا الله تعالى، أما بقية الآلهة فهي باطلة.
- ثبت أنّ النفي بـ (لا) النافية للجنس مؤكد، فهو أبلغ من نفي الفعل؛ ولذلك وردت كثيرًا في آيات نفي الشرك بالله في القرآن الكريم؛ بل قامت عليها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، التي أفادت توحيد الله المطلق.
- جاء التعبير القرآني بنفي الألوهية عن غير الله تعالى بـ (لا) النافية للجنس، وإثباتها لله تعالى وحده بأسلوب القصر بـ (إلا)، فهناك ملازمة في الاستعمال بين (لا) النافية للجنس وأسلوب القصر؛ لأنّه نفي وإثبات، نفي الشرك بالله تعالى، وإثبات الإلوهية لله تعالى، فيقصر العبادة على الله سبحانه وتعالى.
- تبيّن أنّ نفي الشرك بالله تعالى بـ (لا) النافية للجنس ورد بتراكيب مختلفة، فمعلوم أنّ الاسم في كلمة التوحيد هو كلمة (إله) أمّا ما بعد (إلا) فتارة، يرد الاسم الظاهر(الله)، وتارة أخرى

ضمير الغائب (هو)، وضمير المتكلم (أنا)، وضمير المخاطب (أنت)، والاسم الموصول (الذي)، ولكل استعمال دلالته التي كشفت عنها الدراسة.

- ورد النفي بـ (لا) النافية للجنس مع الاسم الظاهر (لا اله إلا الله) في موضعين من القرآن الكريم، في سورة الصافات، وسورة محمد؛ لأنّ سياقهما اتسم بالنزاع، والتكبر، والعناد، والإنكار، والغرور، والكفر، فكان التصريح باسمه تعالى أبلغ من الإضمار؛ وذلك لأنّ التصريح باسمه تعالى دون بقية أسمائه الحسنى أو استعمال الضمائر العائدة عليه سبحانه أظهر لنفي الشرك عنه سبحانه وتعالى.
- تبيّن أنّ النفي بـ (لا) النافية للجنس مع ضمير الغائب (هو) في قوله تعالى: (لا إله إلا هو) كان أكثر التراكيب لنفي الشرك بالله تعالى في القرآن الكريم.
- ورد النفي بـ (لا) النافية للجنس مع ضمير الغائب (هو) أكثر من غيره، وفي سياقات متعددة، منها الرد على المشركين، وإلقاء الحجة على أهل الكتاب، والتأكيد على أنّ رسالة النبي محمد (ﷺ) عالمية، ووصف الله ذاته الكريمة في معرض إثبات وحدانيته، وسياق الرد على النصارى، وتأكيد علم الله تعالى وقدرته المطلقة، ونفي الشك عن يوم القيامة والجمع فيه، وسياق تبجيل الله ذاته الكريمة في معرض إثبات وحدانيته، وفي سياق تقرير التوحيد، وإثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
- كانت أغلب الآيات التي جاء فيها النفي بـ (لا) النافية للجنس مع ضمير الغائب (هو) قد تضمنت التفاتًا من الخطاب إلى الغيبة، ونكتة ذلك أنّ ما أجري على المخاطبين ـ المشركين ـ من صفات النّقص، والفظاعة قد أوجب الإعراض عنهم، وإبعادهم عن البال، وأمارة هذا الإبعاد هي خطابُهم بخطاب البعد.
- جاء نفي الشرك بـ (لا) النافية للجنس مع ضمير المتكلم (أنا) في قوله تعالى: (لا إله إلا أنا) في سياق خطاب الله لأنبيائه ورسله في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، تضمَّنت أسلوبَ الالتفات من الغيبة أو الخطاب إلى التكلم،؛ إعلاءً لشأن المخاطِب، ورعايةً لمنزلة المخاطبين.

- لم يرد نفي الشرك بالله بتركيب (لا) النافية للجنس مع ضمير المخاطب (أنت) إلا في موضع واحد، (لا إله إلا أنت)، وذلك في سياق التجاء نبي الله يونس (عليه السلام) إلى الله تعالى، وقد تصدر خطابه (عليه السلام) بـ (لا) النافية للجنس؛ لأنّ صيغة نفي الجنس على سبيل التّنصيص صيغة تأكيدٍ؛ إقرارًا منه بوحدانيته تعالى على نحو لا يخالطه شك في ذلك، واستعمال الضمير (أنت) يتسق مع حالة الالتجاء به تعالى مما هو فيه من ظلمات؛ فهو يستحضره معه استئناسًا وعونًا به، وطلبًا للنجاة، يكشف عن ذلك الالتفات
- ورد نفي الشرك بالله في القرآن الكريم بتركيب (لا) النافية للجنس مع الاسم الموصول (الذي) في موضع واحد: (لا اله إلا الذي) في سياق خطاب فرعون لله تعالى لمّا أدركه الغرق؛ طمعًا منه بقبول دعوته، وقد ورد النفي مقترنًا بالاسم الموصول (الذي)، فجعل الصّلة طريقًا لمعرفته بالله عزّ وجلّ؛ لعدم علمه بالصّفات المختصّة بالله إلّا ما تضمّنته الصّلة؛ إذ لم يتبصّر في دعوة موسى تمام التّبصّر. أو أنّه ربما لم يُطقْ؛ لتجبُّره ذكرَ اسم الله تعالى، فجاء بجملة الصلة، فقال: (لا إله إلا الذي)، ولم يقل: (لا إله إلا الله).
- لم يرد اسم (لا) النافية للجنس وصفًا في سياق نفي الشرك بالله تعالى إلا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: {لا شريك له} [الأنعام: من الآية: ١٦٣] في سياق نفي الشريك عنه تعالى، والأمر بإخلاص العبادة له، وقد تصدرت الآية الكريمة بـ (لا) النافية للجنس للتأكيد؛ لأنّ في قوله: (لا شريك له) نفيًا عامًا لإبطال أيّ نوع من أنواع الشرك والوثنية.
- اتضح أن النفي بـ (لا) النافية الداخلة على الأفعال المضارعة الواردة في آيات نفي الشرك بالله تعالى دلّ على الزمن المطلق في النفي الذي لا يحدد بزمن معين؛ لأنّ نفي الشريك عنه تعالى وإثبات توحيده وتنزيهه هي حقائق أزلية لا تتغير في أي حال من الأحوال، ولا في أي زمن من الأزمان.
- جاء النفي بـ (لا) النافية غير العاملة في سياقات دالة متعددة، منها: إثبات وحدانية الله تعالى بنفي الشريك عنه وإثبات وحدانيته، ونفي عبادة غير الله، ونفي الشرك عن الأنبياء والمرسلين.

- ورد النفي بـ (ما) النافية الداخلة على الجملة الاسمية في سياقات عدة للدلالة على نفي الشرك بالله تعالى، منها: بيان أنّ حال الكافرين في الشّرك بالله كحال آبائهم، والرّد على من ادّعى أنّ الله اتّخذ ولدًا، وسياق الأمر بأن يعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلّا هو.
- جاء النفي بـ (ما) النافية الداخلة على الجملة الفعلية في سياقات دالة على نفي الشرك بالله تعالى، منها: سياق تنزيه الأنبياء والمرسلين عن الشّرك بالله سبحانه، والرّد على من قال: إنّ مع الله إلهًا آخر، وسياق دعوة الرّسل والأنبياء لأقوامهم بأن يعبدوا الله وحده ونفي أن يكون لهم إله غيره.
- التعبير القرآني جاء بإحدى المؤكدات مع (ما) النافية، كأسلوب القصر، و(من) الاستغراقية؛ على الرغم من أنّ نفيها فيه معنى التأكيد؛ وذلك للدلالة على التوحيد ونفي الشرك صراحة على وجه اللزوم.
- وردت (لم) في آيات نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم نافيةً للجملة الفعليّة، في سياقين هما: الرّدّ على القائلين بالثّنويّة وبالتّثليث، ونفي أن يكون لله تعالى شبيهٌ أو مثيل، وقد دلّت على النّفي المستمر الذي لم ينقطع، ولا ينقطع، فالله سبحانه وتعالى لم يكن له شريك أو شبيهٌ أو مثيل في أيّ حال من الأحوال، فهو الواحد الأحد الفرد الصّمد سبحانه وتعالى عمّا يصفون.
- ورد النفي بـ (لنْ) في سياقات عدة دالًا على نفي الشرك بالله تعالى، منها: سياق نفي أن يوجد من دونه تعالى ملجأ لأحد، ونفي دعوة إله غيره سبحانه.
- يدلّ النفي بـ (ليس) الواردة في آيات نفي الشرك بالله تعالى على نفي الماضي، والحال، والمستقبل، فهو نفي غير مقيد بزمن؛ لأن نفي الشريك عنه سبحانه وتعالى حقيقة مطلقة لا يمكن أنْ تحدها الأزمنة.

- جاء النفي بـ (لم) الواردة في سياق نفي الشرك بالله تعالى في سياقات متعددة منها: إنذار وتنبيه اليهود والنّصارى أو المشركين، بنفي الوليّ والشّفيع لهم من دونه تعالى، وسياق نفي المثيل والنّظير لله عز وجل، ثمّ إثبات الوحدانية له سبحانه وتعالى.
- لم يرد نفي الشّرك بالله في القرآن الكريم بـ (إنْ) إلا مرّة واحدة في سياق الرّدّ على المجتمع الجاهليّ وإخبارهم أنّ ما يدّعون من دون الله ما هم إلّا أوثان ضعيفة لا تنفع، ولا تضرّ، وقد ثبت أنّها تردّ فيما فيه زيادة توكيد في النّفي، وهذا ما يفسر لنا إيثار حرف النفي هذا في التعبير عن نفي الشرك بالله تعالى في هذا الموضع الوحيد.
- ورد التعبير عن نفي الشرك بالله بالجملة الاسمية أكثر من الجملة الفعلية؛ لأنّ الجملة الاسمية تفيد معنى الثبوت، وذلك أبلغ في الدلالة على تنزيه الله عز وجل عن الشريك وإثبات وحدانيته تعالى.
- لم يعبر القرآن الكريم عن الشريك مع الله تعالى في سياق نفيه إلّا بالنكرة، للدّلالة على التّعميم، والشّمول لكلّ أحدٍ أو شيء في هذا الكون الواسع العجيب دون تخصيص، فقد ادّعى المشركون أنّ الملائكة بنات الله، بينما قال: اليهود عزيرٌ ابن الله، أمّا النّصارى فقالوا: عيسى ابن الله، فجاء التعبير بالنكرة ليكون الرّدّ شاملًا مفندًا لكلّ هذه الادعاءات، وذلك أبلغ في تنزيه الله تعالى عمّا ينسبونه إليه.
- كثُر مجيء (من) الاستغراقية بعد حروف النفي في سياق نفي تعدد الآلهة؛ تنصيصًا على قصد نفي الجنس؛ لتدلّ الجملة على التّوحيد، ونفي الشّريك صراحةً، احترازًا من أن يراد نفي الوحدة عن غير الله، فيوهم أنّه قد يكون إلهان أو أكثر، فـ(مِن) الاستغراقيّة مانعة من ذلك، ودالة على إرادة الاستغراق في نفي الشريك عنه تعالى.
- خرجت الهمزة عن الاستفهام الحقيقيّ في سياق نفي الشرك بالله لمعانٍ عدة، هي: الإنكار الإبطالي، والإنكار التوبيخي، والتّقرير.

- وظّف القرآن الكريم أسلوب الاستفهام لنفي الشّرك ضمنيًّا، وذلك بمنزلة دعوة لتدبّر القرآن الكريم، وسبر أغواره، واستخلاص الدّرر من مكامنه، فقد تعدّدت وتنوّعت أساليبه في نفي الشّرك بسياقات متعدّدة لا يحلّ الإخبار محلّها، وقد انماز التعبير القرآنيّ المعجز بأسلوبه ولفظه ومعناه بتوظيف هذه الأساليب للدلالة على نفي الشرك والشركاء عن الله عزّ وجل.
- تبيّن أنّ أغلب النفي الضمني بأسلوب الاستفهام الوارد في سياق نفي الشرك بالله كان بـ (الهمزة)؛ لأنّها تدخل على الجمل المثبتة والمنفية، فإذا دخلت على المثبتة انقلب معناها نفيًا، وإذا دخلت على المنفيّة انقلب معناها إثباتًا، وإنّما كان الإنكار كذلك؛ لأنّ منكر الشّيء إنّما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضدّه؛ فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا، والنّفي إيجابًا.
- جاء التعبير القرآني بالنفي الضمني بأسلوب الأمر في سياق نفي الشرك بالله تعالى في أغلبه بصيغة فعل الأمر؛ لما فيها من دلالة الإلزام، ولا سيَّما أن في ذلك زيادة في التأكيد والمبالغة؛ لأنّ أسلوب الأمر ظاهره إيجاب وباطنه نفي، فالآمر هو الله سبحانه وتعالى، إذ يأمر خلقه على وجه اللزوم والاستعلاء بعبادته وحده، وهذا الأمر يحمل في باطنه معنى آخر لم يصرح به، وهو نفي وجود أو استحقاق غيره بالعبادة، فأسلوب الأمر هنا أدى دلالتين معًا الإخبار والنفي، وذلك أبلغ في التعبير عن نفي الشرك بالله تعالى، خصوصًا أنّ هذا الأمر نجده إمّا مسبوقًا بالنفي الصريح أو متلوًا به، فيكون إمّا توطئةً للنفي أو توكيدًا له.
- لأسلوب النهي في نفي الشرك بالله تعالى أثرٌ بيّنٌ، ولا سيَّما أنّ النهي بوصفه أسلوبًا طلبيًا له دلالة واضحة على تنبيه المخاطب بالكفّ عن المنهي عنه، وهذا يستلزم ضمنًا نفي ما نهي عنه، وهو أن يُشرك بالله تعالى.
- قد يرد النّهي عن الكون على صفة الشّرك، وذلك أبلغ من النّهي عن الصّفة نفسها؛ لأنّ النّهي عن الكون على صفة يدلّ بالوضع على عموم الأكوان المستقبلية على تلك الصّفة، ويلزم من ذلك عموم تلك الصّفة. وفرق بين ما يدلّ على عموم، ويستلزم عمومًا، وبين ما يدلّ على عموم فقط، فلذلك كان أبلغ، وهذا النهي المؤكَّد يقتضي نفي ما نهي عنه، وهو

الشرك بالله تعالى، وهذا ما يستلزم نفيًا ضمنيًا للشرك وتأكيدًا على أنّه مما لا يمكن إثباته، وإنّما أوثر الأسلوب الطلبي فيه؛ لزيادة التنبيه والتأكيد على شناعته وقبحه وضرورة تجنبه.

- وظّف القرآن الكريم أسلوب الشرط بدلالته الضمنية على النفي؛ ليدل على وحدانية الله تعالى، ونفي الشرك عنه عن طريق الاستدلال العقلي، وإلقاء الحجة الدامغة على زيف دعواهم، وبطلان معتقدهم، فهو بهذا الأسلوب يخاطب العقول عسى أن تعي وتعقل أنّه لا إله إلا إله واحد أحد فرد صمد لا شريك له هو الله سبحانه وتعالى، لما في أسلوب الشرط من قوة في الحجاج الإقناعي والاستدلالي.
- لم يخرج أسلوب الشرط من معناه الحقيقي إلى معنى نفي الشرك بالله تعالى ضمنًا إلا مع الأداة (لو)؛ لأنها تدل على انتفاء الشرط والجزاء معًا في الزمن الماضي دلالة حقيقية، فكأنها مع فعل الشرط بمنزلة حرف نفي، ينفي معنى الجملة التي يدخل عليها.
- جاء التعبير القرآني لنفي الشرك بالله تعالى بأسلوب القصر بقسميه: قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة، وقد ورد بأربع طرائق، هي: القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بـ (إنّما)، والقصر بالعطف، والقصر بتقديم ما حقُّه التأخير، وذلك لنفي الشرك ضمنًا في المواقف التي تحتاج تأكيدًا ومبالغةً؛ لِما يتضمنه من ثنائية النفي والإثبات التي تجلّت كثيرًا في التعبير عن نفي الشرك بالله تعالى في القرآن الكريم.
- وظفّ التعبير القرآني أسلوب الإضراب لنفي الشرك بالله تعالى ضمنًا، إذ ينتقل من نفي الشرك بالله الى إثبات وحدانيته تعالى بأسلوب بياني بديع يبهر العقول بحسنه وبلاغته، فسبحان الله من روائع كتاب الله وخفاياه.
- جاء في الإضراب نفيٌ ضمنيٌّ؛ لأنّ الجزء الأول من الجملة يخالف الجزء الثاني من حيث الإثبات، وقد ورد في سياق نفي الشرك بالله تعالى بنوعيه: الإضراب الإبطالي، والإضراب الانتقالي، بأدوات تدلُّ عليه، جاء منها بحسب ما وقفتُ عليه من آيات (بل) للدلالة على الانتقال إلى ما هو أهمُّ يقينًا، وهو نفي الشريك والإقرار بالتوحيد، و(أم) لتأكيد وتقرير نفي الشرك بالله عزّ وجل، وإثبات وحدانيته تعالى.

- قد يأتي الإضراب للدلالة على نفي الشرك بالله تعالى بصيغة (كلا بل) أحيانًا، وتسمى (الإضرابية الإبطالية)، وهي أشد في توكيد الإضراب؛ لأنها تجمع حرفي الرّدع والإبطال فتفيد الرّدع عن اعتقاد إلهيّة غير الله عزّ وجل، وإبطالها عنهم بإثباتها لله تعالى وحده.
- دلّ الاستدراك المفهوم من (لكن) الواردة في سياق نفي الشرك بالله تعالى على توكيد نفي الشرك، الذي يسبق استعمال (لكن)؛ لأنّ ما بعدها إثبات لنقيض ما هو منفي قبلها.
- ورد أسلوب التوكيد بأكثر من مؤكد في أغلب الآيات الواردة في سياق نفي الشرك بالله تعالى في القرآن الكريم؛ لأنّ نفي الشرك بالله تعالى ووجوب عبادته وحده لا شريك له هو أصل الدين الإسلامي الذي تتفرع عنه باقي الأصول والعبادات؛ لذا وجب العناية والاهتمام به وتأكيده بأكثر من مؤكد، ولا سيَّما أنَّ الخطاب كان في معظمه موجهًا إلى المشركين والمعاندين في سياق الرد عليهم وإبطال معتقداتهم.
- لم يكن للتوكيد المعنوي نصيب في سياق نفي الشرك بالله تعالى، ويبدو أنّ مرجع ذلك يعود إلى أنَّ ألفاظ التوكيد المعنوي التي هي: (نفسه، وعينه، وأجمع، وأجمعون، وجمعاء، وجمع، وكلهم، وكلاهما، وكلتاهما) تحمل معنى النظير، والمثل، والتعددية، وهذه المعاني لا تتناسب مع إثبات الوحدانية ونفي الشرك عنه سبحانه.
- تبيّنَ أنّ القرآن الكريم استعمل نون التوكيد الثقيلة في المواقف التي تحتاج الى المبالغة والاعتناء بالتبرؤ من الشرك بالله تعالى؛ لأنها أبلغ في التوكيد، فتكرار النون بمنزلة تكرار التوكيد.
- ورد التقديم والتأخير الذي جاء في سياق نفي الشرك بالله في القرآن الكريم بأنحاءٍ ثلاثة هي: تقديم المفعول به، وتقديم متعلق الفعل، وتقديم الخبر.
- خرج التقديم والتأخير في سياق نفي الشرك بالله لأغراضٍ بلاغية عدة منها: الاختصاص، والعناية، والاهتمام، والتأكيد على إثبات وحدانيته تعالى، ونفي الشريك عنه، وتسليط الإنكار على عبادة غير الله تعالى.

- اتضح أنّ للإظهار في مقام الإضمار في سياق نفي الشرك بالله تعالى أغراضًا بلاغية، منها: قصد التعظيم، وتربية المهابة، وقصد زيادة التقرير، والتنبيه على علة الحكم، وقد ورد في التعبير القرآني، وله من الحسن، والأثر في النفوس ما لا يتحقق مع الاضمار.
- أضْفَت ظاهرة الإضمار والتفسير على الآيات الواردة في سياق نفي الشرك بالله تعالى تعظيمًا وفخامةً تتناسب مع عظمة وفخامة قضية نفي الشرك وإثبات الإلوهية لله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الشيء إذا أضمر ثمّ فسّر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار.
- وردت ظاهرة تلاحق الأساليب في سياق نفي الشرك بالله بقسميها: تلاحق الأساليب المتشابهة، وتلاحق الأساليب المختلفة، وكان لمجيء هذا التلاحق غايات ودلالات مقصودة يمكن استجلاؤها من النص اللغوي والسياق وقرائن الأحوال؛ للوقوف على الغاية من ورودها على هذا النحو.
- أدت ظاهرة تلاحق الأساليب وظيفة دلالية تُزاد إلى دلالة الأساليب المتأصلة فيها، أغنت النص، وكشفت عن مغزاه، وقد ورد التلاحق في النص القرآني في المواقف المهمة التي تحتاج إلى التأكيد والمبالغة، ومنها نفي الشرك بالله تعالى بأكثرَ من أسلوب؛ لمزيد من تأكيد وحدانية الله تعالى، والتشنيع على مَن يتخذ له شريكًا سبحانه عن ذلك وتعالى علوًّا كبيرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الموحدين مُحَمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.